جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر

إعداد الطالب:
عمر زعل محمد المزايدة

إشراف:
الأستاذ الدكتور: حسين فلاح الكساسبة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الدكتوراة في التاريخ

جامعة مؤتة، 2009م

الإهداء

إلى رمز العطاء والدي رحمه الله، إلى التي سقتني الصبر، وعلمتني الوفاء بالقول، والإخلاص في العمل، والدتي الحنونة، إلى التي تحمّلت فوضى الورق، وحبست ضحكتها من أجل توفير الهدوء، زوجتي الغالية، إلى أخوتي وأخواتي جميعاً، إلى كل مَنْ أعطاني من فيض علمه ما جعلني أنهل من مناهل العلم، إلى كل باحث وباحثة.
إليكم جميعاً أهدي هذا الجهد رمزاً للوفاء، والمحبة الدائمة.

عمر زعل المزايدة

الشكر و التقدير

بعد أن استقام هذا البحث في صورته النهائية، كان لزاماً عليَّ أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة، لحسن إرشاده ومتابعته ورعايته وملاحظاته لإنجاز هذا البحث منذ أن كان فكرة حتى أصبح حقيقة واقعة، فلولا جهوده بعد عون الله عز وجل لما كان هذا البحث على هذه الصورة، جعله الله في ميزان حسناته، وجزاه الله خيراً.

كما وأتقدم بجزيل الشكر إلى جميع الأساتذة الكرام في قسم التاريخ بجامعة مؤتة، وإلى الأستاذ الدكتور تقي الدين الدوري، والأستاذ الدكتور أحمد الحسّو، والدكتور محمد نايف العمايرة، الذين أخذت عنهم المنهج العلمي السليم، والمثابرة في طلب العلم، والتواضع مع الآخرين.

ولا يفوتني أن أتقدم بعظيم شكري، إلى أسرة مكتبة جامعة مؤتة، وأسرة مكتبة الجامعة الأردنية.

وأخيراً أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى كل من أسهم في إعداد هذا البحث حتى خرج بهذا الشكل المتواضع.

عمر زعل المزايدة

المختصرات و الرموز

المختصرات	الرموز
ت	توفي
ج	جزء
مج	مجلد
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
د.ن	دون نشر
ط	طبعة
ع	عدد
ق	قسم
م	ميلادي
هـ	هجري

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

الفصل الثالث: الصناعات والحرف

قائمة الملاحق

الملخص

الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر

عمر زعل محمد المزايدة

جامعة مؤتة، 2009م

شهدت خلافة الناصر الكثير من التغيرات والأحداث التاريخية الهامة، ومنها تمكن الخليفة الناصر من القضاء على جميع الحركات المناوئة للإمارة الأموية، ومن هذه الحركات وأشدها قوةً حركة عمر بن حفصون وأولاده من بعده، وفي هذه الفترة أعلن الأمير عبدالرحمن الخلافة الأموية في الأندلس، وتلقَّب بالناصر لدين الله.

بدأ البحث بتمهيد يعرض الأوضاع السياسية للأندلس قبل إمارة الناصر، وسلَّط البحث الضوء على شخصية الناصر، من حيث نسبه وكنيته ومولده، ونشأته وصفاته، وثقافته، وزوجاته وأولاده، ووفاته، وكيفية بيعته بالإمارة، وسياسته الداخلية، وإعلانه الخلافة. كذلك تعرض البحث للزراعة والنشاط الرعوي، من خلال التعريف بجغرافية الأندلس، والعوامل التي ساعدت على نشأة الزراعة، وأهم نباتات الأندلس ومدنها الزراعية، وأساليب الري، والكوارث الطبيعية وأثرها على النشاط الزراعي، هذا بالإضافة إلى الرعي وتربية المواشي.

وعالج البحث الصناعات والحرف الأندلسية بأنواعها، والعوامل التي ساعدت على قيام الصناعة. واعتنى البحث بمعالم التجارة الداخلية والخارجية، خاصة العوامل التي ساعدت على قيامها، ثم أهم الأسواق التجارية، والقيساريات، والفنادق، والطرق الداخلية، وبضائع الأندلس، والرقابة على الأسواق، وموانيء التصدير والإستيراد، والسلع المتبادلة مع الخارج.

كذلك عالج البحث في فصله الأخير النظام المالي، موضحاً موارد الدولة المالية ونفقاتها، والأسعار، ووسائل التبادل المالي (النقود والسفاتج والصكوك)، ووحدات الوزن والكيل.

Abstract

The economic Life in al-Andalus in al-Nasir's reign

Omer Zaa'l Mohammad Al-Mazaideh

Mu'tah University 2009

The period of study witnessed many changes and significant historical events including al-Nasir's suppression of all opponent movements of the Umayyad Emirate such as the movement of Umar b. Hafsun followed up his sons after his death. It also witnessed both prince Abd al-Rahman's announcement of Umayyad Caliphate in al-Andalus and his being entitled "AL-Nasir Li din Allah."

This study started with preface about the political situations in AL-Andalus before al-Nasir's Emirate .It shed light on al-Nasir's character: his descent, by name, birth, upbringing, characteristics, culture, wives, children, pledge of allegiance, local policy, announcements of Caliphate and his death .It also dealt with agriculture, including the main plants, towns, irrigation systems, and natural disasters and their influence on agriculture, shepherding and livestock.

This paper focused on internal an external trade especially the factors that led to its existence , the main commercial markets ,hotels ,roads ,goods ,control over markets , import and export , ports as well as international exchange of goods.

The research also illustrated the types of industries and handicrafts in al-Andalus, the factor that initiated industry.

Finally, many points were examined on the financial systems such as: the financial procedures, financial resources and expenditure, currency. Units of measures and scales, levy ratio, and financial management .

الفصل الأول

حياة عبدالرحمن الناصر

1.1 المقدمة

في عام 300هـ/912م بُويع عبدالرحمن الثالث بالإمارة على الأندلس فبدأ سياسته أولاً بالقضاء على جميع الحركات المناوئة التي أرهقت الأمراء الأمويين السابقين له، وثانياً قيامه بالتصدي لخطر الممالك الإسبانية في الشمال، والدولة الفاطمية في المغرب، وثالثاً إعلانه الخلافة الأموية، وتلقبه بالناصر لدين الله، وقد اصطلح المؤرخون على تسمية الفترة التي أعقبت إعلان الخلافة الأموية في الأندلس سنة 316هـ/ 928م بعصر الخلافة، والتي استمرت إلى سنة 422هـ/1030م.

اهتم الخليفة الناصر بالنشاط الاقتصادي، بما في ذلك الزراعة، والتجارة، والصناعة، والعمران، وصك العملة، فازدهرت هذه الأنشطة ازدهاراً كبيراً حتى أصبح عصر الخليفة الناصر عصراً ذهبياً، ومن أفضل العصور التاريخية التي مرت بها الأندلس.

تعددت الدراسات التي تناولت تاريخ عصر الخلافة في الأندلس، ولكن هذه الدراسات ركزت على الجوانب السياسية، والاجتماعية، وهي تتشابه في موضوعاتها، في حين أنَّ الدراسات الاقتصادية خلال هذه الفترة كانت قليلة، ولم توجد دراسة متخصصة تتعلق بالأنشطة الاقتصادية في عهد الخليفة الناصر، ومنه، جاء اختيار موضوع الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد هذا الخليفة.

هدفت الدراسة إلى إبراز شخصية الخليفة الناصر ودراستها من جميع جوانبها، وسلَّطت الضوء على الجانب الأهم وهو الاقتصاد، وذلك من خلال الحديث عن الزراعة، والتجارة، والصناعة، والنظم المالية.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وإعطاء صورة واضحة عن هذه الموضوعات، فقد تم الاطلاع والاعتماد على عدد وافر من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي اهتمت بهذا الموضوع.

ومن أهم المشاكل التي واجهت الباحث في تعامله مع المصادر العربية أن عدداً من النصوص والروايات التاريخية لم يمكن الإفادة منها؛ لتعذر تحديد تواريخ أحداثها،

كما وكانت قلة المعلومات الاقتصادية وتبعثرها في عدد من أصناف المصادر العربية مشكلة أخرى واجهت الباحث.

اختتمت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث، مُرْفِقاً لهذه الدراسة عدداً من الخرائط ذات العلاقة بالدراسة.

جاءت هذه الدراسة في تمهيد وخمسة فصول، تضمن التمهيد الأوضاع السياسية في الأندلس قبل إمارة الناصر، أما الفصول فقد جاءت على النحو الآتي:

تحدث **الفصل الأول** عن حياة عبدالرحمن الناصر، فبدأ بنسبه وكنيته، ومولده، ونشأته وصفاته، وثقافته، وزوجاته وأولاده، ووفاته، ثم بيعته بالإمارة، وسياسته الداخلية، وإعلانه الخلافة.

أما الفصل الثاني المعنون بالزراعة والنشاط الرعوي، فقد اشتمل على جغرافية الأندلس وحدودها، والعوامل التي ساعدت على نشأة الزراعة، ونباتات الأندلس ومدنها الزراعية، وأساليب الري، والكوارث الطبيعية وأثرها على الزراعة، كذلك الرعي وتربية المواشي.

وأوضح **الفصل الثالث** الصناعات والحرف الأندلسية وأنواعها، والعوامل التي ساعدت على قيام الصناعة.

وعالج **الفصل الرابع** التجارة الداخلية والخارجية، مبيِّناً العوامل التي ساعدت على قيامها، ثم أهم الأسواق التجارية، والقيساريات، والفنادق، والطرق الداخلية، وبضائع الأندلس، والرقابة على الأسواق، وموانيء التصدير والإستيراد، والسلع المتبادلة مع الخارج.

وخُصص **الفصل الخامس** للحديث عن النظام المالي، موضحاً موارد الدولة المالية ونفقاتها، والأسعار، ووسائل التبادل المالي (النقود والسفاتج والصكوك)، ووحدات الوزن والكيل.

2.1 عرض لأهم المصادر والمراجع

تواجه من يتصدى لدراسة الجوانب الاقتصادية في الأندلس، خلال عصر الخلافة، مشكلة فقدان الكثير من المصادر الأندلسية.

لقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر العربية المتخصصة في التاريخ والجغرافيا والتراجم والأدب، بعضها قريب زمنياً لموضوع الدراسة والآخر متأخر، وقد تم الاعتماد على عدد من المراجع المتخصصة، بعضها مصنفات عربية، وبعضها الآخر معربة لباحثين معظمهم من الإسبان الذين أثروا المكتبة الأندلسية ببحوثهم القيمة. وفيما يلي عرض لأهم المصادر التي أفادت الدراسة، مرتبةً حسب تاريخ الوفاة للمؤلف:

1. **الخشني، محمد بن حارث (ت 361هـ/ 972م)، قضاة قرطبة.**

وهو أحد العلماء الأوائل الذين كتبوا في موضوع التراجم في الأندلس، وعاش في مدينة القيروان، ثم انتقل إلى الأندلس بدعوة من الخليفة الأموي (الحكم المستنصر) الذي طلب منه تأليف هذا الكتاب، وقد احتوى الكتاب على معلومات هامة بالنسبة لذكر بعض القضاة، والقبائل العربية في قرطبة، حيث أفاد الكتاب الدراسة في التعريف بالخليفة الناصر، مثل؛ ميلاده ووفاته، وصفاته، كذلك في إعداد المسلمين الأراضي للزراعة، وأساليب الري التي استخدمها المسلمون في ري مزروعاتهم كالنواعير والدواليب، وأراضي الأحباس، وأهم واردات الأندلس الغذائية، وصناعاتها، كالمسامير والورق، والفخار، وبعض الحرف كحرفة الحصَّارين والفرَّانين، وأفاد الكتاب في معرفة قضاة تلك الفترة، وبعض نشاطاتهم الأخرى، كالتجارة.

2. **ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي (توفي بعد 367هـ/977م)، صورة الأرض.**

زار ابن حوقل الأندلس في سنة 337هـ/948م، وعاش فيها فترة من الزمن في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م)، وكان الدافع الأساسي وراء هذه الزيارة مزاولة النشاط التجاري وكسب المال، وقد تجول في عدد من المدن الأندلسية، وسجَّل عنها ملاحظات مهمة من الناحية الاقتصادية، وهذا ما جعل من صورة الأرض أهم مصدر جغرافي يرسم صورة واضحة عن النشاط التجاري في الأندلس خلال فترة الدراسة.

ومما ذكره ابن حوقل في كتابه، واستفادت منه الدراسة، أسعار السلع، ودار السكة، ووسائل النقل، وطرق التجارة الرئيسة التي كانت تلتقي عند قرطبة، كذلك

التبادل التجاري بين الأندلس وبقية البلاد الإسلامية، وأهم المنتجات التي تشتهر بها البلاد والتي تعد مصدراً مهماً للتجارة، كالملابس المطرزة، كما يذكر ابن حوقل معلومات عن تجارة الرقيق وعلاقتها بالأندلس، لذا، فقد كان الكتاب من أهم المصادر التي أفادت الدراسة في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية.

3. ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي (ت 376هـ/ 986م)، تاريخ افتتاح الأندلس.

ويُفْهم من خلال قراءته (تاريخ افتتاح الأندلس) أن ابن القوطية لم يقم بكتابته، وإنما رواه لأحد تلامذته الذي قام بتدوينه بأسلوبه الخاص، ويعتبر ابن القوطية من المولدين، فهو من نسل سارة حفيدة (غيطشة)، آخر ملوك القوط قبل حكم (لذريق).

وقد أورد الكتاب معلومات هامة حول بعض الحركات السياسية الداخلية، كحركة سليمان بن حفصون، وبني قسِّي البرابرة في الثغر الأعلى، كما أفاد الدراسة في ذكر بعض الأسواق كالخرّاطين، والخشّابين، والقصّابين، والحصّارين، والسّرّاجين، كذلك صناعة السفن، ونظام توزيع الأراضي، كذلك حديثه عن منصب الخازن الأكبر.

4. الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن (ت 379هـ/ 989م)، لحن العوام.

احتوى هذا الكتاب على معلومات اقتصادية ذات قيمة عالية كان لها الأثر الواضح في إثراء بعض جوانب الدراسة، كالزراعة، واستخدام سكك الحراثة، وتربية المواشي كالأيايل، كذلك التجارة، والعوامل المؤثرة عليها، والغِش، وأهم السلع التي تاجر بها الأندلسيون في الأسواق التجارية، وأفاد الكتاب الدراسة من خلال الحديث عن الصناعات الغذائية كالحلوى، وصناعة البسط الصوفية، والصناعات الحديدية، وأدوات العمل في الصناعة، والحرف اليدوية، والأحوال الاقتصادية للفئة العامة.

5. مجهول (عاش في القرن 4هـ /10م)، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها.

يبدأ هذا الكتاب بحروب العرب في بلاد المغرب والأندلس في عهد موسى بن نصير، وينتهي بوفاة الخليفة الناصر سنة 350هـ/ 961م.

ويعتبر هذا الكتاب مصدراً أساسياً في تاريخ تلك الفترة، إذ إنَّ مؤلفه قد تتبع أخباره من جميع مصادرها السمعية والكتابية، وتوخى الدقة بشكل جعل لرواياته قيمةً تاريخيةً كبيرةً.

ومن أهم رواياته التي لها علاقة بموضوع الدراسة، ثقافة الناصر، من خلال ذكر بعض أشعاره، وأوضاع الأندلس الداخلية عندما تولى الناصر إمارة الأندلس، وتحدث الكتاب عن بعض الجوانب الاقتصادية، كالقحط والجوع في الأندلس سنة 136هـ/ 753م، وأسواق النَّخّاسة في إشْبِيلِيَة، وصناعة الأسلحة التي تُستخدم في العمليات العسكرية، وصناعة الحبال من نبات الحلفاء، وفتلها وتهيئتها لاستخدامها في أغراض مختلفة. ومن عيوبه (الكتاب) أنه لم يذكر المصادر التي كان قد اعتمد عليها.

6. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت 469هـ/ 1086م)، المقتبس.

يعتبر كتاب المقتبس من أهم مصادر تاريخ الأندلس في العصر الأموي، إذ تناول الكتاب جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية خلال هذه الفترة، وقد اعتمدت الدراسة –بوجه عام– على القسم الخاص بعصر الخليفة الناصر، حيث أفاد هذا الكتاب الدراسة بذكره معلومات تتعلق بشخصية الناصر، كذلك كيفية تولي الناصر الإمارة، وإعلانه الخلافة، كما أنَّ ابن حيان كان قد ذكر إشارات اقتصادية قيمة عن الأسواق الأندلسية، وعوامل اهتمام الخليفة الناصر بإنشاء دار السكة، وحرصه على ضرب النقود من خالص الذهب والفضة، كما زودنا بأسماء بعض الأشخاص الذين أسندت إليهم مهمة الإشراف والرقابة على الأسواق، ودار السكة في عهد الخليفة الناصر، وتظهر أهمية كتاب المقتبس وقيمته التاريخية والاقتصادية من خلال ما يمتاز به ابن حيان من صدق وأمانة علمية، ودقة شديدة، وحرصه على نقل المعلومات من مصادر معاصرة للأحداث، وبحثه عن مسببات الأشياء ومناقشتها بموضوعية، مع اهتمامه العميق بتقديم الأحداث بشرح وتفصيلات وافية.

7. البكري، أبو عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز (ت 487هـ/ 1094م)، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب "المسالك والممالك".

يشتمل هذا الكتاب على معلومات هامة تتعلق بجغرافية الأندلس وتاريخها، فقد ابتدأ المؤلف كتابه بتحديد جزيرة الأندلس وذكر بعضاً من أخبارها، ثم تحدث عن جبال الأندلس وأشهر مدنها، كما تناول ما اختصت به بلاد الأندلس من الأشجار والمعادن ومناطق توزيعها وانتشارها، وبذلك يكون المصدر قد أفاد الدراسة في نواحي مختلفة وبوجه خاص في التعريف بالمدن والمواقع الجغرافية.

8. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني (ت 560هـ/ 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

وهو من المصادر الجغرافية الهامة التي أفادت الدراسة بشكل كبير في مختلف جوانبها الاقتصادية؛ لغنى مادته الجغرافية التي جاءت شاملة لمختلف المناطق والبلدان الأندلسية، حيث تحدث الإدريسي عن كل بلد من حيث الموقع الجغرافي والإنتاج الصناعي والزراعي، وتعرض لذكر بعض مرافق الحياة الاقتصادية مثل الأسواق، وطرق التجارة.

وعلى الرغم من أن نزهة المشتاق يأتي في فترة لاحقة لموضوع الدراسة إلا أنه يعكس صورة واضحة لما كانت عليه الأندلس في عصر الخلافة الأموية، وذلك لأن البلاد لم تشهد أي تغيير في الأحوال المناخية فيما بعد العصر الأموي، ثم أن المعادن والمنتجات الصناعية المذكورة في هذا المصدر كانت تستغل على نطاق واسع خلال عصر الناصر، وعصر الخلافة بشكل عام.

9. الضبي، العالم أحمد المرسي (ت 599هـ/ 1202م)، بغية الملتمس في تاريخ علماء الأندلس.

يحتوي هذا الكتاب على تراجم ملوك وعلماء الأندلس والوافدين إليها حتى أواخر القرن السادس الهجري، وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة في التعريف بالخليفة الناصر، من خلال نشأته وأولاده، واسم والدته، وعدد أولاده، ووصوله إلى إمارة الأندلس، والأوضاع السياسية للأندلس خلال فترة الدراسة، وظروف إعلان الخلافة الأموية.

10. ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي (عاش في القرن 6هـ/12م)، فرحة الأنفس.

يتناول هذا الكتاب جغرافية الأندلس وتقسيمها الإداري إلى كور، إذ يبدأ المؤلف بذكر اسم الكورة ثم يتحدث بعد ذلك عن المدن والقرى والحصون الموجودة بها، وما تتميز به من خصائص، وتشتهر به من منتجات زراعية وصناعية، ذاكراً المسافة بين المدن وأشهر الأنهار المارة بها، ومن ثم يتطرق للحديث عن مدينة الزهراء وما حوته من دور وقصور، ليعمد بعد ذلك إلى تحديد الأندلس وذكر جبالها وأنهارها وما اشتهرت به منتجات، وقد اعتمد ابن غالب في كتاباته على نقول من مؤرخين سابقين مثل: أحمد بن محمد الرازي، وعبدالله بن الحكم بن النظام، وابن حيان وغيرهم، ولذا فقد استفادت الدراسة من هذا المصدر في جوانب مختلفة، خاصة ما يتعلق منها بمراكز التجارة، وصادرات الأندلس، والمكاييل المستخدمة في الأسواق.

11. المراكشي، محي الدين بن محمد بن عبد الواحد (ت 647هـ/ 1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

يعتبر هذا الكتاب من المصادر التاريخية الهامة التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس منذ فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، وأفاد الدراسة في بعض الجوانب الاقتصادية، كمعرفة موارد الأندلس المائية، ونظام إعداد الأرض للزراعة، ووصف المُناخ والأراضي الزراعية لب،عض مدن الأندلس كبلنسية، كما أفاد الدراسة في معرفة بعض مواد التصدير كالزئبق الذي يُصدَّر إلى المغرب العربي.

12. ابن الأبـّار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القظاعي (ت 658هـ/ 1260م)، الحلة السيراء.

يتناول الكتاب أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري، وهو مقسم إلى قرون مستقلة يتناول في القرون الأربعة الأولى حياة عدد كبير من القادة ورجال الحكم، والشخصيات البارزة في الأندلس، وعلى الرغم من تركيزه على ما قالوه من شعر ونثر، فإنه يحتوي على معلومات تاريخية في غاية الأهمية تتعلق بترجمة وافية لشخصية الخليفة الناصر، وابنه الحكم المستنصر، وبعض أشعارهما، كذلك مواجهة الخليفة للحركات الداخلية المناوئة، وظروف إعلان الخلافة الأموية، كما تضمن الكتاب الحديث عن بعض الجوانب الاقتصادية، كخطة الحسبة

أو ولاية السوق، واحتوى الكتاب على إشارات قليلة عن بعض الحرف السائدة خلال فترة الدراسة، كحرفة الخياطة.

13. ابن سعيد، علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م)، المُغْرب في حلى المغرب.

يقع هذا الكتاب في جزئين، تضمنا تراجم لبعض أعيان الأندلس البارزين، وأشهر الكتَّاب والشعراء حتى نهاية عصر الموحدين. وقد أفاد الدراسة كثيراً عند الحديث عن محاصيل الأندلس، ومعادنها، وصناعاتها. فضلاً عمَّا تضمنه من معلومات جغرافية عن المدن والقرى والحصون الأندلسية، كانت على جانب كبير من الأهمية.

14. ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي (ت 695هـ/ 1296م)، البيان المّغْرب في أخبار الأندلس والمغرب.

الكتاب تاريخ عام للمغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى بداية عصر بني مرين، ويعتبر مصدراً أساسياً هاماً في تاريخ هذه الفترة الطويلة، ويعتبر الجزء الثاني الأهم بالنسبة لموضوع الدراسة، لأشتامله على فترتها.

وقد أفاد الكتاب الدراسة في عدة موضوعات، تمثلت في الأوضاع السياسية في الأندلس قبل إمارة الناصر، ثم وصول الناصر لإمارة الأندلس، وسياستة الداخلية، وإعلانه الخلافة الأموية، وجغرافية الأندلس، وإشارات اقتصادية غير قليلة، في موضوع الزراعة والتجارة والصناعة، والنظم المالية.

15. لسان الدين بن الخطيب، (ت 776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غَرْناطة، وإسبانيا الإسلامية، أو الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.

الكتاب الأول عبارة عن تراجم لملوك وأمراء وعلماء غَرْناطة، وجميع الذين وفدوا من المشرق والمغرب مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم، وقد حقَّقه محمد عبد الله عنان في أربعة أجزاء، وأفاد هذا الكتاب الدراسة من خلال حديثه عن المُناخ وأهم نباتات مدينة غَرْناطة.

أما الكتاب الثاني (آخر مؤلفات ابن الخطيب)، يُعدُّ أهم المصادر التي تناولت تاريخ المغرب والأندلس في العصر الأموي، ويمتاز بتقديمه للمعلومة بصدق الرواية

وقوة الأسلوب، وبأسلوبه السلس، بعيداً عن التعقيد والإسهاب، وقد أفاد الدراسة عند الحديث عن تسمية التجار بأصناف بيوعهم، وعند تناول السلع المحلية التي تاجر بها العرب والنصارى، وعند الحديث عن الضرائب والمكوس.

16. **الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 866هـ/ 1461م)، الروض المعطار في خبر الأقطار.**

يشتمل هذا الكتاب على مادة جغرافية وتاريخية في آن واحد، مما جعل منه مصدراً هاماً لدراسة المدن الأندلسية من الناحية الجغرافية والتاريخية، وقد رتّب المؤلف المدن ترتيباً هجائياً، مما يسهل على الباحثين استخراجها، وقد أفادت هذه المادة الدراسة في كثير من المدن الأندلسية من حيث موقعها الجغرافي، وأهم نباتاتها ومحاصيلها الزراعية، وإنتاجها الصناعي، وثروتها المعدنية، ونشاطها التجاري.

17. **المقَّري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.**

يشكل هذا الكتاب موسوعة تاريخية عن الأندلس، نصفه الأول يتضمن تعريف الأندلس، ويتناول النصف الثاني التعريف بلسان الدين بن الخطيب، وقد استفادت الدراسة من نصفه الأول.

يُعدُّ نفح الطيب مصدراً أساسياً في تاريخ المغرب والأندلس؛ لاعتماد المقّري على جميع مؤرخي الأندلس خصوصاً الذين فُقدت كتبهم أو أجزاء منها، كما يُعدُّ الكتاب من المصادر القليلة التي شملت مختلف جوانب الدراسة. ومما يُعاب على هذا الكتاب أنه غير منظم في سرد معلوماته.

كما أفادت الدراسة من مصادر أخرى ذات اهمية اقتصادية، أشهرها:

18. **السقطي، محمد بن أبي محمد المالقي (ت نهاية القرن 5هـ /11م)، في آداب الحسبة.**

19. **ابن عبدالرؤوف، أحمد بن عبدالله (ت النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م)، في آداب الحسبة والمحتسب.**

20. **ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي (ت النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م)، رسالة في القضاء والحسبة.**

وقد احتوت هذه الكتب الكثير من المعلومات ذات العلاقة المباشرة بالنشاط التجاري، كالشروط الواجب توافرها في السلع المباعة في الأسواق، ونظام الرقابة والإشراف على الأسواق، والشروط الواجب توفرها في صاحب السوق، وصفاته، ومهامه، ودوره في ضبط عمليات الغِش والتدليس في الأسواق، وغيرها.

وأفادت الدراسة من **المراجع الحديثة**، مثل كتاب **الأندلس، التاريخ والحضارة والمحنة**، لمحمد عبده حتاملة، حيث يعتبر الكتاب موسوعة تاريخية واسعة، أفادت الدراسة في بعض جوانبها، كما أفادت الدراسة من كتاب **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، لعبد الواحد ذنون طه، وأفادت من كتابي **فجر الأندلس**، و**معالم تاريخ المغرب والأندلس**، لحسين مؤنس، وإضافة إلى ذلك أفادت الدراسة من العديد من الكتب مثل؛ **تاريخ الفكر الأندلسي** لبالنثيا، و**النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة 138-316هـ/755-928م**، لخالد البكر، و**الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غَرْناطة 93-897هـ/ 711-1492م**، لجهاد الزغول.

ومن المراجع الجغرافية التي استفادت منها الدراسة، كتاب **الجغرافية الاجتماعية** لفاضل الأنصاري، وكتاب **أوروبا في مجرى التاريخ** (دراسة جغرافية) لمحمود جلال الدين الجمل، وكتاب **جغرافية أوروبا الغربية** لعبدالرحمن حميدة، وكتاب **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس** لحسين مؤنس، وإضافة إلى ذلك فقد افادت الدراسة من العديد من المراجع العربية والأجنبية، والرسائل الجامعية والمقالات التي سيرد ذكرها في نهاية الدراسة.

3.1 تمهيد: الأوضاع السياسية للأندلس قبل إمارة الناصر

قامت الدولة الأموية الثانية في الأندلس على أثر انتصار عبد الرحمن بن معاوية[1] على آخر ولاة الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري (129-138هـ/747-

---

(1)هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى بأبي المطَرّف، أمه بربرية من سبى المغرب، تسمى راحاً، ولد بالشام سنة

756م) في معركة المصِارة[1](al-Muzara)، حيث دخل عبدالرحمن قُرْطُبَة[2] يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة 138هـ/ الخامس عشر من أيار سنة 756م[3]، وأنهى العصر الأول للعرب في الأندلس (عصر الولاة 95-138هـ/714-756م)، ثم أعلن قيام الإمارة الأموية في الأندلس مستقلة عن باقي المناطق الإسلامية، وأصبح الحاكم الشرعي لهذه البلاد، وأقام للأمويين إمارة عمرت حوالي قرنين، ولم تعد الأندلس

113هـ/731م، وهرب منها لما ظهرت دولة بني العباس، ودخل الأندلس سنة 138هـ/755م، وهزم الفهري، واستولى على قرطبة، واستمر بالولاية حتى سنة 172هـ/788م، وكان من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل، وله أدب وشعر، ولقبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بصقر قريش. انظر: ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 695هـ/ 1296م)، **البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت 1983م، ج2، ص47؛ (يشار إليه فيما بعد: ابن عذاري، البيان المُغْرب).

(2) المصِارة (al-Muzara): وهي منطقة تمتد إلى الجنوب الغربي من مدينة قُرْطُبَة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير. انظر: حتاملة، محمد، **موسوعة الديار الأندلسية**، ط1، عمان 1999م، ج1، ص1047.(يشار إليه فيما بعد: حتاملة، موسوعة الديار)؛ وردت بالصاد، انظر: ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف ابن حسين بن حيان القرطبي (ت 469هـ/1077م)، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة ،د.ط، بيروت 1983م، ص46/66/124. (يشار إليه فيما بعد: ابن حيان، المقتبس)؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص47؛ المقّري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م)، **نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت 1988م، مج3، ص33. (يشار إليه فيما بعد،المقّري، نفح الطِّيب)، ووردت بالسين، انظر: مجهول (عاش في القرن الرابع الهجري)، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، 1994م، ص94. (يشار إليه فيما بعد، مجهول، أخبار مجموعة).

(2) قُرْطُبَة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين، وهي مدينة عظيمة، تقع في جنوب الأندلس على نهر الوادي الكبير. انظر: الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن= ==عبد المنعم (ت 866هـ/ 1461م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت 1984م، ص456-457. (يشار إليه فيما بعد: الحِمْيَري، الروض المعطار).

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص47.

تتبع الخلافة الإسلامية في المشرق كما كانت في عهد الولاة، بل أصبحت إمارة مستقلة سياسياً حكمها عبد الرحمن وذريته من بعده، وهم:

1. عبد الرحمن الأول(الداخل) (138هـ-172هـ/756-788م)
2. هشام الأول بن عبد الرحمن الأول (172هـ-180هـ/788-796م)
3. الحكم الأول بن هشام (180هـ-206هـ/796-821م)
4. عبد الرحمن الثاني(الأوسط) بن الحكم الأول (206هـ-238هـ/821-852م)
5. محمد بن عبد الرحمن الثاني (238هـ-273هـ/852-886م)
6. المنذر بن محمد الأول (273هـ-275هـ/886-888)
7. عبد الله بن محمد الأول (275هـ-300هـ/888-912م)
8. عبد الرحمن الثالث(الناصر) (300هـ-350هـ/912-961م)

وكان كل واحد من حكامها يسمى أميراً، لكن عبد الرحمن الأول لُقِب بلقب آخر هو الداخل[1] لأنه أول من دخل الأندلس وحكمها من بني أمية، كما يعرف أيضاً باسم عبد الرحمن الأول، تمييزاً له عن أميرين آخرين حكما الأندلس باسم عبد الرحمن، وهما عبد الرحمن الثاني أو الأوسط، وعبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله. أما من الناحية الروحية، فقد استمر عبد الرحمن الأول لفترة زمنية قصيرة بالخُطبة والدعاء للعباسيين في المشرق، لكنه لم يلبث أن قطع الدعاء لهم، وذلك لعدة أسباب منها، ملاحقة العباسيين لبني أمية وقتل الكثير منهم[2].

نقل عبد الرحمن الأول صيغة الحكم الوراثي إلى الأندلس، وذلك بنقل السلطة إلى أولاده وأحفاده من بعده، فعين ابنه الأمير هشام ولياً للعهد ليحكم بعد وفاته، واستمر الأمير هشام بن عبدالرحمن في الحكم حتى وفاته، ثم تولى ابنه الحكم الأول الإمارة، والذي عهد إلى ابنه عبد الرحمن بولاية العهد، فتولى عبد الرحمن الإمارة وعُرف بعبد

---

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص47.

(2) انظر التفاصيل: ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/ 1260م)، **الحُلّة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 1963م، ج1، ص35. (يشار إليه فيما بعد: ابن الأبّار، الحُلّة السيراء).

الرحمن الثاني أو الأوسط، ثم تولى الإمارة بعده ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي استمر في الولاية من سنة 238هـ/886م إلى سنة 273هـ/ 852م، وعند وفاته انتقلت الإمارة إلى اثنين من ابنائه، هما المنذر بن محمد الذي حكم سنتين تقريباً، وعبدالله بن محمد الذي حكم نحو خمس وعشرين عاماً، وكانت وفاته سنة 300هـ/912م[1]، وهو السابع من أمراء بني أمية بالأندلس[2]، الذي عهد بالحكم من بعده إلى أحد أحفاده، وهو عبد الرحمن بن محمد، الذي حكم نحو نصف قرن، وفي عهده أُعلنت الخلافة الأموية سنة 316هـ/928م، وابتدأ عهد جديد من عهود العرب في الأندلس[3].

لم يكن هؤلاء الأمراء جميعاً على مستوى واحد من القدرة والتمكن من القيام بشؤون الحكم، فقد تميز منهم عدة أمراء، كان لهم دورٌ كبيرٌ في مرحلة التأسيس والتوطيد لهذا العهد، ومن أهمهم الأمير عبد الرحمن الأول، وكل من ابنه هشام الأول، وحفيده الحكم الأول، كما امتاز الأمير عبد الرحمن الثاني بنبوغته وحكمته في إرساء القواعد التي وضعها عبد الرحمن الأول، ووصل بالبلاد إلى حقبة تميزت بالاستقرار والازدهار السياسي والحضاري والاقتصادي، وقد انشغل الأمراء الآخرون بقمع الثورات التي قامت ضد الإمارة الأموية من قبل مختلف الجماعات والشرائح الاجتماعية التي تعيش في البلاد، فقضوا سنوات حكمهم في صراع مرير لتحقق وحدة البلاد، ومن

([1]) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة، د.ط، القاهرة د.ت، ج5، ص235. (يشار إليه فيما بعد: القلقشندي، صبح الأعشى)؛ **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تعليق وتقديم شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت 1997م، ص89-90.(يشار إله فيما بعد: القلقشندي، مآثر الإنافة).

([2]) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مفيد قميحة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2004م، ج3، ص 231. (يشار إليه فيما بعد: النويري، نهاية الأرب).

([3]) العبادي، أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت، ص102-105. (يشار إليه فيما بعد: العبادي، في تاريخ المغرب).

هؤلاء الأمراء، الأمير محمد بن عبد الرحمن، وبشكل خاص في السنوات الأخيرة من حكمه، كذلك ابنيه الأميرين المنذر وعبدالله[1].

كانت أهم إنجازات الأمراء على الصعيد الداخلي محاولة تغيير مفهوم الحكم بإحلال سلطة الدولة محل سلطة القبيلة[2]، ومحاولة الحفاظ على وحدة الأمة الروحية عن طريق اعتناق مذهب الإمام مالك بن أنس[3]، والقضاء على الثورات والفتن الداخلية التي كانت تقوم بها مختلف العناصر التي تألَّف منها المجتمع الأندلسي الجديد، حيث اشترك في هذه الفتن الفاتحون الذين كانوا يتألفون من القبائل العربية والبربر، كما ساهم فيها أيضاً أهل البلاد الأصليون[4]. وأما على الصعيد الخارجي فقد حاولوا التصدي إلى فلول القوط المنهزمه بعد معركة وادي لُكّة[5] (92هـ/ 711م) الذين وصلوا إلى مناطق الشمال والشمال الغربي، وأوغلوا في الجبال الصخرية[6]، وكان المسلمون قد تركوا هؤلاء القوط دون أن يفرضوا سلطانهم على مناطقهم بشكل فعّال لوعورتها، وقساوة مناخها، وصعوبة الوصول إليها[7]، وقد استعاد القوط قوتهم وتكونت

([1]) أبو إصبع، نجمة خليل أحمد، **الحياة الفكرية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس في عهدي عبدالرحمن الناصر والحكم المستنصر**، رسالة ماجستير، إشراف شايف عبده سعيد و زريف مرزوق المعايطة، جامعة عدن 1420هـ/1999م، ص28. (يشار إليه فيما بعد: أبو إصبع، الحياة الفكرية).

([2]) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص36.

([3]) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي الحافظ (ت 403هـ/1013م)، **تاريخ علماء الأندلس**، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، د.ط، 1954م، ج1، ص154-155. (يشار إليه فيما بعد: ابن الفرضي، تاريخ).

(4) عنان، محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة 1988م، العصر الأول، ق2، ص267-273. (يشار إليه فيما بعد: عنان، دولة الإسلام).

(5) وادي لُكّة: من كورة شَذُونة الواقعة على نهر برباط في جنوب الأندلس. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص605/511.

(6) عنان، **دولة الإسلام**، 173.

(7) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص233.

نتيجة لذلك مراكز خارجة عن السلطة الإسلامية كان من أهمها وأخطرها مملكة اشتوريس[1]، كما حاولوا التصدي لبعض الاعتداءات الخارجية المتمثلة بغارات النورمان على الأندلس، وهجوم شارلمان ملك الفرنجة والكارولنجيين على الأندلس في عهد عبد الرحمن الأول[2].

وفي أواخر عهد الإمارة الأموية، ومنذ زمن الأمير عبدالله بن محمد (275-300هـ/ 888-912م) كانت الأندلس تعاني من أزمة سياسية شديدة، حيث أورد ابن عذاري في البيان المُغْرب أسماء أكثر من عشرين ثائراً تحت عنوان (جملة الثوار بالأندلس في أيام الأمير عبدالله، الخارجين عن الجماعة، المضرمين لنار الفتنة)[3]، ومن هؤلاء الثوار، عمر بن حفصون في إلبِيرَة[4]، وإبراهيم بن حجاج في إشْبِيلِيَة[5]، وبني مروان في بَطْلِيوس[6]، وسعد بن هذيل بحصن المُنْتِلُون، وديسم بن إسحاق في

---

(1) اشتوريس: حوز يشكل القسم الثاني من جِلِّيقِيّة. وجِلِّيقِيّة: بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة وياء مشددة، وهاء: وهي ناحية قرب ساحل المحيط الأطلسي في الجهة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة الإيبيرية، وقاعدة جليقية هي مدينة "أقش". انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين البغدادي (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر، د.ط، بيروت 1979م، ج2، ص157. (يشار إليه فيما بعد: ياقوت الحموي، معجم البلدان)؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص69.

(2) عنان، **دولة الإسلام**، 174.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص133-150.

(4) إلبِيرَة: من كور الأندلس الجليلة، تقع بين القبلة والشرق من قُرْطُبَة، بينها وبين غَرْناطة ستة أميال. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص26.

(5) إشْبِيلِيَة: مدينة أندلسية قديمة، تعني هذه الكلمة الأرض المنبَسْطة، بينها وبين قُرْطُبَة مسيرة ثمانية أيام، وتقع جنوب الأندلس، وتحديداً غرب قُرْطُبَة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص58.

(6) بَطْلِيوس: مدينة بالأندلس من إقليم مارِدَة بينهما أربعون ميلاً، وهي حديثة البناء، بناها عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن من الأمير عبدالله بن محمد. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص93.

مرسيَّة[1] ولورقة[2]، وعبيدالله بن أمية في جَيَّان[3]، وعبد الملك بن أبي الجواد في باجة[4]، ومنذر بن السليم في شَذُونة[5]، وكانت هذه الثورات قد أضعفت السلطة الأموية، وزادت من قوة الإسبان الذين استطاعوا أن يستولوا على كثير من المدن، والقلاع، والحصون من أيدي المسلمين[6].

4.1 نسبه وكنيته ومولده:

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم[7] المرواني الأموي، الأندلسي[1].

---

(1) مرسيَّة: مدينة أندلسية قديمة تقع في شرق الأندلس، وهي قاعدة تدمير. انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص11؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص539/131.

(2) لورقة: مدينة أندلسية قديمة، وهي من قواعد طُلَيْطُلَة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص130.

(3) جَيَّان: مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص183-184.

(4) باجة: مدينة أندلسية، سميت بهذا الاسم نسبة إلى باجة الإفريقية، بينها وبين قُرْطُبَة مئة فرسخ وهي من الكور المجندة حيث نزلها جند مصر .انظر :الحِمْيَري،**الروض المعطار**، ص 75.

(5) شَذُونة: من كور الأندلس المجندة والتي نزلها جند فلسطين من العرب، وهي كورة متصلة بكورة مورور، وفيها خيرات كثيرة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص339.

(6) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني (ت 776هـ/1374م)، **تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، دار المكشوف، د.ط، بيروت 1956م، ص27. (يشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب، أعمال الأعلام).

(2) الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال، راجعه محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، د.ط، القاهرة 1961م، ص37. (يشار

وكان يُكنى بأبي المطرِّف(2)، لكنَّ المصادر العربية لم تذكر أنَّ للناصر ولد اسمه المطرِّف، فربما هي صفة حسنة للناصر، يؤكد ذلك الأصل اللغوي للكلمة: (طَرَفَ)، قال الأصمعي: الطَرَف، الكريم من الخيل، وقال أبو زيد: هو نعت للذكور خاصة، يقال فلان كريم الطرفين يراد به نسب أبيه وأمه(3).

أما ميلاده فقد ذكر الخشني (ت 361هـ/972م) "أن عبد الرحمن بن محمد ولد صباح يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة سبع وسبعين

إليه فيما بعد: الإصطخري، المسالك والممالك)؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت 367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت 1967م، ص104. (يشار إليه فيما بعد: ابن حوقل، صورة الأرض)؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط1، بيروت 2002م، ج6، ص258. (يشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، الكامل)؛ ابن الأبّار، الحُلّة السيراء، ج1، ص197؛ ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685هـ/1286م)، **المُغْرب في حُلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة د.ت، ج1، ص181. (يشار إليه فيما بعد: ابن سعيد، المُغرب)؛ النويري، نهاية الأرب، ج3، ص232.

(3) الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 784هـ/1347م)، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت 1985، ج2، ص84-85. (يشار إليه فيما بعد: الذهبي، العبر)؛ ابن تغري بردي،= ==جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت 874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدَّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1992، ج3، ص379. (يشار إليه فيما بعد: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة).

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص197؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص181؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص158؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص28؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص232؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج3، ص379.

(3) الرازي، محمد بن أبي بكر (ت 721هـ/1321م)، **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، د.ط،، بيروت 1995م، ج1، ص 164. (يشار إليه فيما بعد: الرازي، مختار الصحاح).

ومائتين"[1]، كما ذكر النويري (ت 733هـ/1333م) أن عبد الرحمن بن محمد ولد يوم الخميس لتسع بقين من شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائتين[2].

ومما سبق يتضح أن مولد عبد الرحمن بن محمد كان يوم الخميس في شهر رمضان سنة 277هـ/ 890م، وكان مولده في مدينة قُرْطُبَة[3].

كانت والدة عبدالرحمن تُسمّى مُزنة[4]، وهي جارية إسبانية نصرانية[5]. ولم تعطِ المصادر تفاصيل أكثر عنها.

5.1 نشأته وصفاته:

نشأ عبدالرحمن يتيماً، حيث قُتل والده وكان عُمره عشرين يوماً[1]، وكان قاتل أبا عبدالرحمن أخاه المطرِّف، وذلك في إمارة أبيهما عبدالله[2]، فأقام الأمير عبدالله حد

---

(3) الخشني، القروي (ت 361هـ/972م)، **قضاة قُرْطُبَة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة 1989م، ص25. (يشار إليه فيما بعد: الخشني، قضاة قُرْطُبَة)؛ انظر: ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص14.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص233.

(3) الزركلي، خير الدين، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط6، بيروت 1984، ج3، ص233. (يشار إليه فيما بعد: الزركلي، الأعلام).

(4) الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الأزدي (ت 488هـ/1095 م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1997م، ص18. (يشار إليه فيما بعد: الحُميدي، جذوة المقتبس)؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1202م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة 1989م، ج1، ص39. (يشار إليه فيما بعد: الضبي، بغية الملتمس)؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج6، ص258؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص158؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص232.

(5) عنان، دولة الإسلام، ص373؛ الترمانيني، عبدالسلام، **أحداث التاريخ الإسلامي**، ط1، 1991م، ج1، ص665. (يشار إليه فيما بعد: الترمانيني، أحداث التاريخ).

القتل على ابنه المطرّف[3]، وذكر المقّري (ت 1041هـ/ 1631م) سبب مقتل أبي عبدالرحمن فيقول: "إنَّ الأمير عبدالله اختار محمداً أكبر أولاده لولاية عهده، فحقد عليه أخوه المطرّف فقتله"[4]، وعندما علم عبد الله بما فعله ابنه المطرّف بأخيه محمد أقام عليه الحد، ثم نقل ولاية العهد لحفيده عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله، لأنَّ أباه قُتل ظلماً[5].

وبعد وفاة والد عبدالرحمن تولى الجد الأمير تربية الطفل عبدالرحمن والإشراف عليه[6]، فكّرس الجد حياته لتنشئة حفيده، والإشراف على تربيته بنفسه، وجعل له حجرة في قصره، فبقي تحت رعايته وإشرافه، كما اهتم الجد بتعليم حفيده القرآن والسُنَّة إلى درجة تسمو على سنِّه الذي لم يتجاوز العاشرة، ثم درس النحو والشعر، والعلوم والمعارف، وتعلَّم الفروسية، وفنون الحرب، وكان الجد يؤثره من دون بنيه، ويرشحه لأمره، ويعقده في الأعياد والمواسم مقعده، ويأمر بالسلام عليه[7]. وقد أولى الجد حفيده

---

(1) الحُميدي، جذوة المقتبس، ص18؛ ابن سعيد، المُغْرب، ج1، ص181؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39.

(2) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ ابن سعيد، المُغْرب، ج1، ص181؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص28؛ ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت 808هـ/1406م)، **تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم**، دار الكتاب المصري، د.ط، 1999م، مج7، ص298. (يشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، العبر).

(3) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182، انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج6، ص257.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، 167.

(5) عنان، **دولة الإسلام**، ص373؛ الترمانيني، **أحداث التاريخ**، ج1، ص66.

(6) الترمانيني، **أحداث التاريخ**، ج 1، ص665؛ عنان ، **دولة الإسلام**، ص373؛ نعنعي، عبدالمجيد، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت د.ت، ص316–317. (يشار إليه فيما بعد: نعنعي، تاريخ الدولة الأموية).

(7) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص29.

عناية خاصة، وجعله أميناً على بعض أعماله، وكان يسند إليه بعض المهام[1]. وهكذا كانت فترة طفولة الأمير عبدالرحمن ونشأته تحت رعاية وإشراف جده، الذي بذل كل مجهود لتربية وتعليم حفيده[2]، مما كان له الأثر الأكبر في اكتساب هذا الطفل الكثير من الصفات الخُلقيَّة الإيجابية، التي تمسك بها خلال فترة إمارته وخلافته، وقد وصف ابن عبدربه (ت 328هـ/949م)، الناصر بقوله: "القمر الأزهر، الأسد الغضنفر، الميمون النقيبة، المحمود الضريبة سيد الخلفاء، وأنجب النجباء... ومن مناقبه التي لا أخت لها ولا نظير، ما أعجز فيه من بعده، وفات فيه من قبله من الجود الذي لم يُعرف لأحد من الجاهلية والإسلام إلا له، وقد ذكرت ذلك في شعري الذي أقول فيه:

يا ابن الخلائفِ والعُلا للمعْتلي ... والجود يُعرفُ فضلُه للمُفضلِ

نوَّهت بالخلفاءِ بل أخملتهُم ... حتى كأن نبيلَهُم لم ينْبُل

أذكرْت بل أنسيتَ ما ذكَرَ الإلى ... من فعلهم فكأنه لم يُفعل

وأتيتَ أخرهم وشأوُك فائتُ ... للأخرين ومُدرِكُ للأوّل

ألآن سُمّيتِ الخلافةُ باسمها ... كالبدرِ يُقرنُ بالسّضماكِ الأعزل

تأبى فِعالُك أن نقِرّ لآخرٍ ... منهم وجودُك أن يكونِ لأول[3]

وكان الناصر إماماً عادلاً، وملكاً فاضلاً[4]، و شهماً صارماً[5]. وقد أجاد ابن الآبار (ت658هـ/1260م) في وصفه فقال: "أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً، وأفخمهم

---

(1) الحجي، عبدالرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غَرْناطة (92-897هـ/711-1492م)**، دار الاعتصام، ط1، القاهرة، ص297. (يشار إليه فيما بعد: الحجي، التاريخ الأندلسي).

(2) الترمانيني، **أحداث التاريخ**، ج1، ص66.

(3) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ/949م)، **العقد الفريد**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت1989م، ج4، ص459-460. (يشار إليه فيما بعد: ابن عبد ربه، العقد الفريد).

(4) الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص25.

(5) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ ابن سعيد، المُغْرب، ج1، ص181؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج23، ص234.

في القديم والحديث شاناً... وكان حريصاً على المُلك، يقظاً صارماً"[1]، "وظهر لأول ولايته من يُمْنِ طائرِهِ، وسعادة جده، واتساع ملكه، وقوة سلطانه، وإقبال دولته، وخمود نار الفتنة على اضطرامها بكل جهة، وانقياد العصاة لطاعته مما تعجز عن تصوره الأوهام"[2].

ومدحه إسماعيل بن بدر (أحد كُتَّاب الناصر) فقال:

لو كان يُعبدُ دون الله من أحدٍ ... ما كان غيرُك في الدنيا بمعبود
قد فات قدرك وصف الواصفين فما ... ذكراك إلا بتحميدٍ وتمجيد
لما ذكرتُك يوماً قلت من جذلٍ ... يا نعمة الله في أيامه زيدي[3]

فالشاعر في الأبيات السابقة أضفى على الناصر درجات العلو والتنزيه، فلولا وجود الله تعالى لكان الناصر المعبود في الأرض، ففي هذا المدح مبالغة واضحة في تعظيم الناصر وإبراز هيبته، لكن هذه الأبيات لا تخلو من إعطاء صورة عن صفات ومكانة الناصر الجميلة بين حاشيته.

وقال الشاعر السِناط[4] في مدح الناصر:

أَخَذُو الورَى مِنْ جُودِهِ فَغَنُوا بِهِ ... كُلّ بِأَجْمَعِهِمْ وَلَمْ يُخْلَلْ بِهِ
كَالشَّمْسِ تَأْخُذُ كُلُّ عَيْنٍ مِلأَهَا ... مِنْهَا وَتَبْقَى والشّعَاعُ بِحَسْبِهِ
مَلْكٌ يَظَلُّ الْمَدْحُ يَهْجُو بَعْضَهُ ... بَعْضاً إِذَا مَا الْمَدْحُ لَمْ يُمْدَحْ بِهِ[5]

ووصف ابن سعيد (ت 685هـ/ 1286م) الناصر بأنه: "ربما كان أجود من جميع من مَلَكَ من بني مروان"[1]، و"كان ممدَّحاً جواداً سعيد الحياة فقير الممات... ومشغوفاً

(1) ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص197.

(2)ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص324.

(3)ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص254.

(4) السِناط: هو حسن بن حسّان الطائي الأندلسي، كانت له منزلة خاصة عند الناصر. انظر: ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت 469هـ/1077م)، **المقتبس**، تحقيق شالميتا وأخرون، د.ط، مدريد 1979م، ج5، ص43. (يشار إليه فيما بعد: ابن حيان، المقتبس).

(5) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص43.

بتضخيم البنيان، والسّلطنة والجند"[2]، ووصفه موسى بن حُدير (حاجب الناصر): "ما رأيت أذكى منه، كنت والله معه في الشئ تحليقاً على سواه، حتى أخرج إليه فيسبقني لمرادي، ويعلم ما بنيت عليه تدبيري، وكان معروفاً بحسن العهد"[3].

واستمر المؤرخون في مدح الناصر والثناء عليه، وإظهار قوة ملكه وجوده وكرمه ودهائه فقال ابن عذاري (ت 695هـ/ 1296م): "كان الناصر ملكاً أزال الأواء، وحسم الأدواء، وقهر الأعادي، وعدل في الحاضر والبادي... ومن مناقبه كثرة جوده الذي لم يُعرف لأحدٍ قبله من أجواد الجاهلية والإسلام"[4]، و "وكان أعظم أمراء الإسلام في عصره، بل ربما أعظم أمراء عصره قاطبة، ولم تصل الدولة الإسلامية في الغرب إلى ما وصلت إليه في عصر الناصر، من القوة، وكان يتمتع بحزمه وصرامته بجده الأكبر عبدالرحمن الداخل"[5]. وكان "كبير القدر كثير المحاسن"[6].

ويصف ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م) الناصر فيقول: "الذروة العليا في ملوك بني أمية، طال عمره، واتسع سعده، واشتهرت أيامه، وبعد صيته، وانتشرت بالعدوة الغريبة طاعته، وعلت على منابرها كلمته"[7].

وأوضح ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م)، صفات الناصر فقال: "أعظم ما كان سلطانه، وأعز ما كان الإسلام بملكه"[8] ، ويذكره بعض المؤرخين: "كان الناصر من أجلِّ ملوك الأندلس"[9]. ويتابع المقّري (ت 1041هـ/ 1631م)، والحنبلي (ت

---

(1) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص184؛ انظر: المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص380.

(2) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص184.

(3) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص185.

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص163؛ انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج23، ص233.

(5) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص224؛ انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج23، ص233.

(6) الذهبي، **العبر**، ج2، ص85.

(7) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص29.

(8) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص312؛ انظر: المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص379.

(9) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص181؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج23، ص234.

1089هـ/ 1678م) الحديث في مدح الناصر فيذكرا أن: "الخليفة الناصر حَلف السعودِ المضروب به المثل في الإرتقاء في الدنيا والصعود"(1).

وكان الناصر يحب الجهاد في سبيل الله، فيقود الصوائف والشواتي في كل سنة ضد الممالك الإسبانية في الشمال، حتى هابته(2)، ففي عام 336هـ/ 947م وفدت على الناصر رسل إمبراطور القسطنطينية قسطنطين بن ليون بن شل(3)، حيث جاء في رسالته واصفاً الناصر: "العظيم الاستحقاق، المفخر الشريف النسب عبد الرحمن الحاكم على العرب بالأندلس أطال الله بقاءه"(4). ولا شك أن هذه السفارات تدل على سمو مكانة وعلو شأن الناصر، وما وصل إليه من الجاه والسلطان، فقد كان شجاعاً حازماً متميزاً بالصرامة.

وقد مدح أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ/966م) الناصر عندما دخل الأندلس قادماً من العراق، وكان باستضافه الناصر، فخطب على الناس بكلامٍ عجيب، فقال في مدح الناصر: "وإني اذكركم بأيام الله عندكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمّت شعثكم، وأمنت سِربكم، ورفعت خوفكم، بعد أن كنتم مستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم"(5)، وبالإضافة إلى ما سبق فقد كان الناصر "عاقلاً مصلحاً طموحاً...ومحباً للعمران"(6)، ومتواضعاً، قنوعاً، محباً لقضاته، فيجلس معهم ويستمع إليهم، ويأخذ بأرآئهم، ومن الأمثلة على ذلك حكاية تُبرز بعض صفات الناصر الخُلقية جاء فيها: "أن الناصر بنى قُبّةً واتخذ قراميد القبة من الذهب والفضة، وجعل سقفها نوعين صفراء فاقعة، وبيضاء ناصعة، يستلب الأبصار شعاعها، فجلس

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص379/356؛ الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089هـ/ 1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيرة، ط2، بيروت 1979م، ج3، ص5. (يشار إليه فيما بعد: الحنبلي، شذرات الذهب).

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص223–224؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298.

(3) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص364.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص368.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص369.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص356.

فيها، فقال لوزرائه وأقربائه: أرايتم أم سمعتم ملكاً صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: لا والله يا امير المؤمنين، فدخل القاضي: أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي[1] ناكساً رأسه، فقال له الناصر ما قاله لوزرائه وأقربائه، فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تُمكنه من قيادتك هذا التمكين، مع ما آتاك الله تعالى وفضّلك به على المسلمين، حتى يُنزلك منازل الكافرين، فاقشعرّ الناصر من قوله، وقال له: انظر ما تقول كيف أنزلني منازلهم؟ قال: نعم أليس الله تعالى يقول: ﴿**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾[2]، فنكس الخليفة رأسه، ودموعه تنحدر على لحيته خُشوعاً وتذمّماً لما جرى، ثم أقبل على القاضي وقال له: جزاك الله عنَّا وعن الدين خيراً، وكثّر الله أمثالك، فالذي قلت والله هو الحق، وقام من مجلسه يستغفر الله تعالى، وأمر بنقض سقف القُبّة، وأعاده على صفةٍ غيرها"[3]. ولا تخلو هذه الحكاية من الإشارة إلى إلتزام الناصر بشرع الله تعالى، وتقبّله النصح من رجال دولته.

ومن أبلغ العبارات التي عبرت عن الناصر وعصره ما قاله دوزي: "وكأننا نجد إذا ما درسنا ذلك العصر الزاهر، أن الصانع يثير الإعجاب والدهشة بأكثر مما يثيرها المصنوع، تثيرها تلك العبقرية الشاملة التي لم يفلت شيء منها، والتي كانت تدعو إلى الإعجاب في تصرفها نحو الصغائر، كما تدعو إليه في أسمى الأمور، إن ذلك الرجل الحكيم النابه الذي استأثر بمقاليد الحكم، وأسس وحدة الأمة، ووحدة السلطة معاً، وشاد بواسطة معاهداته نوعاً من التوازن السياسي، والذي اتسع تسامحه الفياض لأنه يدعو

---

(1) انظر ترجمته: المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص372.

(1) **سورة الزخرف**، أية 33.

(2) الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 866هـ/1461م)، **صفة جزيرة الأندلس**، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ.لافي بروفنسال، دار الجيل، د2، بيروت 1988م، ص140-141. (يشار إليه فيما بعد: الحِمْيَري، صفة جزيرة الأندلس).

إلـى نصـحة رجـالات مـن غيـر المسـلمين، لأجـدر بـأن يعتبـر قريبـاً لملـوك العصـر الحديث، لا خليفة من خلفاء العصور الوسطى"[1].

وعدّه أرنولد توينبي "مثالاً للعالم المستنير الذي يتخطى عصره بملكاته وبمواهبه وأخلاقه وفهمه لمسؤولية الحاكم وقدرته على القيام بمسؤولياته جميعاً"[2].

وبالنسبة لصفات الناصر الخَلقيَّة، فقد كان الناصر أشقراً أبيضاً، وذلك كما روى ابن حزم (ت 456هـ/ 1063م) عن أبيه: "أن الناصر والحكم المستنصر كانا أشقرين أشـهلين، فـإني قـد رأيـتهم مـراراً، ودخلـت علـيهم فـرأيتهم شُـقراً شُـهلاً، وهكـذا أولادهـم وإخوانهم وجميع أقاربهم"[3] ، كما كان الناصر حسن المبسم[4] والوجه، عظيم الجسم، طويل الظهر، وقصير الساقين[5].

6.1 ثقافته:

كان الناصر قد نشأ منذ صغره في قصر جده، فبدأت ثقافته عربية دينية، منذ أن درس القرآن والسنة وهو طفل لـم يتجـاوز العاشـرة مـن عمـره، ثـم درس النحـو والشـعر والعلوم والمعارف، وأحب الناصر الشعر والأدب، فجالس الشعراء والأدباء[6]، وعندما تـولى الإمـارة كـان أديبـاً وشـاعراً يقـرِّب الأدبـاء والشـعراء، ويغـدق علـيهم صـلاته

---

(3) عنان، **دولة الإسلام**، ص463.

(2) مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار مطابع المستقبل، ط1، القاهرة 1980م، ص230. (يشار إليه فيما بعد: مؤنس، معالم تاريخ المغرب).

(3) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/1063م)، **طوق الحمامة في الأُلْفة والأُلّاف**، حققه حسن كامل الصيرفي، قدم لـه إبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، القاهرة، ص28–29. (يشار إليه فيما بعد: ابن حزم، طوق الحمامة).

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص234.

(5) ابن الاثير، **الكامل**، ج8، ص177؛ ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774هـ–1372م)، البداية والنهاية، مكتبة الإيمان، د.ط، د.ت، ج11، ص245. (يشار إليه فيما بعد: ابن كثير، البداية والنهاية).

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص167.

الواسعة[1]، وكان على علاء جانبه واستيلاء هيبته يرتاح للشعر وينبسط إلى أهله[2]، فقد كتب إليه كاتبه إسماعيل بن بدر بعد أن افتتح الناصر معقلين من معاقل ابن حفصون، فقال الكاتب :

لقد حلَّت حُميا الراح عندي　　　وطابت بعد فتحك معقلين
وآذنَ كلُّ همٍّ بانفراجٍ　　　وأن يقضي غريم كُلُّ دَينِ[3]

فأجابه الناصر بقوله:

كيف وأنَّي لمن يناجي　　　من لوعة الشوق ما أناجي
يطمع أنْ يستريحَ وقتاً　　　أو يقتلَ الراحَ بالمِزاج
لو حُمِّل الصخرُ بعض شَجوِي　　　عاد إلى رِقَّة الزجاجِ
كنت كما قد علمتَ الهَو　　　لَ إذ أنا مما شكوتُ ناج
فصرتُ للبين في علاجٍ　　　طَمَّ وأربى على العلاج
الوردُ مما يهيجُ حُزني　　　ويبعث السوسنُ اهتياجي
أرى ليالي بعد حُسنٍ　　　أقبحَ من أوجهٍ سماج
لا ترجُ مما أردتِ شيئاً　　　أو يؤذن الهمُّ بانفراج[4]

ومن أقوال الناصر في الشعر:

ما كلُّ شيءٍ فقدت إلا　　　عوَّضني اللهُ عنهُ شيئاً
إني إذا منعتُ خيري　　　تباعدَ الخيرُ مِن يديَّا
من كان لي نعمةٌ عليه　　　فإنّها نعمةٌ عليّا[5]

ومما نُسب للناصر من الشعر:

([1]) باشا، ضياء، **الأندلس الذاهبة، الفتوحات الإسلامية في إفريقيا والأندلس، الدولة الأموية في الأندلس**، تعريب عبد الرحمن ارشيدات، تحقيق صلاح ارشيدات، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط1، عمان 1989م، ج1، ص174. (يشار إليه فيما بعد: باشا، الأندلس الذاهبة).

([2]) ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص199.

([3]) ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص199-200.

([4]) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص132-133؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص200.

(5) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص184؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص380.

لا يضرُّ الصغيرَ حِدثانُ سنٍّ إنّما الشأن في سعود الصغار
كم مقيمٍ فازت يداه بغُنمٍ لم تنله بالرَّكضِ كفُّ مُغير [1]

وبعد أن أصبح الناصر أميراً وتوسعت ثقافته العربية والدينية، اهتم بتعليم أبنائه فأحضر لابنه الحكم جُل الأساتذة، كان على رأسهم العالم الفاضل أبي علي القالي البغدادي، الذي اجتهد بتدريس الحكم الحديث واللغة العربية، وقام بتأديبه. ومن مظاهر اهتمام الناصر بالثقافة العربية أن بيته أصبح مجمعاً للحكماء، حيث كانت تعقد عنده مجالس الأدب، وتجري فيه المناظرات[2]، ويعتبر الناصر أول مَنْ وضع فكرة انتداب العلماء من المشرق إلى الأندلس[3].

وكان من نتائج اهتمام الناصر بالثقافة العربية أن أصبح عصره عصر الثقافة العربية، فقد ندب الناصر ابنه الحكم للقيام بمهمة رعاية العلم والعلماء في إمارته [4]، فقد أوضح ابن صاعد (ت 462هـ/ 1070م) ذلك بقوله: "ثمَّ لمّا مضى صدر في المائة الرابعة أُنتُدِبَ الأمير الحكم بن عبدالرحمن الناصر لدين الله وذلك في أيام أبيه إلى العناية بالعلوم وإلى إيثار أهلها"[5].

كان الناصر عالماً يرعى العلماء والفقهاء والمعلمين، فيستقبلهم في مجلسه ويمنحهم جوائز، ولم يقتصر ذلك على المشهورين منهم، بل لقد وصل إلى معلمي

---

(1) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص29؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص379/356.

(2) الطّباع، عبدالله انيس، **القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، دار ابن زيدون، ط1، بيروت 1986م، ص147. (يشار إليه فيما بعد: الطباع، القطوف اليانعة)؛ بالنثيا، آنخل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، منشورات مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة 1955م، ص172–173. (يشار إليه فيما بعد: بالنثيا، تاريخ الفكر)؛ باشا، الأندلس الذاهبة، ج1، ص174.

(3) باشا، **الأندلس الذاهبة**، ج1، ص474.

(4) أبو إصبع، **الحياة الفكرية**، ص114.

(5) ابن صاعد، صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي الأندلسي (ت 462هـ/1070م)، **طبقات الأمم**، وضع المقدمة محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، د.ط، 1967م، ص102. (يشار إليه فيما بعد: ابن صاعد، طبقات الأمم).

الكتّاب، وقد كان محمد بن يحيى الزهري، المعروف بالإشبيلي الزاهد، من أهل قُرْطُبَة، ويكنى أبا عبدالله (ت 325هـ/ 936م) يدخل على الناصر، ويأخذ جوائزه[1].

وكان العلماء يجتهدون بتأليف الكتب، والتي يهدونها للناصر، فأبو علي القالي قد ألّف كتابين الأول: (كتاب العالم) وهو في الحديث، والثاني: (كتاب الأمالي) الذي يعرض فيه طائفة من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفصولاً متفرقة في العرب ولغتهم وشعرهم وأمثالهم، وأخبار تاريخية تتصل ببعض شعرائهم في عصر الخلافة، وقد أهدى هذا الكتاب للناصر، ومما جاء في إهدائه: "فإني لما رأيت العلم أنفس بضاعة، أيقنت ان طلبه أحسن تجارة، فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراية، ثم اعملت نفسي في جمعه، وشغلت نفسي بحفظه، حتى حويت خطيره، وأحرزت رفيعه، ورويت جليله، وعرفت دقيقه، وعقلت شارده ورويت نادره، وعلمت غامضه، ثم صنته بالكتمان عمّن لا يعرف مقداره، ونزّهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه، وجعلت غرضي أن أودعه من يستحقه، وأبديته لمن يعلم فضله، وأنشره عند من يشرّفه، واقصد به من يعظمه...." [2]. وقام ريكيموندو أحد خدم الناصر بتأليف كتاب أسماه "تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان"، وهو تقديم فلكي مُناخي زراعي[3]. ولا شك أن حركات التأليف هذه تشير إلى ثقافة الناصر العربية، ومدى اهتمامه بالعلم والعلماء.

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد اهتم الناصر بالمناظرات العلمية التي كانت تُعقد في دور العلماء، ولا ينتمي إلى هذه المجالس إلا من كفاءته العلمية تؤهله لذلك؛ لأن أعضاء المجلس يتعرضون للجدال والنقاش، فإذا كان قادراً على ذلك أجلسوه مجلس العلماء وحظي بشرف الانتساب لعضوية المجلس، وكان الناصر ممن نال شرف مجالسة العلماء في المجلس العلمي، كذلك كان ابنه الحكم عندما كان ولياً لعهد والده، الذي نجح في المناظرة العلمية التي جرت بينه وبين العلماء، فاستحق عن جدارة لقب

([1]) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص342.

([2]) انظر التفاصيل: بالنثيا، **تاريخ الفكر**، ص173.

([3]) الطباع، **القطوف اليانعة**، ص148؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر**، ص487.

عضو المجلس العلمي، كما كان من شدة حُب الناصر للعلم والعلماء أنْ جعل بيته الخاص مجلساً علمياً، لاجتماع الأدباء والفلاسفة والعلماء[1].

ومما يدل على ثقافة الناصر الواسعة اعتنائه بإنشاء المكتبات العامة والخاصة، فقد كانت مكتبة القصر دليلاً واضحاً على الدرجة العالية التي بلغتها الثقافة الأندلسية في عهد الناصر، حيث تكونت منها مكتبة الحكم المستنصر التي احتوت على مجموعة كبيرة من الكتب المفيدة التي كانت موضع فخر، وهذا يشير إلى النهضة الأدبية التي تجلّت في كثرة الانتاج الأدبي والعلمي المتميز بخصوبته وتنوّعه، فانتشرت في الأندلس المكتبات الخاصة والعامة[2]، فكانت قُرْطُبَة "هي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل أن تكون في بيته خزانة كتب"[3].

ولقد أصبحت قُرْطُبَة بفضل تشجيع الناصر للعلم والعلماء منارة تجتذب إليها الأدباء والعلماء من كل أنحاء العالم الإسلامي[4]، فكان ذلك نموذجاً واضحاً لما يعرف في العصر الحديث باسم سرقة العقول، ليس ذلك إلا واحداً من المؤشرات في جملة الشواهد الكثيرة لما وصلته عاصمة العلم (قُرْطُبَة) في عهد خليفتها الناصر.

هذا وقد ازدادت الدائرة الثقافية للناصر، لتشمل مجالسة علماء بصرف النظر عن ديانتهم، فقد جالس علماء غير مسلمين، منهم الطبيب اليهودي الذائع الصيت حسداي بن شبروط، وكان من نتائج جلساته مع هذا اليهودي أن بدأت الدراسات التلمودية في الأندلس، ولم تلبث الأندلس أن أصبحت مركزاً هاماً للدراسات العبرية، وهذا أتاح لليهود فيما بعد أن يقوموا بنصيب كبير في الثقافة الأندلسية[5].

---

(1) باشا، **الأندلس الذاهبة**، ج1، ص452؛ أبو إصبع، **الحياة الفكرية**، ص115.

(2) بالنثيا، **تاريخ الفكر**، ص10.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص386.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص380.

(5) بالنثيا، **تاريخ الفكر**، ص9.

7.1 زوجات الناصر وأولاده:

ذكر ابن حيان أسماء زوجتان للناصر الأولى: مرجان، أم الحكم المستنصر، وكانت أديبة لطيفة المقاصد، والثانية: فاطمة بنت المنذر القرشية[1].

أما أولاده فقد ذكرت بعض المصادر عددهم وبعض أسمائهم دون أن تعطي تفاصيل أكثرعن حياتهم سوى ابنه وولي عهده الحكم المستنصر[2] الذي اعتلى حكم الأندلس بعد وفاة أبيه، والذي حكم من سنة 350هـ/961م إلى سنة 366هـ/976م) [3]، ويذكر الضبي (ت 599هـ/ 1202م): أنَّ الناصر ترك من الأولاد أحد عشر ولداً[4]. أما أسماء بعض أولاد الناصر، فمنهم عبدالله (أبو محمد) الذي قتله أباه (الناصر) سنة 339هـ/950م، عندما بلغه أنه يريد قتله وأخذ الخلافة[5]. وفي ذلك يقول ابن الأبّار (ت 658هـ/ 1230م): "كان عبدالله قد سَمَتْ نفسه إلى طلب الخلافة في حياة أبيه وتابعه قوم واخفوا أمرهم، فبيّتوا على اغتيال والده واخيه الحكم الذي كان ولي عهد أبيه، فبلغ أباه الخبر فسَجَنَ ابنه عبدالله وسجَنَ متبعيه، ثم أخرجه وأخرجهم يوم عيد الاضحى سنة 339هـ/950م، واحضره وأحضرهم بين يديه، وقال لخواصه: هذه أضحيتي في هذا العيد، ثم أضجعه وذبحه بيده، وقال لاتباعه: ليذبح كل منكم

([1]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص8؛ انظر: ابن الآبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت 658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبدالسلام الهرش، دار الفكر للطباعة، د.ط، لبنان 1995م، ج4، ص247. (يشار إليه فيما بعد: ابن الآبار، التكملة)؛ الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج3، ص4.

(2) انظر: ترجمة الحكم المستنصر: ابن الفرضي، **تاريخ** ج1، ص15؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج8، ص224؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص200 وما بعدها؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص233 وما بعدها.

([3]) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص237.

([4]) الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص245.

([5]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص16/19؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص186.

أضحيته، فاقتسموا أصحاب عبدالله وذبحوهم عن أخرهم"[1]. ومما لاشك فيه أنّ هذه الرواية لا تخلو من المبالغة. فكيف يقوم الأب بقتل ابنه، وخاصة بهذه الطريقة العنيفة، وفي يوم الأضحى تحديداً؟!. فربما أراد ابن الأبار إظهار صفة الشدة والحزم والصرامة للناصر.

ومن أولاد الناصر، هشام، وقد حدد ابن عذاري (ت 695هـ/ 1295م) سنة وفاة هشام بن الناصر وعُمره في سنة 303هـ، وهو ابن خمس وخمسين سنة، وكان بِكر والده، ودُفن بمقابر قريش بالربض[2]. وهذه الرواية مشتبه بها، إذا ما اعتبرنا أن ميلاد الناصر كما أكدته المصادر كان سنة 277هـ[3]، فإن الناصر في سنة 303هـ كان عُمره ستاً وعشرين سنةً، فكيف يصبح عُمر ابنه هشاماً خمساً وخمسين سنة، وعُمر أبيه ست وعشرين سنةً معاً؟!. فمن الممكن أن يكون للناصر ولدٌ يسمى هشاماً، لكن من غير الممكن أن تكون سنة 303هـ سنة وفاته. ومن أولاده سليمان (أبو أيوب)[4]، ومحمد[5]، والمنذر، وعبد العزيز شقيق الحكم[6]، والمغيرة أصغر أولاده[7].

أما بنات الناصر فله ابنة تسمى عائشة[8]، وأخرى تسمى هند التي توفيت سنة 399هـ/ 1008م[9].

8.1 بيعته بالإمارة:

([1]) ابن الأبـار، **الحُلّـة السيراء**، ج1، ص206؛ انظر: ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص186؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب** ، ج2، ص27.

([2]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص168.

(6) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص14؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص233.

([4]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص19/16.

([5]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص19؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص174/191.

([6]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص196/199/202-204/206/273.

([7]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص19/16.

([8]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص271.

([9]) ابن الآبار، **التكملة**، ج4، ص249.

كان الأمير عبدالله بن محمد قد اختار محمداً أكبر أولاده لولاية عهده[1] فحقد عليه أخوه المطرّف فقتله[2]، وعندما علم عبد الله بما فعله ابنه المطرّف بأخيه محمد قتله به[3]، فاهتم الأمير عبدالله بتربية وتعليم حفيده عبدالرحمن حتى برئ بخاتمه إليه[4]فرشحه لولاية العرش[5]، لأن أباه قُتل ظلماً[6].

وهكذا أصبح عبد الرحمن بن محمد وليّاً للعهد بعد وفاة أبيه، وبالتالي فهو المرشح الأول لإمارة الأندلس بعد وفاة جده.

وما كاد الأمير عبدالله يسلِّم أنفاسه الأخيرة في مستهل شهر ربيع الأول سنة 300هـ/912م حتى بويع حفيده عبد الرحمن بالمُلك[7] وله اثنتان وعشرون سنة[8]. فجلس عبد الرحمن للبيعة في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير صباح يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة 300هـ/912م[9]في قاعة المجلس بقصر قُرْطُبَة[10] فكان أول من بايعه أعمامه أبان، والعاصي، وعبدالرحمن، ومحمد، وأعمام أبيه، وتلاهم أخوة جده[11]، وقد مثلوا أمامه وعليهم الأردية والظهائر البيض عنوان الحزن على الأمير الراحل، وتكلم بلسانهم عمه أحمد بن عبدالله فقال:" واللهِ لقد اختارك الله على علم

(1) عنان، **دولة الإسلام**، ص373.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، 167.

(3) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182.

(4) عنان، **دولة الإسلام**، ص373.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، 167.

(6) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص157.

(7) الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج2، ص233.

(8) الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ ابن خلدون، **العبر**، مج8، ص298؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص235؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج3، ص379.

(9) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص14؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص232.

(10) ابن عبدربه، **العقد الفريد**، ج4، ص458؛ ابن الأبار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص197؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص158.

(11) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص29.

للخاص منا والعام، ولقد كنت أنتظر هذا من نعمة الله علينا، فأسأل الله إيزاع الشكر، وتمام النعمة، وإلهام الحمد"[1]. وتتابع للبيعة بعد ذلك وجوه الدولة والموالي، ثم أهل قُرْطُبَة من الفقهاء والأعيان، ورؤساء البيوتات، واستمرت بيعة الخاصة على هذا النحو حتى الظهر، وعندئذٍ نهض الأمير الجديد فصلّى على جثمان جدِّه، ثم واراه في مدفنه بالروضة، ومعه الوزراء ورجال الدولة، وجلس لتلقي البيعة في المسجد الجامع صاحب المدينة الوزير موسى بن محمد بن حُدير، والقاضي أحمد بن زياد اللخمي، وصاحب الشرطة العليا ابن الوليد الكلبي، وصاحب الشرطة الصغرىأحمد بن محمد بن حُدير، وصاحب أحكام الأسواق محمد بن محمد بن أبي يزيد، فاستمرت بضعة أيام[2]. وبايع الجميع بصدورٍ منشرحة وألسنة داعية شاكرة لله على ما قلَّده من أمرهم، كذلك أنفذت الكتب بأخذ البيعة إلى جميع الكور والأطراف[3]. وساد البشر يوم البيعة في القصر والمدينة، وتعلقت آمال الناس بهذا الشاب اليتيم[4]، وتوسم الجميع في الأمير الفتى آيات العظمة واليمن، وعلقوا على ولايته الآمال. وفي ذلك يقول ابن عبدربه (ت 328هـ/ 939م) يوم أن تولى عبد الرحمن الإمارة:

بدا الهلال جديداً — والمُلك غض جديد
يا نعمة الله زيدي — ما كان فيك مزيد[5]
إن كان للصوم فطر — فأنت للدهر عيد[6]
إمام عدل عليه — تاجان : بأس وجود
يوم الخميس تبدى — لنا الهلال السعيد
فكل يوم خميس — يكون للناس عيد[7]

([1]) عنان، **دولة الإسلام**، ص374.
([2]) عنان، **دولة الإسلام**، ص374.
([3]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب** ، ج2، ص158.
([4]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص151.
([5]) ابن عبدربه، **العقد الفريد**، ج4، ص458.
([6]) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص354.
([7]) عنان، **دولة الإسلام**، ص374.

ويعلِّق المؤرخون على ولاية الناصر بأنها "كانت من المستطرف (أي الغريبة، النادرة)، لأنه كان شاباً وبالحضرة أكابر أعمامه، وأعمام أبيه، وذوي القُعدُد(أخوة الجِد) في النسب من أهل بيته، فلم يعترض عليه مُعترض، واستمر الأمر كذلك"[1]. ويمكن تعليل ذلك بالعودة إلى تلك الصفات التي توفرت في الناصر القائد والأمير، والذي أصبح عند حسن ظن الجميع، كما إن أقاربه قد تخلوا عن الإمارة زاهدين فيها لما يحيط بها من أخطار[2]. فقد تولى الناصر عرش الأندلس و كانت الثورات والفتن متفاقمة، والبلاد تعاني من الإرهاق السياسي والاقتصادي، ولكن شخصيته القوية جعلته يواجه كل تلك الصعوبات بحزم وشجاعة، فقضى عليها، ونشر الأمن في البلاد، كما سنلحظ ذلك في الصفحات القادمة.

9.1 وفاته:

بدأ مرض الناصر في يوم الأربعاء لإحدى عشر ليلة خلت من صفر سنة 349هـ/960م بسبب تعرضه لريح باردة، "فأرجف به، وخيف عليه، وأكبت الأطباء على معالجته إلى أن ظهر عليه تجفيف، فتحشم القعود لخاصته في العشر الأول لجمادي الأولى، فوصل إليه الفتيان الأكابر، وصاحب الطراز وخواص أكابر العبيد، فاستبشر أهل المملكة بما بدا لهم من انحطاط مرضه، وسألوا الله كمال عافيته، والقضاء قد سبق الموت من علّته فلم تفارقه، تخف حيناً وتثقل حيناً إلى أن قضت

---

(1) الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص181؛ ابن خلدون، **العبر**، مج8، ص298؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج3، ص379؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص354.

(2) سالم، السيد عبدالعزيز، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية 1985م، ص367. (يشار إليه فيما بعد: سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام).

عليه"[1]. وكانت وفاة الناصر -كما أجمعت عليه المصادر العربية- في الثاني من شهر رمضان[2] سنة 350هـ[3]/الخامس عشر من تشرين أول سنة 961م، في قصر الزهراء[4]، ثم حُمل لمدينة قُرْطُبَة، فدُفن بها مع أسلافه من بني أمية[5]، وكان عمره ثلاث وسبعين سنة، ومدة ولايته خمسين سنة وستة أشهر وأياماً[6]. وهي أطول مدة حكمها خليفة من خلفاء الإسلام[7].

وبعد دفنه وجد بخطِّهِ تأريخٌ قال فيه: "أيام السرور التي صفت لي دون تكدير، يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا ويوم كذا في كذا، فعُدّت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً، فأعجبْ أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها، وبُخلها بكمال الأحوال

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص223.

(2) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص14؛ الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ الضبي، بغية **الملتمس**، ج1، ص39؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص197؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182-183؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص223؛ النويري، **نهاية الارب**، ج3، ص233.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص107؛ الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص25؛ ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص14؛ الحُميدي، جذوة المقتبس، ص18؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ ابن الابار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص197؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182-183؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص223؛ النويري، **نهاية الارب**، ج3، ص233؛ الذهبي، **العبر**، ج2، ص84؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص312؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص263؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج3، ص379؛ رينو، جوزيف(1795-1868م)، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي**، تعريب إسماعيل العربي، دار الحداثة، ط1، الجزائر 1984م، ص160. (يشار إليه فيما بعد: رينو، الفتوحات الإسلامية).

(4) الزهراء: مدينة أندلسية حديثة أمر ببنائها الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة 225هـ/936م، وتقع غربي قُرْطُبَة. انظر ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص38.

(5) النويري، **نهاية الارب**، ج3، ص233.

(6) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج11، ص245. النويري، **نهاية الارب**، ج3، ص233.

(7) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج11، ص245.

لأوليائها"[1]. وهذه العبارة قد تعتبر صحيحة من حيث الواقع؛ لأنَّ الملوك والحكام الذين يشعرون بالمسؤولية لا يجدون وقتاً للراحة أو التلذذ بالحياة.

وفي رثاء الناصر يقول الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي:

ألا إن أياماً هفت بإمامها لجائرةٌ مُشْتَطَّةٌ في احتكامِها
فلم يُؤلِم الدنيا عظامُ خُطوبِها وأحداثِها إلا قُلوبَ عَظامِها
تأمَّل فهل مِن طَالِعٍ غيرَ آفلِ لهُنَّ وهل من قاعدٍ لقيامِها
وعاين فهل من عائشٍ برَضاعِها من الناس إلا ميتٌ بفِطامِها
كأنَّ نفوسَ الناسِ كانت بنفسهِ فلمَّا تَوَارى أيقنَتْ بحِمامِها
فطارَ بها يأسُ الأسى وتقاصرتْ يدُ الصبرِعن أعوالِها واحتدامِها[2]

10.1 القضاء على الثورات الداخلية:

وصف صاحب أخبار مجموعة أوضاع الأندلس الداخلية عندما تولى عبد الرحمن إمارة الأندلس بقوله": فإنه ولي الخلافة والفتنة قد طبقت آفاق الأندلس والخلاف فاشٍ في كل ناحية منها"[3]، ويضيف ابن عذاري أنه: "عندما تقلّد الناصر الإمارة استبشر الناس صلاح الأحوال على يديه، وتجرُّده لاستئصال علق الفتنة، وكان الخلاف قد عمّ أقطار الأندلس، واستولى أهل النفاق على كورها ومعاقلها"[4]. وكانت الأندلس نار تضطرم، وجمرة تتّقِدُ شقاقاً ونفاقاً[5]. ولذلك رأى الأمير عبد الرحمن في مستهل إمارته أن سياسة اللين والرفق التي اتبعها أجداده كانت سياسة خطرة، ولم تكن

([1]) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج2، ص223. المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص379.

([2]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص232-233؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج6، ص257؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص40.

([3]) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص127.

([4]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص158؛ انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص29.

([5]) النويري، **نهاية الأرب**، ج23، ص233.

ناجحة، وأنه لا بدّ لإستتباب الأمن واستقرار السكينة من القضاء على العناصر المناوئة[1].

في ربيع الثاني سنة 300هـ/912م بعث الأمير عبدالرحمن حملته الأولى إلى المناطق الخارجة عن الطاعة، وكانت الحملة بقيادة الوزير عباس بن عبدالعزيز القرشي، فقصدت منطقة قلعة رباح[2] وكان قد ثار بها الفتح بن موسى بن ذي النون من زعماء البربر، ومعه حليفه الرياحي المعروف بـ"أرذبلش"، فوقعت بين جند الأمير وبين العصاة معارك شديدة، هُزم فيها الفتح بن موسى، وارتد مغلولاً إلى معاقله، وقُتل أرذبلش، وبُعث رأسه إلى قُرْطُبَة، وطُهِّرت قلعة رباح وأحوازها من الثوار[3]. وفي جمادي الأولى سنة 300هـ بعث الأمير حملة أخرى سارت نحو الغرب، فاستردت مدينة إستجَّة[4] من أيدي العصاة أتباع عمر بن حفص بن جعفر، المشهور بابن حفصون، وهو أخطر الزعماء الخارجين على الإمارة الأموية [5]، وكان أهل إستجَّة قد خلعوا طاعة الأمير محمد وخالفوه، فأفتتحها الأمير على يد بدر الحاجب فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها وألحق أعاليها بأسفلها، وهدم قنطرة نهرها"[6]، ثم صفح

([1]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص158؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص353.

(2) قلعة رباح: مدينة ذات خيرات كثيرة، تقع على نهر وادي آنه. انظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، د.ط، بيروت د.ت، ص505. (يشار إليه فيما بعد: القزويني، آثار البلاد).

([3]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص53-54؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص159.

([4]) إستجة: مدينة قديمة بالأندلس، تقع على نهر غَرْناطة المسمى شنيل، وتبعد عن قُرْطُبَة خمسة وثلاثين ميلاً. انظر: الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/1164م)، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1، 1989م، مج2، ص572. (يشار إليه فيما بعد، الإدريسي، نزهة المشتاق)؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص53.

([5]) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص54-57؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص160؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص31؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص303؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص15.

([6]) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص14.

الناصر عن جرائم أهل إستجَّة، واغتفر ما سلف من سيئاتهم "وأوسعهم طولاً وإحساناً، وألحق فرسانهم وحماتهم جملة الجند بالأرزاق الواسعة والقطائع الفاضلة على أهليهم وعيالاتهم"(1).

كانت هاتان الحملتان السابقتان إنذاراً فعلياً للمتمردين وإيذاناً بحملات عسكرية لاحقة ستصيب كل الخارجين على السلطة، ومن ثم فإن هاتين الحملتين تدخلان ضمن نطاق الاستطلاع العملي الذي من خلاله أمكن تحديد مناطق نفوذ المتمردين، وقياس قوتهم والوقوف على مراكز تجمعهم، لذا بدأ الأمير في شعبان سنة 300هـ بقيادة القوات بنفسه محققاً بذلك هدفين هما:

1.رفع معنويات الجند

2.إثارة الفزع والخوف لدى قوات أعدائه

وبعد فتح إستجَّة قام الناصر بصلب أحد العصاه المتمردين وهو محمد بن يوسف الجَيَّاني، وكان من أهل الفساد، حيث كان محبوساً منذ إمارة عبدالله، فلما ولي الناصر أخرجه من السجن على أن يلتزم بالطاعة، لكنه نكث العهد، فقبض عليه الناصر وأمر بصلبه على باب السُّدَّة (أحد أبواب قصر الإمارة بقُرْطُبَة)، فكان أول منْ صُلب في إمارة الناصر(2).

وفي نفس سنة 300هـ/612م تابع الأمير مسيرته العسكرية فاختار منطقة وعرة في كورة(3)جَيَّان حوت المئات من الحصون والمعاقل العاصية على الدولة، وسار قائداً للحملة، حيث بدأت القوات العسكرية بالإستيلاء على حصن مارتشن، وحصن المُنْتِلُون(4)، وبعد قتال شديد اضطر على أثره أحد كبار المتمردين سعيد بن هذيل إلى

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص55.

(2) ابن حيان، **المقتبس** ، ج5، ص56-57.

(3) الكورة: مصطلح يطلق على الأقسام الإدارية في الأندلس، يكون لها زمام واسع تقع فيها مدن وقرى وحقول واسعة. انظر: البكري، أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت 487هـ/ 1094)، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة، ط1، 1968م، ص104. (يشار إليه فيما بعد: البكري، جغرافية الأندلس).

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص60.

الإستسلام بعد يأس من جدوى المقاومة، وتوجهت القوات بعد ذلك إلى حصن شُمنتان الواقع على مقربة من بياسة[1] وزعيم المتمردين فيه عبيدالله بن أحمد بن الشالية الذي استسلمت قواته بعد سقوط حصن المُنْتِلُون، حيث نزل عن جميع معاقله وحصونه وكان عددها يقارب المئة[2]، وفضلاً عن ذلك فقد تم تطهير العديد من الحصون التي كانت تدين بالولاء لابن حفصون، كحصن شنترة[3] وأقليق[4] وسمنان[5] القريبان من شنترة. وعاد الأمير عبد الرحمن بعد ذلك إلى حصن شُمنتان، وبه عبيد الله بن أحمد بن الشالية، فاستسلم الثائر دون مقاومة وطلب الأمان، ونزل عن جميع حصونه ومعاقله، واستولى الأمير بعد ذلك على حصن منتيشة من يد صاحبه ابن عطاف، وافتتح سائر الحصون التي كانت بيد ابن حفصون من كورة جَيَّان، وطهّرها من آثار الفتنة والعصيان، وقدَّم إليه سائر الزعماء الخارجين طاعتهم، فتقبلها وعفا عنهم[6].

وبعد أن تم تطهير كورة جَيَّان وقبل إنتهاء سنة 300هـ/912م اتجهت القوات نحو كورة إلبِيرَة حيث تم تطهيرها من فلول عصابات ابن حفصون، وقامت جيوش الأمير عبدالرحمن بالإستيلاء عليها فألحقوا أعاليها بأسفلها[7]، ولم يلق الأمير صعوبات في اقتحام الحصون إلا حصن شبيلش الذي سقط بأيدي القوات بعد حصار طويل، حيث كان ابن حفصون يمتنع بهذا الحصن وعندما شعر بعدم جدوى المقاومة تسلّل هارباً

([1]) بياسة: مدينة بالأندلس معدودة في كورة جَيَّان، بينها وبين آبدة فرسخان. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص518؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص121-122.

([2]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص160-161.

([3]) شنترة: من مدائن الأشبونة بالأندلس، على مقربة من المحيط الأطلسي، بينها وبين البحر قدر ميل. انظر: القزويني، **آثار البلاد**، ص542؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص347.

([4]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص60.

([5]) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص303.

([6]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص160-161؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج23، ص233.

([7]) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص70.

يريد قلعة أبية ببُشْتَر[1]. وقد أعقب سقوط حصن شبيلش سقوط مجموعة من الحصون الأخرى كحصن إشتبين وتاجُلة وبَسْطة[2] ومربط والبَراجِلة وحصون وادي آش[3].

وفي ببُشْتَر شعر ابن حفصون بخطر قوات الأمير، فأراد أن يحقق انتصاراً يعادل خسائره، فقرر إحتلال غَرْناطة[4] ولكنه رد على أعقابه بعد أن إعترضته قوات الأمير في منطقة إلبِيرَة ومنعته من تحقيق هدفه[5].

وتعد هذه الحملة أولى الحملات التي قادها الأمير عبدالرحمن بنفسه وقد استغرقت ثلاثة أشهر من شهر شعبان إلى عيد الأضحى من سنة 300هـ/912م وتعرف هذه الحملة في المصادر العربية باسم غزوة المُنْتِلُون وكان من نتائجها: تحرير أكثر من سبعين حصناً من أهم الحصون الخارجة عن السلطة سوى ما يلحق بهذه الحصون، وما حرر بتحريرها من الأماكن والأبراج والمناطق[6].

([1]) ببُشْتَر: بضم الباء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء، وهي مدينة عظيمة تقع في شمال الأندلس، على بعد ستين كيلوا مترا شمالي سَرَقُسْطَة. انظر: الجبالي، خالد حسن، **الأندلس وما فيها من بلاد**، قطعة من نص أندلسي لمؤلف مجهول، دار البشير، د.ط، عمان 2004م، ص56. (يشار إليه فيما بعد: الجبالي، الأندلس).

([2]) بَسْطة: مدينة بالأندلس من أعمال كورة جَيَّان، تقع بالقرب من مدينة وادي أش. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص568؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص113.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص162-163. وادي آش: يبعد عن غَرْناطة أربعون ميلاً. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص45؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص213.

(4) غَرْناطة: مدينة أندلسية بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً وهي من مدن إلبِيرَة. وغَرْناطة بفتح العين المعجمة، وسكون الراء المهملة، وألف وطاء مهملة وهاء في الآخر، ويقال: أغَرْناطة بهمزة مفتوحة في أولها، وهي آخر مناطق المسلمين في الأندلس، حيث سقطت بيد فرديناند وأيسابيلا ملكي قشتالة وأرغون سنة 897هـ/1492م. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص45؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5، ص213؛ العمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ط1، عمان 1999م، ص283. (يشار إليه فيما بعد: العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية).

([5]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص162-163.

([6]) نعنعي، **تاريخ الدولة الأموية**، ص320-321.

أما حصن ببُشْتَر فقد ظلّ في منأى عن السقوط، رغم الضربة التي أُنزلت بابن حفصون باعتبار أن هذا الحصن بقي بيدين لابن حفصون بالطاعة والولاء حتى سقط لاحقاً بيد قوات الأمير عبدالرحمن سنة 315هـ/927م[1] وذلك بعد وفاة ابن حفصون[2].

بيد أن هذه الحملة لم تكن إلا بداية الصراع المرير مع هذه العناصر، فلم تمض أشهر قلائل على الحملة الأولى حتى بدأ المتمردون سيرتهم الأولى، يعدون عدة الثأر يشاركهم في ذلك زعماء الأقاليم والمدن من الذين وجدوا في خطط الأمير العسكرية ما يهدد كيانهم ونفوذهم بالزوال، فكانت إشْبِيليَة في مقدمة القواعد التي رفعت لواء الثورة، وقام بها منذ أيام الأمير عبدالله، بنو حجاج[3]، الذين استقروا وأنشأوا بها إمارة مستقلة بقيادة إبراهيم بن حجاج، وبوفاته إنتقلت الزعامة إلى ابنه عبدالرحمن الذي أناب عنه أخاه محمداً في حكم قَرْمُونة[4] الموالية لهم، ولكن بوفاة عبد الرحمن سنة 301هـ/913م نصّب أهل إشْبِيليَة أحمد بن مسلمة (من بني الحجاج) حاكماً عليهم دون محمد بن إبراهيم الذي يُعدُّ هو أحق من أحمد بن مسلمة بحكم المدينة، فما كان من محمد بن إبراهيم إلا الإلتجاء إلى الأمير عبدالرحمن طالباً العون في استخلاص المدينة من قريبه أحمد بن مسلمة، مما أغرى الأمير عبدالرحمن بوعده لمحمد بولاية إشْبِيليَة، ووجهه إليها بصحبة وزيره قاسم بن وليد الكلبي[5]. وهكذا كانت الظروف عاملاً في عودة مدينة إشْبِيليَة في جمادي الأولى سنة 301هـ إلى حظيرة الدولة بعد أن

([1]) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص215؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص192-194.

([2]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص163.

([3]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص34.

([4]) قَرْمُونة: مدينة أندلسية قديمة تقع شرق إشْبِيليَة، وغرب قُرْطُبَة. انظر: ابن الشبّاط، محمد بن علي التوزري (ت 681هـ/ 1282م)، **صلة السِمط وسمة المِرط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد 1967-1968م، ص12. (يشار إليه فيما بعد: ابن الشبّاط، صلة السمط)؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص461.

([5]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص70-71.

تمَّ تجريد العناصر القوية فيها من سلطاتها[1]، واستعمل الأمير على إشْبِيلِيَة سعيد بن المنذر القرشي المعروف بابن السليم والياً عليها[2]، وكانت السيطرة على هذه المدينة من أهم المؤشرات الإيجابية التي انعكست على نظام الأمير عبدالرحمن فاعطته دعامة وقوة في المسيرة التي استهدفت إعادة توحيد البلاد[3]. ولعل المدخل إلى تحقيق الوحدة كان يتطلب القضاء على زعيم الخارجين على السلطة عمر بن حفصون الذي ما زال يسيطر على مناطق واسعة من البلاد تمتد ما بين كورة ريّة[4] والجزيرة الخضراء[5] من جهة، وإلبِيرَة وأحواز قُرْطُبَة من جهة أخرى[6].

وفي شوال سنة 301هـ/913م خرج الأمير في غزوته الثانية، قاصداً كورتي ريّة والجزيرة الجزيرة. وكان عمر بن حفصون قد عاد فبسط حكمه على تلك الأنحاء، وعادت الثورة تضطرم فيها، وبدأ الأمير بحصار حصن (طُرَّش) شرقي مالَقَة[7]، ثم سار إلى حصون ريّة ومعاقلها يفتتحها تباعاً، وهنا قدم ابن حفصون على رأس قواته والتقى بالأمير عبدالرحمن أمام حصن طُرَّش، ونشبت بين الفريقين معركة شديدة قتل فيها كثير من جند ابن حفصون وحلفائه، وارتدَّ الثائر بفلوله صوب الغرب، واستطاع أسطول الأمير أن يضبط ويحرق عدة سفن محملة بالمؤن كانت قادمة من عدوة

([1]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص163؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص301-302.

([2]) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص20.

(3)عنان، **دولة الإسلام**، ص377؛ السامرائي، خليل إبراهيم وأخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، (عصر الخلافة د.ناطق صالح مطلوب)، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي 2004م، ص158.(يشار إليه فيما بعد: السامرائي، تاريخ العرب).

([4]) ريّة: من أعظم كور الأندلس، ومدينتها أرجذونة، وتقع قبلي قُرْطُبَة وجوفي الجزيرة. انظر، ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص106.

([5]) الجزيرة الخضراء: مدينة تقع في جنوب الأندلس على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، ويقال لها جزيرة أم حكيم. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص223.

([6])عنان، **دولة الإسلام**، ص377؛ السامرائي، **تاريخ العرب**، ص158.

([7]) مالَقَة: مدينة أندلسية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وهي مدينة حسنة عامرة بالسكان ولها ديار كثيرة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص517.

المغرب لإمداد ابن حفصون، وزحف الأمير إلى منطقة الجزيرة الخضراء، واقتحم حصن لورة الواقع بجوار الجزيرة، ثم دخل الجزيرة الخضراء في أوائل شهر ذى القعدة سنة 301هـ/913م، وسار الأمير عبدالرحمن بعد ذلك إلى شَذُونة ثم إلى قَرْمُونة، وكان حاكمها حبيب بن عمر بن سوادة قد ثار بها، فحاصرها حتى استسلم الثائر واستأمن، فمُنح الأمان، وانتقل بأهله إلى مدينة قُرْطُبَة، بيد أنه نكث بعهده فيما بعد، ودخلت في طاعته سائر المعاقل والحصون التي مر بها، ثم عاد إلى قُرْطُبَة في شهر ذى الحجة بعد أن أصاب جبهة الثورة في تلك المرة بضربة شديدة وإن لم تكن قاضية. ومع أن الأمير عبدالرحمن كان ينوي سحق الثورة بكل الوسائل، فإنه لم يلجأ إلى قسوة، بل آثر منذ البداية أن يتبع سياسة الرفق والتسامح نحو الزعماء والثوار الذين قدّموا خضوعهم وطاعتهم، فسمح للكثير منهم بالانتقال إلى مدينة قُرْطُبَة مع الأهل والولد، وأجرى عليهم الأرزاق والأعطيات[1].

وبعد ذلك عاد الأمير عبدالرحمن إلى استئناف الغزو فسيّر جيشاً بقيادة وزيره إسحق بن محمد القرشي إلى كورتي تدمير[2] وبَلَنْسية[3]، فطارد فيهما أهل الخلاف، وافتتح حصن أوريولة[4]، ثم فتح مدينة بجّانة[1] وغزا الحاجب بدر بن أحمد مدينة

([1]) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص136؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص163-164.

([2]) تدمير: من كور الأندلس الشرقية، سميت باسم ملكها تدمير، بينها وبين قُرْطُبَة للراكب القاصد سبعة أيام. ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي(ت 571هـ/1175م)،قطعة من كتاب= =**فرحة الأنفس عن كور الأندلس**، تحقيق لطفي عبدالبديع، 1955م، مطبعة مصر 1956م، ص284-285. (يشار إليه فيما بعد: ابن غالب، فرحة الأنفس).

([3]) بَلَنْسية: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بكورة ندمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قُرْطُبَة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص490.

([4]) حصن أوريولة: أهم حصن لأوريولة قاعدة تدمير المنيعة. انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص163-164؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص303. وأوريولة: مدينة اندلسية قديمة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص17.

لبلة[2]، وكان صاحبها الثائر عثمان بن نصر ممتنعاً بها، فبعث إليه الحاجب يلاطفه ويبذل الأمان له ولأصحابه، ويعده بكل ما يحب، ولكن الثائر رفض كل عرض، وأصر على العصيان، فطوّق بدر المدينة، وبرز له كثير من أهل الطاعة فأمنهم، وأبقاهم لديه، وجد في مهاجمة عثمان وأصحابه إلى أن اقتحم عليه المدينة يوم 20 رمضان سنة 303هـ/915م، وقبض على عثمان وصحبه وأرسلهم إلى قُرْطُبَة، وأمن أهل المدينة، ونظر في مصالحهم[3]. وقد نظم ابن عبد ربه في فتح مدينة لبلة وفي مدح الأمير والحاجب بدر قصيدة يقول فيها:

خليفة الله وابن عم رسول الله والمصطفى على رسله
منتك نعمى نمت سوابغها   كما استتم الهلال في كمله
وجه ربيع أتاك باكره   يرفل في حليه وفي حلله
وأقبل العيد لاهياً جذلاً   يختال في لهوه وفي جذله
نصر من الله تضمنه ينهض في ريثه وفي عجله
يجري بشأو الأمام منصلتاً   يسبق حضر الجياد في مهله
قد وقف النكث والخلاف بها   وقوف صب يبكي على طله[4]

وفي هذا العام (سنة 303هـ/915م)، وقع حادث داخلي هام، هو جنوح عمر بن حفصون إلى الصلح والطاعة[5]، حيث شعر ابن حفصون بأبعاد القوة التي تتمتع بها قوات الأمير التي باتت تهدد مركزه بوصفه زعيماً للمتمردين، فأعلن الاستسلام للدولة

---

(1) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص111. بجّانة: مدينة أندلسية تقع على الساحل الجنوبي، بينها وبين قُرْطُبَة مسافة ستة أيام. انظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص38.

([2]) لبلة: مدينة قديمة، تقع في غرب الأندلس على بُعد ستة أميال من المحيط الأطلسي، و44 فرسخاً غرب قُرْطُبَة، وتعرف بالحمراء، يتصل عملها بعمل إكشونية، انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص10؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص507.

([3]) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص128؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص163-164؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص303.

([4]) عنان، **دولة الإسلام**، ص380.

([5]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص112-115؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص32.

الأموية مقابل كتاب عهد له وللحصون التي كانت تحت سيطرته[1]، فاستجاب الناصر لعقد الصلح مع ابن حفصون، مع الحذر من غدره ومكره، واتصل يحيى بن إسحاق المرواني[2](طبيب الأمير عبدالرحمن) في ذلك مع جعفر بن مقسم أسقف ببُشْتَر، وعبد الرحمن بن صبغ بن نبيل، وودناس بن عطاف، وهم أكابر رجال ابن حفصون النصارى وخاصته، وكانوا يميلون إلى عقد الصلح والدخول في كنف الطاعة[3]، وسار يحيى بنفسه لمقابلة ابن حفصون، ووضع معه شروط الصلح، وعاد إلى قُرْطُبَة، وأقر الناصر تلك الشروط، وعقد لابن حفصون على ذلك كتابه المشهور، الذي خط في أسفله بيده الأسطر الآتية:

"يا الله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب، وجميع أيمان البيعة لازمني من العهود المشددة، والأيمان المؤكدة، والمواثيق المغلظة، لا نقضت شيئاً مما جمعه هذا الكتاب تبديله، ولا نقصان شيء منه، ولا رضيت ذلك في سر ولا جهر، وأن كل ما فيه من الشروط والعهود والمواثيق لازمني، والله شهيد علينا، وخططنا هذه الأحرف بيدينا، وأشهدنا الله عز وجل على أنفسنا، وكفانا بالله شهيداً، ما وفى عمر بن حفصون بما نص في هذا العهد وصحح فيه إن شاء الله، والله المستعان"[4].

وبذل ابن حفصون جهده في المحافظة على شروطه وأوضاعه، وسُرَّ الناصر من جانبه بما أبداه ابن حفصون في ذلك من دقة وإخلاص، وقدم ابن حفصون بهذه المناسبة إلى الناصر هدية فخمة، فتقبلها الأمير، وحسن موقعها لديه، وكافأ ابن حفصون عنها بأضعافها، وعظم سرور ابن حفصون بها، واستحكمت طاعته حتى وفاته سنة 305هـ/. وكان هذا من أعظم العوامل في تهدئة اضطرام الثورة، وجنوحها إلى التبدد والانهيار[5].

---

(1) السامرائي، **تاريخ العرب**، ص159.

(2) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص303؛

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص112-115.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص114-115.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص115-116.

وفي سنة 305هـ/917م كان حبيب بن عمر بن سوادة الثائر بقَرْمُونة قد نكث بعهده، وأظهر الامتناع بها، فأعاد الأمير بإرسال حملة إليه بقيادة الحاجب بدر بن أحمد، فحاصر قَرْمُونة وضربها بالمناجيق بشدة، ثم دخلها عنوة، وقبض على حبيب وولده وأرسلهما إلى قُرْطُبَة[1].

وفي العام نفسه وقع حادث كان له أكبر الأثر في تفكك عرى الثورة وانحلالها، ذلك هو وفاة عمر بن حفصون زعيم المتمردين والثائرين. يقول ابن حيّان: "وفي هذه السنة(أي 305هـ/917م) هلك عمر بن حفصون، عميد الكافرين، ورأس المنافقين، وموقد شُعل الفتنة، وملجأ أهل الخلاف والمعصية... وعُدّ هلاكه من أسباب الإقبال، وتباشير الصُّنع وإنقطاع علق المكروه"[2] وكانت وفاته بعد مرض طويل، وهو في الثانية والسبعين من عمره[3]، وبعد وفاته جُهز ودفن وفق التقاليد والطقوس الأندلسية النصرانية[4]، وكان ابن حفصون في الواقع أخطر ثائر عرفته الأندلس منذ الفتح، وكانت ثورته تمثل أخطر العناصر التي لا تدين بالولاء للإمارة الأموية، وكانت حاشيته تتكون من طائفة المولدين الذين ينتمي إليهم، وهم سلالة القوط والنصارى الإسبان الذين أسلموا منذ الفتح، وغدوا جزءاً من الأمة الأندلسية. وبالرغم من سياسة التسامح والرعاية الإسلامية للمولدين، إلا انهم كانوا يضمرون للحكم الإسلامي الخصومة والكيد، وينتهزون كل فرصة للخروج عليها، وكانوا يتلقون العون دائماً من زملائهم النصارى. ولم ير ابن حفصون نفسه وهو يرجع إلى أصل نصراني، بأساً من أن ينبذ الإسلام ويرتد إلى النصرانية لكي يذكي حماسة أنصاره[5].

كما كانت ثورة ابن حفصون من أشد الثورات التي عرفتها الأندلس، فقد استمرت جيوش الأمير تناهضه زمناً طويلاً، ولم تنتهي هذه الثورة بوفاة ابن حفصون سنة

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص171.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص138؛ انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص172.

(3) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص138؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص34-35.

(4) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص138؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص196.

(5) عنان، **دولة الإسلام**، ص380-381.

305هـ/917م بل حمل أبناءه من بعده لواء الثورة ضد الدولة الأموية، فقد ترك ابن حفصون بعد وفاته أربعة بنين، هم سليمان وعبدالرحمن وجعفر وحفص، وابنة واحدة هي أرخنتا، وكان له ولد آخر هو أيوب اتهمه أبوه عندما اعتلّت صحته، بمحاولة الفتك به، فقتله[1]، أما أبناءه الأخرون فقد أقام سليمان في آبدة[2]، وقام جعفر مكان أبيه في ببُشْتَر بعهد منه، وكان أبوه قد قلده عهده في حياته، وأخذ له البيعة في أواخر أيامه، فأظهر جعفر يوم موت أبيه لجميع نصارى ببُشْتَر أنه يعتنق دينهم، ويدين بالنصرانية معهم، وزعم أن أباه يعتنق دينهم ولم يظهره، وجمع إلى نفسه ثقاته منهم، مع القسيسين والرهبان دون سائر الناس، فتولوا تجهيز والده معه، ودفنه على سنة النصارى، بعد أن أمر بسد باب القصبة، ولاطف جعفر إخوته ووعدهم بالجميل حتى سلموا له، قال الرازي (ت 344هـ/ 955م): "وكان جعفر في ذاته متهوراً سخيفاً، جباناً ضعيف السيما ذميماً، جسوراً حقوداً، منافساً لمن يعمل عنده، كنوداً لمن استرسل إليه، موالفاً للسفال، مستصحباً للأرذال، لم تسم همته إلى مروءة، ولا انطوت نيته على جميل، ولا عرف قدر ما مهده له والده مع السلطان من فراش الصلح، وبسط من ظلال الأمن، بالتسجيل له على أعماله، وإمضاء ذلك بعده لعقبه، بل غمط النعمة عليه، ورفض الساعين فيه لأبيه، وعقد شهادات جماعة من السفلة والطغام، على ابن مقسم الأسقف وابن نبيل وابن عطاف حاجبيه، فإنهم سعوا في الغدر بوالده عند السلطان، وأرادوا إراحة سلطانه عن ولده بعده"[3].

بيد أنه لم تمض أشهر قلائل حتى سيَّر الأمير قواته إلى آبدة سنة 307هـ/919م فاقتحمتها وأسر سليمان، وأُخذه إلى قُرْطُبَة حيث عفا عنه الأمير، كذالك استسلم

([1]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص32.

([2]) آبدة: مدينة إسلامية أحدثت في دولة بني أمية بالأندلس من بنيان الأمير عبدالرحمن الأوسط بجوار بياسة. انظر: ابن سعيد، **المُغْرِب**، ج2، ص61؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت 733 هـ/1332م)، **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، د.ط، باريس 1860م، ص167. (يشار إليه فيما بعد: أبو الفداء، تقويم البلدان). ص167.

([3]) عنان، **دولة الإسلام**، ص380-381.

عبدالرحمن بـن حفصـون، وكـان ممتنعـاً بحصـن طـرش، وكـان أخـوه جعفـر صـاحب ببُشْتَر، قد ضـايقه، وحـاول أن ينتزع منـه الحصـن، فالتجأ عندئذ إلـى الأمير، وأذعن للطاعة، على أن يسلم حصنه ويمنح الأمان لنفسه وأهله، فأجابه الأمير إلى ما طلب، وتسلم منـه الحصـن، واستقدمه إلـى قُرْطُبَة[1]، واستبد جعفر بحكم ببُشْتَر وما حولها، وآثر الأمير أن يهادنه، وأن يقره على أعماله. وفي سنة 308هـ/920م قُتل جعفر في ببُشْتَر ضحية مؤامرة قيل إنها من تدبير أخيه سليمان، وقيل من جهة أخرى إنه رأى أن يعود إلـى الإسـلام اكتسـاباً لمودة السكان والجند المسلمين، فاغتالـه نفر مـن جنده النصـارى، فقام أخوه سليمان مكانـه في ببُشْتَر، وأقره الأمير على ولايته، ولكنـه نكث عهد الطاعة، فسار الأمير عبدالرحمن لقتاله فحاصره، وكان أصحاب سليمان بحصن طرش، قد نبذوا الطاعة مثله، فسار الأمير عبدالرحمن إلى طرش، ونازلهم، ثم ترك قوة استمرت في حصارهم، حتى أذعنوا إلى الطاعة، وسلموا الحصن بالامان، وأمر الأمير بتخريبـه وتسـويته بـالأرض، ثـم سـار الأميـر لحصـار سـليمان مـرة أخـرى فـي سـنة 311هـ/923م، وخـرب سـائر المنـاطق الـي يسـيطر عليهـا الثـائر، وأخضـع معظـم حصـونها، واعتصـم سليمان بجبل ببُشْتَر، فنازلـه الأمير، واشتد فـي محاصـرته، حتـى ضاق الثائر وصحبه بالحصار ذرعاً، وخرج عليه معظم أنصاره، ونكل بالكثير منهم، ونازل الأمير حصن الشط، وكان من أمنع الحصون الثائرة، حتى تغلب عليه وعلى ما حوله من الحصون. وأخيراً عرض عليه سليمان أن يعود إلى الطاعة، وأن يسلم بعض حصـونه، فاسـتجاب الأميـر إلـى رغبتـه، وتسـلم حصـن الشـط، وحصـن منـت ميـور وغيرهما من الحصون كفالة بحسن الطاعة، وانصرف عائداً إلى قُرْطُبَة، وهو يتحين الفرصة الملائمة للقضاء على الثائر بصورة نهائية[2].

وتـابع الأمير حملاتـه العسكرية فاحتلّ حصـن منـت روبـي أو منـت روي "وكـان جبلاً ممتنعاً، بعيد المرام، كثير السكان من عجمـه، قد لاذت بـه وامتنعت فيـه، وهو متوسط بين كورة إلبِيرَة وكـورة جَيَّان، وعلـى طريـق مدينـة بجّانـة، فكان مـن سلك تلك

([1]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص174-175.

([2]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص174-183.

الطريق لا يسلم من سكان الحصن، فكانوا يسفكون الدماء، ويسلبون الاموال، فحاصرهم الأمير حتى أباد الكثير منهم"[1]. وأطاعه أحمد بن أضحى الهمداني الثائر بحصن الجامة، ورهن ابنه على الطاعة[2].

وفي سنة 313هـ/925م صُلب على الرصيف بباب قُرْطُبَة رجل من أصحاب ابن حفصون وهو النصراني المعروف بأبي نصر، وكان من أحذق الرماة في عصره، وطار صيته أيام ابن حفصون بالحذق في الرماية وإصابة الأغراض البعيدة، وقلما تُخطئ رميته، وقد أودى بحياة كثير من المسلمين من الجند وغيرهم، وساد الذعر منه، وانهى الأمر بأسره، وإحضاره إلى الحضرة، فجئ به إلى باب السُّدَّة وأمر الأمير بصلبه، فرُفع فوق جذع في مشهد حافل من الناس، وتعاورته الرماة بالسهام حتى مزق بدنه، وترك دامياً فوق جذعه، ثم أخذت جثته بعد أيام وأحرقت[3].

وفي أواخر سنة 314هـ/926م سيّر الأمير وزيره عبدالحميد بن بسيل إلى ببُشْتَر، "وهي الدار العليا والداهية العظمى"[4] وخرج سليمان في قواته إلى لقائه فهزم وقتل، واحتز رأسه وقطعت أشلاؤه، وأرسلت إلى قُرْطُبَة فرفعت على باب السُّدَّة[5]، وقام أخوه حفص مكانه في ببُشْتَر، واستمر على المقاومة حيناً. وفي ربيع الأول سنة 315هـ/927م سار الأمير بنفسه إلى ببُشْتَر ومعه ولي عهده الحكم، وكان يومئذ صبياً في الثانية عشرة من عمره، ونزل على مدينة ببُشْتَر ذاتها، وبها حفص وشدد عليها الحصار، وبنى إزاءها حصناً للتضييق عليها، وفرق قواته لمنازلة بقية الحصون الثائرة، ثم ترك قوة لمتابعة الحصار، الذي استمر بضعة أشهر، حتى اضطر حفص أن يذعن

([1]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص209-210؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص182.

([2]) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص304.

([3]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص191.

([4]) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص212؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص30.

([5]) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي(ت367هـ/977م)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، د.ط، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، د.ت، ص125. (سيشار إليه فيما بعد: ابن القوطية، تاريخ)؛ ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص215؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص192-194.

أخيراً إلى التسليم، فسلم المدينة بالأمان إلى الوزير سعيد بن المنذر، وذلك في أواخر شهر ذي القعدة سنة 315هـ/927م وأخذ حفص بن عمر وأهله وأصحابه أسرى إلى قُرْطُبَة، فعفا الأمير عنهم، وأحسن مثواهم، وضم حفصاً إلى جيشه(1).

وفي سنة 316هـ/928م، سار الأمير إلى بِبُشْتَر لتنظيم شؤونها، فخرج من قُرْطُبَة في منتصف شهر المحرم منها، ورافقه ولده الحكم، ووزيره أحمد بن محمد بن حدير، واستخلف على المدينة أحمد بن عيسى بن أبي عبدة. وقصد إلى بِبُشْتَر، فوصلها في العشرين من المحرم، ودخلها وجال في ارجائها، وألفاها منقطعة النظير من حيث الحصانة والمنعة، فعين عليها والياً من قبله، وعمد إلى تطهيرها من آثار ابن حفصون، فصلى في مسجدها الجامع، وأمر أن تقام به الصلاة. وكان ابن حفصون في أواخر أيامه، قد أثار حول موقفه من تذبذبه حول إظهار الإسلام، وجنوحه إلى النصرانية، ريباً حول حقيقة الدين الذي كان يعتنقه. فقد ذكرت المصادر حكاية فيها مبالغة مفادها أنَّ الناصر أمر بنبش قبره، وإخراج جثته وفحصها، فتبين من هيئتها وكونه ملقى على الظهر، مشبوك الذراعين على الصدر، ومستقبلاً المشرق، أنه دفن على دين النصرانية، وعاين ذلك الناس من العسكر وغيرهم، وشهد بذلك الفقهاء المرافقون، واتفق الجميع على أنه هلك على دين النصرانية. فأمر الأمير بحمل الجثة إلى قُرْطُبَة، حيث علقت في أعلى الجذوع على باب السدة يكتنفها أشلاء ولده سليمان المصلوب قبله. واستمرت أشلاءهما كذلك معلقة على جذوعها عبرة للناظرين حتى سنة 331هـ/945م ، حيث حملها مد النهر الطامي في تلك السنة(2). ولأحمد بن محمد الرازي في صلب أوصال ابن حفصون قصيدة يقول فيها:

تبدى لمرأى العين مجسماً ... وقام من الأجداث خلفاً متمماً
فما كان إلا مثل من نام نومة ... فأنبه عنها حين أغفى وهوّما
ثوى في الثرى حتى إذا صار رمة ... أعيد إليه جسمه فتلأما

(1) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص215؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**،ج2،ص192-194.
(2) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص216-219 وما بعدها؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص196-197.

رقى فوق جذع بالهواء معلق يحاول منه بالنجوم تحوُّما

وأمر الأمير عبدالرحمن فعمرت سائر مساجد ببُشْتَر المهجورة، وهدمت سائر الكنائس والأديار التي ابتناها الثائر في تلك المنطقة، واستولى الأمير على سائر معاقلها وحصونها، وطهرها من آثار الثورة الأخيرة، وعيّن الوزير سعيد بن المنذر القرشي عاملاً عليها[1]. ثم أمر بعد ذلك بالقبض على "أرخنتا" ابنة عمر بن حفصون وإعدامها لارتدادها عن الإسلام، وتمسكها باعتناق النصرانية، فأُعدمت[2].

هذا وقد أصدر الأمير عقب فتح ببُشْتَر واستئمان حفص، كتاباً طويلاً ينوه فيه بهدى الإسلام وفضله، وما خصه الله به من خلافته وأمانة عباده، ويشير إلى خروج المارقين، وميل نفوسهم المريضة إلى الشرك، وكيف أنه أصدر أمانه لأهل ببُشْتَر، ثم يقول في خطابه ما يأتي:

"...وعهدنا إلى الوزير أحمد بن محمد بن حُدير، بالتقدّم إليهم لحضور خُروجهم، ومُباشرة نُزولهم، وإكمال الأمان لهم، وقبض الأيدي عنهم، فنَهَض إلى ذلك وقصد له، فلما صار بمدينة طَلَجَيْر، المُبتناة على مدينة ببُشْتَر، هبّت بالظاعِنين عنها، فتساربوا خارجين، وتهافتوا ذاهبين، وتفرَّقوا أيدي (الذي) سبأ إلى جوانب شتَّى، فقصد كل واحد إلى منزعه، وأمَّ مكان طماعيته، ولحِقوا بمدائن الطاعة، فصاروا في غُمار الرعيَّة، وتمكَّث خلفهم عميدهم حفص بن عمر طائر الفؤاد، خافق القلب، لم تطب نفسه على الخروج خَوَراً، ولا سكَّن منه الأمان نفاراً،..."[3].

وجاء في كتاب الناصر بهدم ببُشْتَر، والذي أنفذه إلى عماله بنواحي الأندلس ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فالحمد لله الذي قضى لمن أطاعه، وختم بالذِلّ على من عصاه، وتولى أمر من تولاه ونصره وكفاه، وتبرأ ممّن عاداه وخذله وأخزاه، الذي لا يزال يُؤيّد الإسلام ويسدِّد من قام به، ... وإنا لمّا أعظم صُنع الله تعالى عندنا، وحسن بلاؤه لدينا، وعرّفنا النصر والظفر في كل ما تولّينا، وأعز وليّنا، وأذل عدوّنا،

([1]) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص219.

([2]) عنان، **دولة الإسلام**، ص386.

([3]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص230.

ومكّن سلطاننا، وشرّف أيامنا، وأوطانا ديار المشركين، وملّكنا معاقلهم، ...حتى استتمّ لنا ذلك بالقاعدة العظمى، والمنزلة العليا، والغاية القصوى، ببُشْتَر، مدينة المجرمين التي أعجزت الماضين، وأتعبت الباقين، وجعلت عبرة للعالمين، وأعجوبة للناظرين، قصدنا إليها لنعظم قدر نعمة الله تعالى فيها، ولنحكم تدبير أمرها وتعريف حالها، بضبط ما يجب ضبطه منها، واستقصاء ما كان أمرنا به من تخريبها وتدميرها، ..."[1].

ولم يغفل الأمير في الوقت الذي كانت فيه ثورة ابن حفصون وأبنائه في جنوب الأندلس تشغل معظم عنايته، عن مطاردة الثائرين في الأنحاء الأخرى. فقد كانت طُلَيْطُلَة[2] من أمنع معاقل الثائرين، لموقعها الحصين، وكان أهلها معروفين بالخلاف والانتقاض[3]، حيث عانت الإمارة الأموية في إخضاع طُلَيْطُلَة مصاعب جمة، فمنذ إمارة عبدالرحمن الداخل (138هـ-172هـ/ 756-788م)، وحتى إمارة عبدالله (275هـ-300هـ/ 888-912م) لم تهدأ طُلَيْطُلَة، وظلت موئلاً لثورات الخارجين عن الطاعة الأموية، وكان المولدون هم غالبية سكانها، ومن ثم فإن ولائهم للدولة الإسلامية لم يكن قوياً، وكان من الطبيعي ان تستقل طُلَيْطُلَة في فترة الفوضى السياسية الداخلية أيام الأمير عبدالله، وحتى أول إمارة الأمير عبدالرحمن سنة 300هـ/ 912م[4]. وفي سنة 308هـ920م سيّر الأمير عبدالرحمن جنده لحصارها، وفيها لُب بن الطربيشة وهو من زعماء المولدين، واستمر الحصار زهاء عامين حتى نضبت موارد المدينة، وخربت عزائم أهلها واضطرمت في النهاية إلى التسليم والإذعان، وسار

([1]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص232-233.

([2]) طُلَيْطُلَة: مدينة أندلسية قديمة، تقع في النصف الشمال من الأندلس، بينها وبين وادي الحجارة خمسة وستون ميلاً، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، ودار المُلك عندما دخلها طارق بن زياد(فاتح الأندلس). انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص553؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص606.

([3]) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298.

([4]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص272.

لَب مع الأمير بقواته لغزو أرض النصارى[1]. ولم يكن خضوع طُلَيْطُلَة نهائياً[2]، فبعد عدة سنوات عادت المدينة إلى الثورة من جديد ورأى الأمير أن يبدأ معهم سياسة التفاهم والملاينة، فأرسل إليهم وفداً من وجوه أهل قُرْطُبَة فاتوا طُلَيْطُلَة يدعون أهلها إلى نبذ الخلاف والمعصية وبذل الطاعة للإمارة الأموية، لكن هذا الوفد أخفق في تحقيق هدفه، فعزم الأمير على غزو طُلَيْطُلَة وإخضاعها عنوة[3]، وفي أواخر ربيع الثاني سنة 318هـ/930م سيَّر الناصر بقيادة وزيره سعيد بن المنذر القرشي حملة في جيش كثيف وأمره بحصار طُلَيْطُلَة حتى يحقق الوحدة[4]، ثم خرج الناصر بصحبة ابنه وولي عهده الحكم قاصداً طُلَيْطُلَة المحاصرة، فأستولى وهو في طريقه على عدة حصون، فلما أقبل الناصر من طُلَيْطُلَة خرج إليه زعيمها ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث مسرعاً للقائه معترفاً بسوء صنيعه، فعفا عنه الناصر وأكرمه، ثم أمن أهل طُلَيْطُلَة، ورفع عنهم الحصار، فتسارعت أهالي طُلَيْطُلَة للدخول في طاعة الناصر " فشعروا بالأمن بعد الخوف، والسعة بعد الضيق، والإنبساط بعد طول الإنقباض"[5]، وكان فتح طُلَيْطُلَة قد تمَّ سنة 320هـ/932م[6].

هذا وكانت بَطْلِيوس وأحوازها منذ أكثر من أربعين عاماً معقلاً من معاقل ثورة المولدين، وكان بنو مروان الجليقي ما يزالون يسيطرون على تلك المنطقة، وكانوا يماثلون الأمراء النصارى ويحالفونهم ضد الحكم الإسلامي. وفي سنة 311هـ/923م هلك صاحب بَطْلِيوس عبدالله بن محمد بن مروان الجليقي، فقام مكانه ولده عبدالرحمن، واستبد بمدينة بَطْلِيوس وما حولها حتى خرج الناصر بجيشه نحوها في ربيع الآخر 318هـ/930م وقاتل المتصدين للمقاومة حتى هزموا واقتحم أرباضهم، وأُحرقت ديارهم، فامتنعوا داخل المدينة، فعهد الأمير بقتالهم إلى القائد أحمد بن إسحاق

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص202/176.

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص202/176.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص280؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص202.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص280؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص202.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص283-384؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص207.

(6) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص317-322.

القرشي، فشدد في حصار المدينة، وقطع عنها كل مورد، واشتد باهله الضيق، واضطر الجليقي إلى الإذعان وطلب الأمان، فأجابه الناصر، وأسكنه وأهله بقُرْطُبَة[1].

ولما غادر الناصر بَطْلِيوس سار إلى مدينة باجة في منتصف جمادى الآخر سنة 317هـ/929م، اقصى قواعد الغرب، وفيها الثائر عبدالرحمن بن مالك، فنزل عليها وأنذر صاحبها بالدخول في الطاعة فلم يقبل النصح، فطوقها وحاصرها بشدة، حتى أجهد أهلها الجوع والعطش، فاضطر صاحبها إلى الإذعان، فمنحهم الناصر الأمان، وخرجوا إليه تائبين مستسلمين، فبعثهم إلى قُرْطُبَة، وبعد ذلك تحول الناصر إلى مدينة أكشونية[2] في الجنوب على الساحل الغربي للأندلس، وكان بها الثائر خلف بن بكر، فبادر إلى الطاعة معتذراً، وأقره الناصر على ولايته، على أن يلتزم بأداء الجباية وبحسن السيرة[3].

وكان للأمير جولات عسكرية أخرى في الأندلس، ففي سنة 312هـ/924م استنزل الأمير "بني قسّي" البرابرة وأجلى جميعهم من الثغر الأعلى[4]. وفي شرق الأندلس سار الأمير بنفسه إلى تدمير وبَلَنْسية، وذلك سنة 312هـ/924م، فطارد العصاة، واستولى على معاقلهم ومزق شملهم. وفي سنة 314هـ/926م سيّر الأمير عبدالرحمن وزيره القائد عبدالحميد ابن بسيل إلى الثغر الأعلى لمقاتلة بني ذي النون، وكانوا قد أكثروا من الفساد والعدوان على من جاورهم من المسلمين وأهل الذمة، فقصد معقلهم شنت بَريَّة واقتحمها، وقتل كبيرهم محمد بن محمد بن ذي النون، وافتتح مدينة سُرية من مدنهم[5]، وفي سنة 317هـ/929م فتح الناصر مدينة شاطبة[1]، واستنزل عنها

([1])ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص271؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص199-202.

([2]) أكشونية: مدينة أندلسية يتصل عملها بعمل أشبونة، وتقع غرب مدينة قُرْطُبَة. انظر: ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص291؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص240؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص347.

([3]) ابن حيان، **المقتبس**،ج5،ص271-272؛ابن عذاري، **البيان المُغْرب** ، ج2، ص200-201.

([4]) ابن القوطية، **تاريخ**، ص125.

([5]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص324؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص200-201

صاحبها عامر بن أبي جوشن الثائر بها[2]، بعد أن ترددت الحملات عليه مدة خمسة أعوام، وكان خضوعه على يد صاحب الشرطة العليا، واشترط عامر عند استسلامه ان يُمنح الإقامة مدة في حصن "شنت مريّة" من حصونه، حتى ينظم شؤونه ويسير في أهله إلى قُرْطُبَة، فأُجيب إلى طلبه[3].

وخلال سنة 325هـ/937م قاد الناصر بنفسه حملة قامت بمحاصرة مطرف بن منذف التجيبي المرابط في قلعة أيوب، فقتله في أول جولة عليها[4]، وقتل من كان معه من النصرانية اهل ألبة، وافتتح ثلاثين من حصونهم، وفي سنة 326هـ أخضع سَرَقُسْطَة[5] وأمن محمد بن هشام التجيبي وأحضره وأهله إلى قُرْطُبَة[6]، فدخل الناصر سَرَقُسْطَة وأمر بهدم سورها، وإصلاح أحوالها، ثم عاد إلى قُرْطُبَة ومعه محمد بن هاشم فأنزله أكرم منزل، وعندما وثق في طاعة أهل سَرَقُسْطَة، صرف إليها محمد بن هاشم والياً من جديد[7].

وهكذا استمر الأمير يقاتل المخالفين، حتى انقاد العُصاةُ لطاعته[8]، فأخمد الثورات في سائر النواحي، فاستقامت البلاد وأمنت الناس في دولته[9]. واستطاع بقوته

([1]) شاطبة: مدينة جليلة بالأندلس، بينها وبين بَلَنْسية إثنان وثلاثون ميلاً. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص556؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص337.

([2]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص249.

([3]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص200-201.

([4]) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص304.

(5) سَرَقُسْطَة: مدينة قديمة تقع في شرق الأندلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي قاعدة من قواعد الأندلس. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص317.

([6]) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص400-401؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص363-364.

([7]) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص404-408.

([8]) ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص198-199؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص18.

([9]) ابن الأثير، **الكامل**، ج6، ص258؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج23، ص233؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص353.

أن يجمع أكثر المدن الخارجة عن الطاعة تحت حكمه، ويصل بالأندلس إلى درجة عظيمة من الرخاء والمجد(1). ومما أعانه على نجاحه في إخماد الثورات هو خروجه بنفسه في أغلب الحملات العسكرية، وهذا يعود إلى شجاعته التي مكنته من مواجهة كل الخارجين عن الطاعة في الداخل والخارج بقوة وبسالة(2)، كذلك معرفته بإصطفاء الرجال واستمالة أهوائهم بالمواعيد وبذل الاموال"(3).

وبشكل عام كانت الخمس والعشرين سنة الأولى من إمارة عبدالرحمن الثالث قد شهدت إرساء وحدة الأندلس من جديد، وخضوعها لسلطة الدولة(4). كما وكانت الخمسين السنة التي حكمها عبدالرحمن الثالث (300هـ-350هـ/ 912-961م) بالغة الاهمية لما حققته القوات من إنجازات وإنتصارات على الممالك الإسبانية في الشمال: ليون(5) ونبرة(6)، وقشتالة(7)، كذلك على الدولة الفاطمية في المغرب العربي(8).

11.1 إعلان الخلافة:

---

(1) رينو، **الفتوحات الإسلامية**، ص158؛ الترمانيني، **أحداث التاريخ**، ج1، ص666.

(2) ابن حوقل، **صورة الارض**، ص104.

(3) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182.

(4) الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ وات، مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ترجمة د.محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، بيروت 1998م، ص54. (يشار إليه فيما بعد: وات، في تاريخ إسبانيا).

(5) ليون: مدينة ضخمة من بلاد الجلالقة، تقع على احد روافد نهر دويرة إلى الشمال الشرقي من مدينة سمورة، وتبعد عن المحيط الأطلسي أربع مراحل. انظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص184-185.

(6) نبرة: إحدى ممالك إسبانيا النصرانية، وتقع شرق مملكة ليون بمحاذاة جبال البرت التي تفصل بين إسبانتبا وفرنسا، وعاصمة نبرة بنبلونة. انظر: البكري، **جغرافية الأندلس**، ص79.

(7) قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس، يقع بين ليون ونبرة، وكانت عاصمته مدينة برغش التي أنشئت في عهد الملك ألفونسو الثالث. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص352.

(8) وات، **في تاريخ إسبانيا**، ص54-59.

كان أهم ما يراود الأمويين في الأندلس، هو استرجاع الخلافة الأموية التي سقطت في المشرق، وهو أمل لم يتحقق من قبل، ويرجع في الأساس إلى بواعث السياسة الحكيمة التي تميز بها أمراء الأندلس متحوطين من إثارة الفتنة والخلافات الدينية والمذهبية في العالم الإسلامي، نظراً لقوة الخلافة العباسية في المشرق، التي كانت تعتبر الخلافة الشرعية في نظر المسلمين.

لكن، وبعد أن استتبَّ الأمر للأمير عبدالرحمن في الأندلس، أقدم على أمر خطير، حيث تلقّب بالناصر لدين الله[1]. وفيما يلي توضيح ظروف وإعلان الأمير عبد الرحمن الخلافة في الأندلس.

يروى ابن عذاري (ت695هـ /1296م) أنه في سنة 316هـ/928م قرر عبدالرحمن بن محمد أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات عنه في جميع ما يجري ذكره فيه بأمير المؤمنين، فعهد إلى صاحب الصلاة بقُرْطُبَة أحمد بن بقي القاضي، بأن تكون الخُطبة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة 316هـ/928م بذلك، وفي اليوم التالي (أي الثاني من ذي الحجة) أصدر الخليفة الجديد منشوراً عاماً إلى عماله في الكور والمدن الأندلسية يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به، وأظهر أثرنا فيه، ودفع سلطاننا إليه، ويسّر على أيدينا إدراكه، وعُدّت تلك دَرَكه، وسهّل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وأعلى في البلاد من أمرنا وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا إن شاء الله، فالحمد لله ولي الإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه، متسمٍ بما لا يستحقه منه، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابتٌ أسقطناه،

([1]) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص28.

فمُر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطبتك لنا عليه إن شاء الله، والله المستعان . كُتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316هـ/928م"[1].

نستنتج من هذا الخطاب الذي يحمل فيه إعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة مبررات ذلك، حيث أعلن الناصر نفسه خليفة للمسلمين بعد ستة عشر سنة من إمارته، أي بعد أن استتب له الأمر في الأندلس وانتهى من إخماد الفتن، فتلقب بأمير المؤمنين، وعدّ أي متخذ لهذا اللقب منتحلاً ودخيلاً عليه، وليس جديراً به، وأن جميع أعمال الجزيرة الأندلسية دانت له بالطاعة، حيث أرسل الكتب إلى كافة أقاليم الدولة، وأمرهم بالدعاء له على المنابر بلقب أمير المؤمنين، ووجوب طاعته، وما من كتاب يخرج أو يدخل إلا ويجب مروره عليه والختم بأمير المؤمنين، وعهد إلى صاحب الصلاة والخطبة القاضي أحمد بن يزيد بالدعاء له في خطبة الجمعة في المسجد الجامع بقُرْطُبَة في مستهل ذي الحجة سنة 316هـ/928م.

وهكذا تحول نظام الحكم في الأندلس من إمارة إلى خلافة، حيث كان يُطلق على الحكام الذين سبقوا عبد الرحمن الناصر لقب أمير، ولم يلقبوا أنفسهم بلقب خليفة، بل يُسمّون انفسهم بأبناء الخلائف، وجرى على ذلك عبد الرحمن الناصر حتى أعلن نفسه خليفة[2] .

أما السبب في عدم إعلان الأمراء الإمويين الخلافة قبل الناصر يعود إلى شعورهم بأن الخلافة وحدة لا تتجزأ ولا تتعدد وأن الخروج عنها عصيان وأن الخليفة الشرعي هو حامي حمى الحرمين الشريفين أي المسيطر على الحجاز أصل العرب والملّة[3]. وفي عهد الناصر كانت الخلافة العباسية تعاني من أزمة سياسية شديدة. ولتوضيح هذه الأزمة نورد ما يلي بإيجاز:

([1]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص198؛ انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص30.

([2]) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص232؛ القلقشندي، **مآثر الأنافة**، ص90.

([3]) عنان، **دولة الإسلام**، ص429؛ العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص169.

كانت الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري ما زالت قائمة، ومركزها بغداد، لكن هذه الخلافة لم تكن كحالها في القرن الثاني والثالث الهجريين، حيث تميزت الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري بالضعف، فلم يتبقى للخلفاء كلمة مسموعة ولا رأي جامع، ولا قوة ولا سلطان نافذان، ولم يكن للخلافة العباسية هيبة وسلطة، فالعجم دخلوا في جسمها، وتسلطوا على مقادير الأمور، فتراجع دور الدولة العباسية، وقد شمل الضعف معظم أوضاعها، وكانت منطقة الشرق الإسلامي ككل في هذا القرن غير مستقرة، ويسودها الفتن فقد "عاث سوس الفساد في ذاك الجسم العظيم الذهبي، وتناثر عقد البلاد العربية الإسلامية، وانتقصت من أطرافها، والأهواء مشتتة والنفوس شعاع متطاير في كبد السماء"(1).

ولم تتحسَّن أحوال الخلافة العباسية والشرق الإسلامي، بل زادت أوضاعه سوءاً حين سيطر بنو بويه (وهم جماعة من الديلم) على بغداد (خلال الفترة ما بين 334-447هـ) عاصمة الخلافة العباسية، حيث قبض معز الدولة البويهي على الخليفة المستكفي بالله، وساء معاملته للخليفة(2).

ومن هنا يمكن أن نرجع أسباب إعلان عبد الرحمن الخلافة في الأندلس بما يلي:

1. كانت أوضاع الخلافة العباسية من أسباب إعلان عبد الرحمن نفسه خليفة للمسلمين، وذلك حين بلغه التسلط التركي على الخلافة العباسية زمن الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م) الذي عجز عن حماية العالم الإسلامي(3).

---

(1) الكيلاني، إبراهيم، **رسائل أبي حيان التوحيدي**، دراسة عن حياته، دار طلاس للدراسات والنشر، د.ط، دمشق د.ت، ص19. (يشار إليه فيما بعد: الكيلاني، رسائل).

(2) انظر التفاصيل: مسكويه، أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م) **تجارب الأمم**، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، القاهرة د.ت، ج2، ص87.(يشار إليه فيما بعد: مسكويه، تجارب الأمم)؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج7، ص207؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج11، ص217.

(3) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص198؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص29؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص233؛ ابن كثير، **البداية ونهاية**، ج11، ص245؛

2. قيام خلافة شيعية فتية معادية في المغرب سنة 297هـ/909م وهي الخلافة الفاطمية[1] التي اتسعت رقعتها بعد انتقالها إلى مصر، وتأسيسها مدينة القاهرة سنة 358هـ/969م، وكانت هذه الدولة معروفة بعدائها للعباسيين وللأمويين معاً، باعتبارهم سُنيّين[2]. ويرى "وات" أن هدف إعلان الناصر الخلافة الأموية في الأندلس هو لمواجهة إدعاء الفاطميين[3].
3. ضعف مكانة الأمير الأموي في قُرْطُبَة، نتيجة للثورات والفتن الداخلية التي شغلت عهود ثلاثة من الامراء قبله، بحيث أصبحت الحاجة ماسة إلى رفع مكانة الأمير ومنزلته السياسية والدينية، لا سيما أن تلك الغزوات الداخلية قد تم القضاء عليها من قبل الناصر[4]. كذلك فإن لقب خليفة يُهيئ للعاصمة قُرْطُبَة دوراً أكثر مركزية يمكنها من القبض على أطراف الدولة قاطبة، ويُمكّنها من قمع أي تحرك إنفصالي بالسرعة القصوى[5].
4. كما أن الناصر بدعوته للخلافة لم يؤكد حقه الشامل في حكم المسلمين، بل استقلال حكام الأندلس عن أي سلطة سياسية إسلامية عليا[6].

القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص235-236؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص353.

(1) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص18؛ الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص39؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص198؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص182؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج3، ص233؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج11، ص245؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص235-236؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298.

(2) الشطشاط، علي حسين، **تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة**، دار قباء للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة 2001م، ص 155-156.(يشار إليه فيما بعد: الشطشاط، تاريخ الإسلام).

(3) وات، **في تاريخ إسبانيا**، ص59.

(4) العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص170.

(5) السامرائي، **تاريخ العرب**، ص162.

(6) وات، **في تاريخ إسبانيا**، ص59.

5. يرى بعض المؤرخين أن أهل البلاد هم الذين منحوا أميرهم لقب (خليفة) تقديراً لجهوده في توحيد البلاد، وتثبيت أركانها وإعادة مجدها، وذلك بعد أن تيقنوا من ضعف الخلافة العباسية وبطلان خلافة الفاطميين في المغرب[1].

وهذه العوامل كلها اجتمعت لتشجع الناصر على الخروج عن الأصل النظري السني للخلافة والقائل بأن الخلافة لا تتجزأ، غير أن مصلحة العمل وتغيرات الظروف السياسية بعد ذلك، حتَّمت الخروج عن هذا الإطار ووضعه محل الاجتهاد، ومن ثم أجاز السُّنيون أنفسهم تعدد الخلافة ما دامت هناك مصلحة تقضي بذلك، واعترفوا بشرعية إمامين يتواليان الحكم في وقت واحد بشرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة ومساحة شاسعة لمنع الاصطدام والفتنة بين المسلمين، وكل هذا يدل على أن نظرية الخلافة السنيّة قد تكيّفت تكيّفاً جديداً تبعاً للواقع وللضرورة السياسية ومصلحة المسلمين[2].

وهكذا أصبح الأمير عبد الرحمن خليفة للمسلمين في الأندلس، وهو أول الخلفاء المروانيين بالأندلس[3]، واستمر لقب خليفة من بعده في ذريته حتى سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م[4].

أما عن نظام الخلافة في الأندلس، فإنه يقوم على أساس التوريث، ويستند إلى السياسة أولاً، ثم إلى الدين ثانياً، وهو نظام يختلف عن النظام الذي اتبعه الخلفاء الراشدون، إذ إنَّ خلافة هؤلاء تقوم على الشورى والانتخاب، وإذا ما قورن بين نظام الخلافة الأموية في الأندلس، وبين الخلافة الفاطمية في المغرب، والعباسية في

---

(1) العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص170؛ السامرائي، **تاريخ العرب**، ص162.

(2) فيلالي، عبدالعزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر، د.ط، الجزائر 1970م، ص138. (يشار إليه فيما بعد: فيلالي، العلاقات السياسية).

(3) العسقلاني، ابن حجر الحافظ أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ/1448م)، **نزهة الألباب في الألقاب**، تحقيق عبد العزيز محمد صالح السِّديري، مكتبة الرشد، ط1، الرياض 1989م، ج2، ص214. (يشار إليه فيما بعد: العسقلاني، نزهة الألباب).

(4) الشطشاط، **تاريخ الإسلام**، ص157.

المشرق، فإنه يتبيَّن؛ أنَّ الأمويين أكثر مرونة من الخلافة العباسية والفاطمية، فالخلافة العباسية كانت تقوم على نظرية التفويض الإلهي، وهذه النظرية مستمدة أصولها من النظرية الكسورية الفارسية في الحكم، وقد ساد هذا النظام أيضاً عند ملوك أوروبا الحديثة[1]، والخليفة الفاطمي يعتبر نفسه إماماً معصوماً من الأخطاء، ولا يسأل عما يقوم بفعله، لأنه المعلم الأكبر، الذي ورث العلوم الدينية، بما فيها أسرار الكون وخفايا الغيب التي انتقلت إليه من النبي (صلى الله عليه وسلم) عن طريق علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأبنائه من بعده[2].

هذه القداسة التي اتسمت بها خلافة العباسيين والفاطميين لا نجدها في الخلافة الأموية في الأندلس، فالخليفة في الأندلس إنسان عادي قد يُخطئ أو يصيب، والناس أحرار في نقده وإن استطاعوا عزله عزلوه[3].

ومن الأمثلة على الروح المرنة لنظام الخلافة في الأندلس على سبيل المثال لا الحصر أنَّ عبد الرحمن حين بنى مدينة الزهراء وصرف عليها جزءاً كبيراً من وقته، ومن مال الدولة، قامت ضدَّه معارضة شديدة تزعمها قاضي قرطبة أبو الحكم المنذر بن سعيد البلوطي القرشي الذي أخذ يُحرّض بالخليفة في مسجد الزهراء أيام الجمعة، وقد أثارت هذه المعارضة الخليفة الناصر، فشكا ذلك لولده وولي عهده الحكم بقوله: "والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عنى بها غيري، فأسرف عليّ وأفرط في تقريعي وتفزيعي، ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني"، ثم أقسم الناصر بألا يصلي خلفه صلاة الجمعة أبداً فصار يلتزم صلاتها وراء صاحب الصلاة بقُرْطُبَة أحمد بن مطرف، ويجانب الصلاة بالزهراء[4]. هذه الحادثة ترينا نوع العقاب الذي أنزله الخليفة الناصر بقاضيه المعارض لسياسته المالية، والذي لم يصل إلى حد

([1]) العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص 169.

([2]) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص198.

([3]) العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص171.

([4]) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص183.

القسوة، بل اكتفى بعدم الصلاة خلفه، كذلك أظهر القاضي معارضته الشديدة للخليفة دون عزله، أو الأمر بذلك.

هذا وتختلف نشأة الخلافة الأندلسية عن نشأة الخلافة العباسية أو الفاطمية، من حيث أنها لم تستند على ما يسمى بالحق الطبيعي الموروث الذي يأتي عن طريق فاطمة الزهراء بنت الرسول كما تقول الشيعة، أو عن طريق الميراث عن العباس بن عبدالمطلب عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما يقول العباسيون، على أساس أن العم في الميراث مفضّل على ابن البنت. أما في الأندلس فلم يحدث شئ من هذا الإجراء، وكل ما هو هناك أن عبد الرحمن الناصر كما هو واضح في المنشور الذي أصدره رأى أن يكون خليفة لأنه أحق من غيره ولا سيما الفاطميين، وعرض الأمر على الأمة فقبل الناس ذلك وبايعوه، فهي أشبه بعقد بين الحاكم والمحكوم[1].

ويتفق المؤرخون على أن عهد الخلافة في الأندلس، هو أزهى العصور الأموية سياسياً؛ لأنه يمثل عهد النضج الذي بلغته الشخصية الأندلسية، بعد عمليات التبلور في المجال السياسي، ففي هذا العهد اتجهت الأنظار من المشرق والمغرب، ومن طرف الدول والإمارات الأجنبية إلى الأندلس، فتوالت الوفود والرحلات إليها، مما أتاح الفرصة بظهور الشخصية الأندلسية المبدعة في كثير من المجالات[2]. والفصول القادمة ستثبت عظمة التطور الحضاري والتقدم الاقتصادي في المجتمع الأندلسي زمن الخليفة الناصر.

([1]) العبادي، **في تاريخ المغرب**، ص171-172.

([2]) السفاريني، رانية عبدالكريم محمود، **قصيدة مدح بني أمية في الأندلس حتى سقوط الخلافة**، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، إشراف مصطفى عليان، الجامعة الهاشمية، 2003م، ص10-11. (يشار إليه فيما بعد: السفاريني، قصيدة).

الفصل الثاني

الزراعة والنشاط الرعوي

تأتي أهمية الجانب الزراعي في الأندلس من خلال إعتباره إحدى الركائز الأساسية للحضارة العربية الإسلامية التي ازدهرت وتقدمت إلى حدٍ كبير، فقد شهدت بلاد الأندلس نهضة حضارية رائعة ومتميزة بدأت مع الفتح الإسلامي مروراً بعصر الولاة حتى بلغت تقدماً في عهد الدولة الأموية(1)، وقد امتزجت الحضارة العربية الإسلامية بما سبقها من حضارات، فكانت تتفاعل مع هذه الحضارات حتى أصبحت مركز إشعاع وتطوير إبان العهد الإسلامي أو بعده(2).

ويحتوي هذا الفصل على جوانب الزراعة والنشاط الرعوي في الأندلس، مستهلاً الحديث حول جغرافية الأندلس ثم العوامل التي ساعدت على نشأة الزراعة، وأهم نباتات الأندلس ومدنها الزراعية، وأساليب الري ونظام الأراضي، والكوارث الطبيعية وأثرها على الزراعة، وأخيراً الرعي وتربية الماشية.

1.2 جغرافية الأندلس:

1.1.2 مصطلح الأندلس

الأندلس كلمة أطلقها المسلمون على معظم أنحاء شبة الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، وقد سميت الأندلس بعدة تسميات قبل الفتح الإسلامي لها(3)، ومن هذه التسميات:

أ. شبة الجزيرة الإيبيرية

ب. شبة الجزيرة الإسبانية

ج. أوفيوسا

---

(1) حتاملة، محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، مطابع الدستور التجارية، د.ط، عمان 2000م، ص8102. (يشار إليه فيما بعد: حتاملة، الأندلس).

(2) حتاملة، **الأندلس**، ص1078.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص211؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص4-5.

د. بلد الحيات

وقد أَطلق الرومان على الأندلس اسم سبانيا أو إسبانيا، وهي تسمية فنيقية أصلها إصفانيم التي تعني بلغتهم شاطئ الأرانب[1].

هـ. وتُسمى الأندلس باليونانية إشبانيا[2].

أما بالنسبة للأصل التاريخي لمصطلح الأندلس فيرى ابن عذاري[3]أنها مشتقة من اسم قوم عرفوا بالأندلِش، وهم جماعات سكنوا تلك البلاد، فعُرفت بهم، وقد أخذ العرب هذه التسمية من اسم قبائل الوندال[4]الجرمانية الأصل الذين حكموا جنوب إسبانيا فسميت المنطقة فندلسيا نسبة لهم، ثم عُرّب الاسم فيما بعد وأصبح الأندلس[5]. وبالتالي فإن مصطلح الأندلس ارتبط تاريخياً في العهود الإسلامية، وإن العرب لم يعرفوا تسمية الأندلس قبل هذه العهود .

وظل اسم الأندلس يُطلق على ما كان العرب يملكونه من شبة الجزيرة الإيبيرية حتى أقتصر في النهاية على مملكة غَرْناطة في الركن الجنوبي الشرقي من إسبانيا، وكانت غَرْناطة تُمثل ثُمن مساحة إسبانيا، ومع ذلك ظل يسمى الأندلس، وفي النهاية عندما لم يبقَ في يد المسلمين إلا غَرْناطة كانت هي الأندلس[6].

---

(1) حتاملة، **الأندلس**، ص1021.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص525.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2،ص1-2؛ انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص211؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص32 ؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص133.

(4) الوندال: هم من الشعوب الذين سكنوا نهر "الأودور"(Oder) ونهر "الفيستولي"(Vistale) في شرقي ألمانيا، ثم زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا مضيق جبل طارق، واحتلوا شبة الجزيرة الإيبيرية في القرن الثالث الميلادي. انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج1،ص1-3؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص127-139؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص37؛ حلاق، حسان، **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الأندلس**، الدار الجامعية، بيروت 1986م، ص15-16. (يشار إليه فيما بعد: حلاق، العلاقات الحضارية).

(5) حتاملة، **الأندلس**، ص1022؛ العمايرة، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية**، ص30.

(6) مؤنس، **معالم تاريخ المغرب**، ص229.

2.1.2 موقع الأندلس وحدودها

تقع الأندلس في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية وتبلغ مساحتها الكلية نحو ستمئة ألف كيلو متر مربع، وتشكل إسبانيا الحالية خمسة أسداسها في حين تشكل البرتغال سدسها الباقي(1).

ويحد الأندلس من الشمال الشرقي جبال البرت التي تفصلها عن فرنسا، ومن الشمال الغربي خليج بسقاية، ومن الجنوب مضيق جبل طارق، ومن الشرق والجنوب الشرقي البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب والجنوب الغربي المحيط الأطلسي(2).

ويقول البكري (ت 487هـ/ 1055م) الذي يعد من أوائل الجغرافيين الذين أنجبتهم بلاد الأندلس: "وتعتبر الأندلس شبه جزيرة، لأن المياه تحيط بها من جهاتها الثلاث: الشرق والغرب والجنوب والشمال الغربي، وتبقى الجهة الشمالية الشرقية يابسة وهي جبال البرت"(3).

2.2 العوامل التي ساعدت على نشأة الزراعة:

---

(1) حتاملة، **الأندلس**، ص1024؛ حميدة، عبد الرحمن، **جغرافية أوروبا الغربية**، دار الفكر، ط1، دمشق1985، ص395. (يشار إليه فيما بعد: حميدة، جغرافية أوروبا).

(2) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص35؛ الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص36؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ أبوالفداء، **تقويم البلدان**، ص144؛ العمري، ابن فضل الله، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 749هـ/1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق محمد عبدالقادر خريسات وأخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، د.ط، د.ت، ج1، ص56-57. (يشار إليه فيما بعد: العمري، مسالك الأبصار)؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32-33؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج2، ص131.

(3) البكري، **جغرافية الأندلس**، ص84؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 2، ص131-132.

1. المُناخ

وهو حالة الجو لفترة زمنية طويلة، ويُعدُّ من أهم عوامل التغير الزراعي، ويؤثر تأثيراً مباشراً في الاستقرار البشري كذلك في الإنتاج النباتي. وفيما يلي توضيح لمُناخ الأندلس، وأثره على الإنتاج والتنوع الزراعي.

وصف بعض المؤرخين الأندلس بأنها: "شامية في طيبها وهوائها، ويمانية في إعتدالها وإستوائها، وهندية في عطرها وذكائها"[1] وأنها: "معتدلة الهواء أكثر الأزمان"[2]، و"حسنة الهواء"[3]. ومن هنا نلحظ أن مناخ الأندلس يتميز بالاعتدال، وبالتالي فمناخها يتلاءم مع التنوع الزراعي، حيث درجات الحرارة تتفاوت من منطقة إلى أخرى، ومن فصل إلى آخر، ففي المناطق الداخلية ترتفع درجات الحرارة صيفاً بينما تنخفض تلك الدرجات شتاءً[4]، وتختلف مواقع الأمطار وهبوب الرياح بالأندلس، فالجهة الشرقية من الأندلس تمطر بالرياح الشرقية، فتسيل الأودية وتصب المياه في البحر الأبيض المتوسط، وأما الجهة الغربية فتمطر بالرياح الغربية وتصب مياهه في المحيط الأطلسي[5].

وفي وصف هواء الأندلس يقول الشاعر ابن سفر المريني[6]:

---

(1) القزويني، **آثار البلاد**، رواية العذري، ص504؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص3.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 1، ص 140/130.

(3) الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 565هـ/1170م)، **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، بور سعيد د.ت، ص80. (يشار إليه فيما بعد: الزهري، الجغرافية)؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص4.

(4) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص4.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص131.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص209. ابن سفر المريني: أبو الحسين محمد بن سفر المريني، وهو أحد الشعراء المتأخرين عصراً المتقدمين قدراً، وهو شاعر المرية في عصره الذي يغني ما أنشده من شعره عن الإطناب في التنبيه على قدره. انظر: الوائلي،عبد الحكيم، **موسوعة شعراء الأندلس**، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2001م، ص 161. (يشار إليه فيما بعد: الوائلي، موسوعة).

وللهواء بها لطفٌ يرقّ به   من لا يرقُّ لآلي الطلُّ أنداء
ليس النسيم الذي يهفو بها سَحَراً   في ماء وردٍ فطابت منه أرجاء

وتعتبر الأندلس في موقعها الجغرافي من المناطق التي تقع ضمن مُناخ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي[1]، وبالتالي فإن للمناخ المعتدل أثرٌ كبيرٌ في التنوع الزراعي الذي ساد بلاد الأندلس.

2. الموارد المائية

تُعدُّ الموارد المائية من أهم عناصر النهوض الاقتصادي، وعامل مهم للاستقرار البشري، حيث يستقر الناس ويجتمعون حول مصادر المياه[2]. ومما يدل على وفرة المياه في الأندلس، قول الشاعر أبي إسحاق بن خفاجة:

يا أهل أندلس لله درّكم   ماءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشجار[3]

ويذكر ابن الشبّاط أن المسافر في الأندلس من جهة إلى أخرى، لا يحتاج إلى التزود بالماء، وذلك لكثرة أنهارها وعيونها وآبارها[4]. كما ذكر ابن الخطيب أن الأندلس قد خصّها الله من الري وغدق السقيا بما لا يوجد في كثير من الأقطار الأخرى[5]. وإذا نظرنا إلى مصادر المياه في الأندلس نجد أنها تتمثل في مياه الأمطار، والأنهار، والعيون والآبار.

---

(1) الإشبيلي، أحمد بن محمد بن حجاج (ت 467هـ/1075م)، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، إشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، د.ط، 1982م، ص أ. (يشار إليه فيما بعد: الإشبيلي، الفلاحة).

(2) المراكشي، محي الدين بن محمد بن عبد الواحد (ت 647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تحقيق محمد سعيد العريان، إشراف محمد توفيق عويضة، الجمهورية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، د.ت، ص30. (يشار إليه فيما بعد: المراكشي، المعجب).

(3) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص5.

(4) ابن الشبّاط، **صفة السمط**، ص100؛ انظر: المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 1، ص226.

(5) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص4.

أ. مياه الأمطار

وهي من أكثر مصادر المياه نفعاً على الإطلاق[1]، وتوزيع مياه الأمطار في الأندلس ليس متساوياً، فالسواحل الغربية غزيرة بالأمطار والتي تصل إلى 750 ملم سنوياً[2]، وهضبة الميزيتا[3] أمطارها قليلة، ومعظم أراضيها جافة[4]، وتحيط بهذه الهضبة سلسلة من الجبال، فمن الشمال تقع جبال كانتبريان الإلتوائية، ومن الجنوب جبال سيرانيفادا، وترتفع فوق الهضبة بعض السلاسل الجبلية القديمة مثل سيرادي جوادا راما التي تقسم الهضبة إلى قشتالة القديمة وقشتالة الجديدة. والمهم أن العرب استغلوا كميات مياه الأمطار المتساقطة من الجبال، فجمعوها في خزانات كبيرة لاستخدامها في الزراعة وغيرها[5].

ب. مياه الأنهار

وتعتبر من المصادر الرئيسة التي يعتمد عليها السكان في الشرب وري المزروعات، وقضاء حوائجهم، ولذلك فقد أصبحت المناطق التي تمر بها الأنهار من

---

(1) ابن بصال، عبد الله بن إبراهيم (ت 5هـ/617م)، **الفِلاحة**، نشر وترجمة فوسي مياس بيكروسا، محمد عزيحان، معهد مولاي الحسن، تطوان1955م، ص39. (يشار إليه فيما بعد:ابن بصال، الفلاحة).

(2) هياجنة، محمد، **الوضع الزراعي بالأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين**، رسالة ماجستير، إشراف محمد حتاملة، الجامعة الأردنية 1989م، ص 48. (يشار إليه فيما بعد: هياجنة، الوضع الزراعي).

(3) الميزيتا: اسم مشتق من كلمة إسبانية، تعني أرض على شكل منضدة أو السهل الواسع المرتفع وقد تكونت هذه الهضبة من صخور قديمه يرتفع معظمها أكثر من 600م، وتشكل إقليماً طبيعياً واسعاً. انظر: الجمل، محمود جلال الدين، **أوروبا في مجرى التاريخ، دراسة جغرافية**، د.ط، د.ت، ص483. (يشار إليه فيما بعد: الجمل، أوروبا)؛ ذنون طه، عبد الواحد، **الفتح والإستقرار العربي والإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، د.ط، 1982م، ص68. (يشار إليه فيما بعد: ذنون طه، الفتح والاستقرار)؛ حتاملة، الأندلس، ص49.

(4) الجمل، **أوروبا**، ص488.

(5) حتاملة، **الأندلس**، ص1029؛ الأنصاري، فاضل، **الجغرافية الاجتماعية**، د.ط، جامعة دمشق 1978م، ص341. (يشار إليه فيما بعد: الأنصاري، الجغرافية الاجتماعية).

مناطق جذب السكان، لا سيما أن أنهار الأندلس تمتاز بالغزارة[1]، وأكثر ما يتجه انسياب مياه الأنهار باتجاه الغرب لتصب في المحيط الأطلسي، والسبب هو إنحدار سطح الأرض نحو الإتجاه المذكور[2]. هذا ويوجد بالأندلس أنهار كثيرة[3]، والتي بدورها تنقسم إلى قسمين اثنين وذلك حسب مصباتها:

القسم الاول: الأنهار التي تصب في المحيط الأطلسي وأهمها:

1. نهر الوادي الكبير:

المعروف بالنهر الأعظم، ويعرف أيضاً بنهر قُرْطُبَة، وينبع من جبل شَقُّورَة شرقاً ويصب في المحيط الأطلسي غرباً، وهو من أحسن أنهار الأندلس، حيث تحيطه البساتين والدور والقصور[4]، ويصل طوله ما يقارب 579 كليو متر في حين تبلغ مساحته الكليّة 63700 كم مربع[5]، ويروي مناطق السهل الجنوبي[6]، ومن أشهر مدنه قُرْطُبَة[7]، وإِشْبِيلِيَة[1].

---

(1) القزويني، **آثار البلاد**، ص502–503؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص130/140.

(2) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 354هـ/965م)، **التنبيه والإشراف**، إشراف لجنة تحقيق التراث، منشورات دار ومكتبة الهلال، د.ط، بيروت 1981م، ص68. (يشار إليه فيما بعد: المسعودي، التنبيه والإشراف).

(3) ابن حوقل، **صورة الارض**، ص108؛ القزويني، **آثار البلاد**، رواية العذري، ص503؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 1، ص 226.

(4) أبوالفداء، **تقويم البلدان**، ص145؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ج1، ص74؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص226.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص560.

(6) دويدار، حسين يوسف، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي** (138–422هـ/755–1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1994، ص338. (يشار إليه فيما بعد: دويدار، المجتمع الأندلسي).

(7) الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/1164م)، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب **نزهة المشتاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر 1983م، ص264. (يشار إليه فيما بعد: الإدريسي، القارة الإفريقية).

2. نهر وادي آنه:

وينبع من موقع يعرف"بفج العروس"، ويمر بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آنه، وربما من هنا جاءت تسمية هذا النهر، ثم يتجه هذا النهر من هذه القرية إلى حصن أرَنْد ومنه إلى مارِدَة[2]ثم يمر بمدينة بَطْلِيوس، فيسير منها إلى مدينة شريس ليصب في المحيط الأطلسي[3].

3. نهر دويرة:

ويطلق عليه العرب الوادي الجوفي[4]، ومجراه لا يتجاوز 125كم، ويسير في هضبة الميزيتا، ويصب في المحيط الأطلسي عند هضبة بورتو شمال مدينة قُلُمْرِيَة[5]

.

4. نهر وادي لُكّة:

ومنبعه جبل كاترونة في الجهة الشرقية من مدينة قادِش[6]، وتبلغ مساحته حوالي 40 فرسخاً[7]، ويصب في المحيط الأطلسي.

---

(1) دويدار، **المجتمع الأندلسي**، ص338.

(2) مارِدَة: مدينة أندلسية، تقع شمال غرب قُرْطُبَة، وهي مدينة حصينة كانت قاعدة لحكام الرومان الذين أقاموا فيها منشآت لا زالت أثارها باقية إلى اليوم كالقنطرة والملعب وخزان المياة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص518-519؛ ابن الشبّاط، **صلة السمط**، ص21.

(3) القزويني، **آثار البلاد**، ص505-506 .

(4) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص273-274.

(5) الجمل، **أوروبا**، ص487. قُلُمْرِيَة: مدينة صغيرة، متحضرة، عامرة، كثيرة الخيرات، بينها وبين قورية أربعة أيام، بالقرب من المحيط الاطلسي. الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص471.

(6) قادِش: مدينة أندلسية قديمة، تقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الإيبرية، وعلى ساحل المحيط الأطلسي. انظر: العمري: **مسالك الأبصار**، ج1، ص76.

(7) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 1، ص 249. الفرسخ يتألف من 3 أميال، كل ميل 1000 باع، كل باع 4 أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي 6 كم. انظر: هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ط2، عمان 1970م، ص94.(يشار إليه فيما بعد:هنتس،المكاييل والأوزان).

القسم الثاني: الأنهار التي تصب في البحر الأبيض المتوسط وأهمها:

1. نهر ابرو:

ويسمى نهر سَرَقُسْطَة، وهو نهر كبير ومتسع الجوانب، ومياهه غزيرة[1]، وينبع من عين يقال لها "فونت ابرهي" [2]، ويصب في البحر الأبيض المتوسط بنواحي طُرْطوشَة[3]، ويبلغ طوله حوالي 200 ميل/321.87كم[4].

2. نهر تاجه:

وينبع من مدينة شنتبرية[5]، ويشق مدينة طُلَيْطُلة، وهو من أطول أنهار الأندلس، حيث يبلغ طوله 1006 كم[6]، وم أشهر مدنه طلَّبيرة[7].

3. نهر شَقُّورَة:

ويسمى النهر الأبيض[8]، وينبع من مدينة شَقُّورَة، وربما من هنا جاءت تسمية هذا النهر، ويمر بمدينة بَلَنْسية، ويسقي مسافات واسعة من المنطقة الشرقية من الأندلس[9]

.

وأنهار الأندلس كثيرة فقد ذكر كل من الزهري والمقّري أن الأندلس يشقها أربعون نهراً[1]، منها ما يُستخدم للزراعة كالتي ذكرناها، ومنها أنهار عذبة[2]، كنهر العسل

(1) العمري، **مسالك الأبصار**، ج1، ص76.

(2) العمري، **مسالك الأبصار**، ج1، ص76.

(3) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص278.

(4) القزويني، **آثار البلاد**، ص505.

(5) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص36.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص127.

(7) طلَّبيرة: من بلاد الأندلس القديمة، تقع على نهر تاجه، مبنية على جبل عظيم. انظر: البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ /1094)، **المسالك والممالك**= ==تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العالمية، د.ط، بيروت د.ت، ج2، ص395؛ (يشار إليه فيما بعد: البكري، المسالك والممالك)؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص395.

(8) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص287-288.

(9) الزهري، **الجغرافية**، ص99.

الذي يشق مدينة الجزيرة الخضراء في جنوب الأندلس، وهو نهر حلو عذب، ومنه شرب أهل المدينة، وعليه بساتين كثيرة[3]. ونظراً لكثرة أنهار الأندلس فقد ذكرنا أهمها كعامل هام من عوامل قيام وازدهار الزراعة في الأندلس.

ج. مياه العيون والآبار:

وصف ابن حوقل مياه الأندلس بقوله: "ويغلب عليها المياه الجارية"[4]، وفيها أيضاً عيون مطردة، وآبار كثيرة [5]، ويؤكد على ذلك المقّري بقوله أن الأندلس: "بها من العيون ما لا يحصى، ولا يتزود فيها أحد ماءً حيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها"[6].

ومما سبق يتضح أن الأندلس مليئة من مياه العيون[7]، وخاصة في مدينة جَيَّان[8]. ومن آبار الأندلس على سبيل المثال لا الحصر بئر تبعد عن مدينة طُلَيْطُلَة مسافة 40كم، والذي يقع على مسافة 16 كم من مدينة مدريد[9]، كما ويوجد في مدينة الجزيرة الخضراء بئر عميقه ومياهها كثيرة وحلوة[10]. وتتغذى هذه العيون والآبار على مياه الأمطار الساقطة في فصل الشتاء، وقد جذبت هذه المياه السكان الذين استقروا

---

(1) الزهري، **الجغرافية**، ص80؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 1، ص226.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص108.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص539.

(4) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص108؛ انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص528-530.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص528-530.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 1، ص226.

(7) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص303؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص457؛ المقّري، **نفح الطِّيب**،مج1، ص129-130.

(8) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177.

(9) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص135.

(10) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص263.

بجوارها واستفادوا منها في شؤون حياتهم. هذا وتعتبر المصادر المائية في الأندلس مختلفة ومتعددة فاستغلها السكان في الشرب وسقاية الأشجار والبساتين.

3. خصوبة التربة

التربة أهم عناصر الفلاحة، ذلك لأنها تغطي سطح الأرض، وفيها يتوفر الماء والغذاء اللذان هما أساس وجود النبات[1]، وقد وصف المؤرخون الأندلس عموماً بأنها: "بقعة كريمة طيبة التربة"[2]، لخصوبتها العالية[3]، التي تجعلها أكثر ملائمة لزراعة الأشجار وتنوعها[4].

وتعتبر السهول الداخلية من المناطق الواسعة داخل الأندلس، والتي تشتهر بخصوبتها، لا سيما تلك التي تتكون تربتها من رواسب غرينية، كما هو الحال في السهول المحيطة بنهر الوادي الكبير[5]، وأما السهول الساحلية فهي كذلك تعتبر خصبة، فقد استغلها السكان بما عرفوا من المزروعات. وهذه السهول تقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

أ. **السهول الساحلية الشرقية**، وتحاذي ساحل البحر الأبيض المتوسط من أُرْبُونَة[6] في الشمال إلى قرطاجنة[1] في الجنوب[2].

---

(1) الجعافرة، بلال راكان، **الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين**، رسالة ماجستير، إشراف تقي الدين الدوري، جامعة مؤتة 2005م، ص68. (يشار إليها فيما بعد: الجعافرة، الفلاحة).

(2) ابن الشبّاط، **صلة السمط**، ص101؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32.

(3) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ؛ الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص35.

(4) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص560.

(6) أُرْبُونَة: مدينة يُلفظ اسمها بفتح أوله، ويضم، ثم السكون وضم الباء وسكون الواو ونون وهاء(أُرْبُونَة)،بينها وبين قُرْطُبَة ألف ميل وهي في أقصى جنوب شرق فرنسا. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 140.

ب. السهول الساحلية الغربية، وتمتد على ساحل المحيط الأطلسي، وهي أكثر اتساعاً من السهول الساحلية الشرقية، لبعد السلاسل الجبلية عن تلك السواحل[3].

ج. السهول الساحلية الجنوبية، وتمتد من الركن الغربي عند جزيرة قادش إلى الركن الشرقي عند ميورقة[4].

أما بالنسبة للمرتفعات الجبلية، فتشتمل على أراضٍ واسعة وكثيرة الخيرات، وتعتبر إسبانيا من البلاد الجبلية التي استغلها السكان في الزراعة، ومن هذه الجبال:

أ. سلسلة جبال البرت: وتمتد من طُرْطوشَة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شرقاً وتنتهي عند المحيط الأطلسي غرباً[5].

ب. جبل الشارات: ويمتد هذا الجبل من الشرق إلى الغرب في وسط بلاد الأندلس، فيقسم الأندلس إلى قسمين جنوبي وشمالي، وفي جنوب هذا الجبل تأتي مدينة طُلَيْطُلَة[6].

ج. جبل الأغر: الذي يمر بالساحل الجنوبي حتى يصل بجبال البرت[7].

د. توجد سبعة جبال صغيرة متصلة ببعضها البعض، طولها من الغرب إلى الشرق نحو ميل، ويتصل بها من جهة الغرب جبل موسى بن نصير[1]. وبالأندلس جبل يمتد من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي ماراً ببَلَنْسية[2].

---

(1) قرطاجنة: مدينة بالأندلس من كورة تدمير، تقع بالقرب من ألش. الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص462.

(2) الأنصاري، **الجغرافية الاجتماعية**، ص269.

(3) القزويني، **أثار البلاد**، ص542.

(4) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص212. ميورقة: جزيرة شرق الأندلس في البحر الأبيض المتوسط وتشكل مع جزيرتي منورقة واليابسة ما يعرف في الجغرافيا الأندلسية بالجزائر الشرقية أو جزر البليار. انظر: البكري، **جغرافية الأندلس**، ص66؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص246-247؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص567.

(5) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص169.

(6) الإدريسي، **قارة الإفريقية**،ص256-257.

(7) العمري، **مسالك الأبصار**، ج1، ص56-57.

وهكذا نلحظ أن طبيعة الأندلس مكونة من سهول وهضاب وجبال وأودية، والتي تتميز غالبيتها بالخصوبة.

وفي وصف الأراضي الأندلسية يقول ابن سفر المريني[3]:

في أرض أندلسٍ تُلتذُّ نَعماءُ ولا يفارق فيها القلب سرّاءُ
وليس من غيرها بالعيش منتفعٌ ولا تقوم بحق الأُنس صَهباءُ
وأين يُعدلُ عن أرضٍ تَحُضُّ بها على المُدامة أمواهٌ وأفياءُ
فيها خلعتُ عذاري ما بها عِوضٌ فهي الرياضُ وكلُّ الأرض صحراءُ

4. كان لدخول العناصر البشرية والخبرات الجديدة مع الفتوحات الإسلامية إلى الأندلس، أثرٌ كبيرٌ في نشأة الزراعة وتوسيع رقعة الأراضي المزروعة، وتطويرها فيما بعد[4].

ومما سبق نلحظ أن كل من المناخ المعتدل وتنوع مصادر المياه من أمطار وأنهار وعيون وآبار، كذلك خصوبة التربة قد ساهمت كل هذه العوامل عملياً وواقعياً في التنوع الزراعي وكثرة الاهتمام بالإنتاج الزراعي في الأندلس التي أصبحت بذلك بطاحاً أخضراً[5].

3.2 نباتات الأندلس ومدنها الزراعية:

كانت الزراعة عماد الاقتصاد الأندلسي، فقد اهتم المسلمون بالزراعة حتى تنوعت النباتات والأشجار والمحاصيل الزراعية في الأندلس، واشتهرت الكثير من المدن الأندلسية بزراعة أنواع من النباتات، ومن هذه النباتات، الزيتون. وقد ذكر الإشبيلي

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص129.
(2) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص168؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص213..
(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، رواية ابن اليسع، ص209.
(4) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ.
(5) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ.

"الزيتونـة" فـي الأنـدلس فقـال: "فصـارت الزيتونـة شـجرة الأنـدلس الأولـى"[1]حيـث تكثـر زراعتـه فـي إشْـبِيليَة وخاصــة بجبـل الشـرف[2] كـذلك فـي سَرَقُسْـطَة[3]، وقسـطلّة[4]، وشُوذَر[5]، ولبلة وافراغة، ولاردة[6]، ومكناسة[7]، ومالَقَة[8].

كذلك زرع المسلمون "التين" في كل مكان حتى في الصخور والجبال والأماكن الأخرى[1]، واشتهرت به عدد من بلدان الأندلس مثل بلّش أو (بلّس)[2]، وإشْبِيليَة[3]،

---

(1) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ.

(2) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص264؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص58؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص208. جبل الشرف: سمي بذلك لأنه يشرف من ناحية إشْبِيلِيَة ويمتد من الجنوب إلى الشمال. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص541. وهو جبل دائم الخضرة طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً، وعرضه من الشرق إلى الغرب اثنا عشر ميلاً. انظر: شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب(ت 727هـ/1326م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت 1988م، ص321. (يشار إليه فيما بعد: شيخ الربوة، نخبة الدهر).

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5،ص218.

(4) قسطلّة: قرية تقع في الجهة الغربية من الأندلس. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص479.

(5) ارسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، نشر محمد مهدي الجبالي، المكتبة التجارية الكبرى، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر 1936م، ج1، رواية المقدسي، ص269؛ (يشار إليه فيما بعد:ارسلان، الحلل السندسية)؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص266. شُوذَر: قرية بكورة جَيَّان، كثيرة المياه والبساتين. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص351.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2،ص538. لاردة: وهي مدينة قديمة، تقع في ثغر الأندلس الشرقي بشرقي مدينة وشقة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص507؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص181؛ انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص507؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص7.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص538. مكناسة: حصن بالأندلس من أعمال مارِدَة، ويبعد عن قُرْطُبَة مسافة أربعة أيام. انظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص46؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص181.

(8) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص152.

ومرسيَّة[4]، ومالَقَة، ومربلة[5] وشريش[6]، وحصن قسطلّة، ومدينة لقنت[7]، وفي مناطق الجنوب الغربي من الأندلس وخاصة في شنت مارية الغرب، كما وزُرع التين في مدينة شلب الذي يوجد "بها تينٌ طيّب لذيذ"[8]، كذلك اشتهرت سَرَقُسْطَة بالتين اليابس[9] وفي جزيرة الغنم بالقرب من لشبونة يوجد شجر التين البري[10]، وللتين في الأندلس أنواع أخرى، كالأخضر في بَلَنْسية[11]، وأجود أنواع التين هو الموجود في مالَقَة والمنسوب إلى مدينة ريّة[12]، والذي تغنى الشعراء في وصفه لشهرته بحسن الطعم وطيب المذاق حتى قيل "إنه ليس في الدنيا مثله"[13] ومن ذلك قول أحدهم[14]:

مالَقَة حييت يا تينها   الفلك من أجلك يا تينها

نهى طبيبي عنه في علتي   ما لطبيبي عن حياتي نها

---

(1) ابن بصال، **الفلاحة**، ص66.

(2) القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5، ص218.

(3) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص264؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص208.

(4)الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص285؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص 182.

(5) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص175؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص298.

(6) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**،ص301.

(7) لقنت: من بلاد الأندلس، وتقع في الشرق على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بينها وبين دانِيَة على الساحل سبعون ميلاً، وهي مدينة صغيرة عامرة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص511.

(8) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص285/283/270/266.

(9) الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(10) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص272؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**،ص61.

(11) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(12) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص292.

(13) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص151.

(14) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص518؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص151.

أما شجر الموز فقد زُرع في بعض السواحل الأندلسية، فذكر القزويني أنه يكثر بسواحل إلبِيرَة [1]، في حين ذكر المقّري أن الموز يزرع في سواحل الأندلس[2]، وقد اشتهرت بزراعته منطقة المُنَكَّب[3].

واشتهرت بعض المدن الأندلسية بزراعة الرمان، ومن هذه المدن طُلَيْطُلَة[4]، ومالَقَة[5]، وغَرْناطة[6]، وذكر الإدريسي أن في الأندلس وادي للرمان يقع غرب حصن المدور قرب قُرْطُبَة[7].

وكان لغلات الحبوب كالقمح والشعير مدنها التي اشتهرت بها، فجَيَّان من أشهر بلاد الأندلس زراعة لهذه الحبوب[8]، كما واشتهرت مدينة يبورة بزراعة القمح بكثرة[9]، ومن مدن الحبوب بلشانة[10]، وشنترة[11]، وحصن بيانة[12]، وطلَّبيرة[13]، وبرشلونة[1]،

---

(1) القزويني، **آثار البلاد**، ص502.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص200/137.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص218. المُنَكَّب: منطقة أندلسية في جنوب الأندلس، لها مرفأ صغير عند مضيق جبل طارق. انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص44-45؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج5، ص494.

(4) القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5، ص228.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص152.

(6) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني (ت776هـ/1374م)، **الإحاطة في أخبار غَرْناطة**، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف، د.ط، القاهرة 1955م، مج1، ص143. (يشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب، الإحاطة).

(7) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص302.

(8) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص296؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

(9) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص268.

(10) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص300.

(11) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص164.

(12) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص299.

(13) الزهري، الجغرافية، ص85.

وأرجونة[2]، وبجّانة [3]، ولشبونة "التي تزرع فيها الحنطة، فتقيم في الأرض أربعين يوماً فتحصد"[4]، وكان القمح يُزرع بشكل واسع وأكثر في منطقة تطيلة[5] وفي جهات إستجة، وبيدة، وبياسة، وشريش[6]، وقَرْمُونة[7]، ووجدت مدن اشتهرت بزراعة الحبوب وحفظه لفترات طويلة كسَرَقُسْطَة التي كانت تحفظ القمح[8]، وطُلَيْطُلَة التي اشتهرت بحفظ مختلف الغلال[9]، وكانت حنطتها لا تسوس على مر السنين يتوارثها الخلف عن السلف[10].

أما زراعة الأعناب فقد اشتهرت به كل من شنت مارية الغرب، ولقنت[11]، وبجاية[12]، وسَرَقُسْطَة[13]، وبلّش[14]، ومرسيَّة، وقُلُمْرِيَة، وشريش، ودورقة، ووادي

---

(1) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص87. برشلونة: مدينة تقع في الركن الشمالي الشرقي من الأندلس على ساحل البحر المتوسط، بينها وبين طَرَّكونَة خمسون ميلاً. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص 86.

(2) أرسلان، **الحلل السندسية**، ج1، رواية المقدسي، ص269.

(3) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص38.

(4) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص273.

(5) تطيلة: مدينة بالأندلس تقع شمالي وشقة، وبين الشمال والشرق من مدينة سَرَقُسْطَة. انظر: البكري، **المسالك والممالك**، ج2، ص395؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص133.

(6) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ.

(7) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص301.

(8) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ الزهري، الجغرافية، ص82؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص197.

(9) الزهري، **الجغرافية**، ص83؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص276؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص545.

(10) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص133.

(11) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص266.

(12) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص216.

(13) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص197.

(14) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج54، ص218.

آش[1]. ومن الأعناب يُعمل الزبيب الذي يتميز "بلونه الأحمر ويصحب طعمه مزازة" ويوجد بكثرة في قرية شاط القريبة من مدينة المُنَكَّب[2].

ومن النباتات أيضاً الجوز الذي يزرع في مالَقَة[3] والتي اشتهرت بكثرة نباتاتها "حتى لا تكاد ترى فيها موضعاً يخلو من شجر أو زرع"[4]، ووجد الجوز في غَرْناطة، وحصن فريرة[5] القريب من مدينة بجّانة التي يكثر بواديها زراعة مختلف أنواع الفواكه[6]، كذلك اشتهرت الجزيرة الخضراء بزراعة الفواكه[7]، ووجدت فاكهة الكمثرى في عدد من المدن الأندلسية كمدينة شُوذَر[8]، وبَلَنْسية ووشقة[9]، وغَرْناطة[10]، ومالقة[11]، وحصن كلر أو دلر القريب من مدينة بجّانة[12]، كما وزرعت القراسيا في قُلُمْرِيَة[13]، واشتهر جبل شلير في غَرْناطة بنوع من القراسيا يسمى: القراسيا البعلبكية، الذي يعود إلى أصول شامية[14].

---

(1) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب.

(2) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص273.

(3) الزهري، **الجغرافية**، ص94.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص219.

(5) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص294؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص216.

(6) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص289.

(7) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص221.

(8) القزويني،**آثار البلاد**، ص542.

(9) وشقة: مدينة بالأندلس تقع جنوبي تطيلة وشرق سَرَقُسْطَة. انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص317.

(10) ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج1، ص126.

(11) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص179.

(12) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص294؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص179.

(13) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص195/164.

(14) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص141.

أما التفاح فتكثر زراعته في مدينة شلب[1]، ووشقة، وقُلُمْرِيَة[2] وجبال سيرانيفادا[3]، وغَرْناطة[4]، وشنترة[5].

وأما شجر التوت الذي يستفاد منه في تربية دودة الحرير، فقد زرعه الأندلسيون بكثرة في حصن شنش[6]، ووادي آش[7]، وإلبِيرَة[8]، واهتمت مدينة جَيَّان بتربية دودة الحرير[9].

واهتم الأندلسيون بزراعة الزعفران الذي يكثر في بَلَنْسية[10] وبَسْطة[11]، وبياسة[12]، وطُلَيْطُلَة[13]، وغَرْناطة[14]، ووادي الحجارة[15]، وجَيَّان[1].

---

(1) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص342.

(2) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص471.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص217.

(4) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص141.

(5) القزويني، **آثار البلاد**، ص542.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص164.

(7) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص192.

(8) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص36.

(9) أبو الفداء، **تقويم البلدان**،ص177؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

(10) القزويني، **آثار البلاد**، ص513.

(11) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص147؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص221.

(12) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص296.

(13) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ت؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص276؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص143.

(14) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1،ص149.

(15) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص276؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص193. وادي الحجارة: مدينة في الأندلس تقع بين الشمال والشرق من قُرْطُبَة، بينها وبين طُلَيْطُلَة خمسة وستون

ووجدت مزروعات شرقية دخلت مع الفاتحين المسلمين إلى الأندلس، كالنخيل في ألش، فقد كان فيها: "نخيل جيدة لا تفلح في غيرها من بلاد الأندلس"[2]، وقصب السكر[3]، الذي نجحت زراعته في الأندلس، وتركزت مناطق زراعته في الجهات الساحلية[4] مثل إلبِيرَة[5]، وغَرْناطة[6]، كما وتعتبر مدينة المُنَكَّب من أكثر المناطق زراعة لقصب السكر ومركزاً لتصديره[7]، كذلك الأرز الذي أدخلت زراعته في شرق الأندلس وخاصة في بَلَنْسية[8].

وزرع الأندلسيون أشجار الصنوبر، فاشتهرت به مدينة القصر القريبة من مرسيَّة، كذلك مدينة طُرْطوشَة[9]ومدينة شلب[10]. وأما البلوط فانتشرت أشجاره في غَرْناطة[11]،

ميلاً، وبينها وبين مدينة سالم خمسون ميلاً. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص553؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص606.

(1) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177.

(2) القزويني، **آثار البلاد**، ص502.

(3) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص200.

(5) القزويني،**آثار البلاد**، ص502؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص137.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص46.

(7) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص108؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5، ص218.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص21.

(9) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص286/268؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص161.

(10) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص390.

(11) القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5،ص216.

وفي جبال إشْبِيليَة وحصن بطروش[1]، وطُرْطوشَة، والقصر[2]. ووجد الزعرور بكثرة في مدينة وشقة[3].

وانتشرت زراعة الكتان الجيد في منطقة غَرْناطة، وجبل شكير[4]، وإلبِيرَة [5]، وتعتبر مدينة بجاية من أكثر المدن التي اشتهرت بزراعة الكتان بكثرة[6]، وكانت مدينة لاردة: متخصصة بزراعة الكتان الذي يُنقل منها إلى مختلف المناطق الأندلسية[7].

وزرعت بالأندلس أشجار أخرى كالقسطل في غَرْناطة[8]، ومالَقَة[9]، وأشبونة[10]، ومالَقَة[11]، واللوز في غَرْناطة[12]، فقد ذكر الزهري أن اللوز يكثر في مدينة مالَقَة[13]. وأما زراعة القطن فيُكثر في سَرَقُسْطَة[14]، وإشْبِيلِيَة [15]، ووادي آش[1].

---

(1) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص306. بطروش: حصن بالأندلس في طريق قُرْطُبَة كثير العمارة شامخ الحصانة، ويحيط بجباله وسهوله شجر البلوط الذي فاق طعمه كل بلوط على وجه الارض، انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص93.

(2) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص616/391.

(3) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص195.

(4) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب.

(5) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص193.

(6) القزويني، **آثار البلاد**، ص159.

(7) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص507.

(8) القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5،ص216.

(9) الزهري، **الجغرافية**، ص94.

(10) الزهري، **الجغرافية**، ص84. أشبونة: مدينة بالأندلس يتصل عملها بأعمال شنترين، وهي مدينة قديمة بالقرب من المحيط الأطلسي غربي قُرْطُبَة. انظر: الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص16؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص16.

(11) الزهري، **الجغرافية**، ص94.

(12) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص46.

(13) الزهري، **الجغرافية**، ص93. انظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص175.

(14) الزهري، **الجغرافية**،ص82.

(15) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص217.

أورد المقّري أن بإشْبِيليَة القرمز[2]، وأورد أيضاً أن الأندلسيين زرعوا الأفاوية (التوابل والبهارات) وهي على عدة أصناف منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة[3]، والتي انتشرت زراعتها في غَرْناطة[4].

وزُرع الخوخ في مدينة غَرْناطه[5]، واشتهرت سَرَقُسْطَة بزراعة الأجاص والخوخ[6]، وأنواع من البقول كالفول والحمص[7].

وزرع الأندلسيون الباقلاء في جَيَّان[8]، والذرة في غَرْناطة[9]، وكانت مدينة يبورة تشتهر بزراعة مختلف أنواع البقول[10]، واشتهرت قادش بزراعة الخروب[11]، كذلك طُرْطوشَة، حيث كان خرّوبها "يقطر عسله تحت شجره"[12].

واشتهرت معظم المدن الأندلسية بزراعة الفستق والبندق[13]. ومن الخضروات التي نقلها المسلمون من الشرق إلى الأندلس الباذنجان الذي يزرع في مختلف مناطقها[14].

---

(1) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص604/192.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص208.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص199/130.

(4) القزويني، **آثار البلاد**، ص547.

(5) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص141.

(6) الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(7) الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(8) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص293؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

(9) ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج1، ص143.

(10) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص268.

(11) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص145.

(12) الزهري، **الجغرافية**، ص103.

(13) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص137؛ القزويني، **أثار البلاد**، ص505.

(14) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص21.

أمـا بالنسبـة للنباتـات الطبيـة التـي زُرعـت بالأنـدلس، فمنـها النرجـس والياسميـن، والبنفسـج[1]، وعـود الألنجـوج[2]، وكـذلك زُرع فـي الأنـدلس نبـات القسـط[3]، وسـنبل الطيب[4]، والجنطيانا وهو عقار طبي رفيع كانت تصدره الأندلس إلى جميع البلدان[5].

ومن مظاهر اهتمام الأندلسيين في الزراعة تركيب الأشجار[6]، والتقليم والتركيب، وزراعة كل نوع من النباتات في التربة التي تلائمه، بعد أن درسوا صلاحية كل تربة، والنباتات التي تصلح للنمو فيها[7]، وبهذه الطريقة أمكن استغلال الأراضي الزراعية، كما واعتنـى المسلمون بتسميد الأرض، بعد أن عرفوا السماد الصالح لكل نوع من النباتات[8]، واتسعت ملكية الأراضي الزراعية بين أوساط المجتمع الأندلسي بشكل كبير، مما يدل على أن المجتمع الأندلسي كان يعشق الزراعة إلى درجة يصح أن نسميه مجتمعاً زراعياً[9].

---

(1) البنفسج: زهرة إذا شرب مع الماء نفع مع الخناق، وينفع الرمد الحار والصداع الدموي شماً وطلاء. انظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية** ، د.ط، د.ت، ص242. (يشار إليه فيما بعد: القزويني، عجائب المخلوقات).

(2) الألنجوج: اسم يطلق على العود الذي يتبخر به. انظر: البكري، **جغرافية الأندلس**، ص124.

(3) القسط: عود هندي وعربي يتداوى به، والذي بالأندلس أبيض خفيف قوي الرائحة. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور(ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، دار صادر، ط1، د.ت بيروت، ج7، ص379..(يشار إليه فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب)؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص141.

(4) سنبل الطيب: نبات طيب الرائحة، له سنبلة صغيرة، يُطيّب النكهة ويخفف اللسان إذا مسك بالفم. انظر: القزويني، **عجائب المخلوقات**، ص251.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص141.

(6) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص332.

(7) انظر: الجعافرة، **الفلاحة**، ص80-88.

(8) حتاملة، **الأندلس**، ص1029.

(9) Imamuddin, **Muslim Spain 711-1492**, Leiden, 1981, P 75

كما ووضع الأمويون تقويماً للزراعة عُرف بالتقويم القرطبي، الذي أصبح دليلاً تحدد على أساسه مواعيد زراعة النباتات المختلفة(1). وعرف المسلمون نظام "القلب والتذييل" وهو نظام لإعداد الأرض للزراعة، واستخدموا الثيران لحراثة الأرض(2).

وكان للخليفة الناصر دور في تشجيع زراعة النباتات وزيادة موارد الثروة النباتية تفادياً لسنين القحط والجفاف(3). ومن مظاهر اهتمام الناصر بالزراعة أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع أرسل سنة 337هـ/948م مجموعة من الكتب الزراعية في الحشائش والنباتات الطبيّة من كتب (ديوسقوريدس)، وأرسل مع البعثة راهباً يسمى نيقولا لكي يقوم بتحرير أنواع النباتات والحشائش المذكورة في الكتب، فاستقبل الناصر البعثة، وأمر بترجمة الكتب والاستفادة منها(4).

4.2 أساليب الري:

كانت الزراعة في الأندلس كلها تقريباً زراعة بعلية، بسبب كثرة تساقط الأمطار، وخصوبة تربتها، كما هو الحال في معظم الزراعة بمدينة المَريَّة(5)، وقرطاجنّة التي يثمر بها الزرع بالمطر(6)، ولكن في بعض المدن الأندلسية استخدم المزارعون وسائل

---

(1) دويدار، **المجتمع الأندلسي**، ص344-345.

(2) الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص93؛ المراكشي، **المعجب**، ص 21.

(3) بالنثيا، **تاريخ الفكر**، ص8.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص177.

(5) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص144-145. المرية: مدينة أندلسية كبيرة، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، بينها وبين قُرْطُبَة ثمانية أيام. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص558. أمر ببنائها الخليفة الناصر سنة 344هـ/955م. انظر: شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص320.

(6) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص284.

مختلفة للري وتقنيات مطوّرة أتتهم من المشرق[1]، فقد أصلحوا وسائل الري القديمة، وبنوا السدود، وشقوا القنوات والأنهار، وأقاموا عليها الجسور والقناطر، وغيرها[2].

وهناك ظاهرة طبيعية أحسن الأندلسيون استغلالها في الزراعة، وهي كثرة تساقط المياه من المرتفعات الجبلية، فكانوا يوسعون القيعان حتى تصبح أحواضاً فسيحة تمتلئ بالمياه، وترتفع منه النواعير لتستخدم في الري[3] . وأقام الأندلسيون النواعير التي يديرها ماء النهر، وتستخدم في نقل المياه من مصادرها إلى اليابسة لتُنقل فيما بعد إلى مناطقهم الزراعية[4]، وقد توفرت مثل هذه النواعير في معظم مدن وقرى الأندلس التي تقع على الأنهار[5].

واستفاد الأندلسيون من مياه الآبار في ري المزروعات وخاصة في بعض الجهات التي لا يوجد بها أنهار، حيث نقلوا مياه الآبار باستخدام الحيوانات كالثور أو الحمار، وتسمى هذه الطريقة بالسواني ومفردها سانية[6]، واستخدمت هذه الطريقة بشكل أكثر في قرية قسطلّة[7].

وكان المسلمون الأندلسيون يعتبرون البئر مصدر كبير للرزق، ولذلك أكثروا من حفر الآبار واستنباط المياه، فوصلوا في ذلك إلى درجة كبيرة من المهارة والاتقان[8].

---

(1) وات، **في تاريخ إسبانيا**، ص60.

(2) حتاملة، **الأندلس**، ص1029.

(3) دويدار، **المجتمع الأندلسي**، ص344.

(4) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ/1760م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت د.ت، مج3، ص576. (يشار إليه فيما بعد: الزبيدي، تاج العروس)؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص342/119.

(5) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص342/119.

(6) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458 هـ/1065م)، **المخصص**، المكتب التجاري، د.ط، بيروت د.ت، مج2، ص161. (يشار إليه فيما بعد: ابن سيده، المخصص).

(7) المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 380هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، مطبعة بريل، ليدن 1967م. (يشار إليه فيما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم).

(8) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص151.

واستخدم الأندلسيون آلة تسمى السكَّة والتي تُستخدم لحراثة الأرض(1)، كما واستخدموا المنجل في حصاد زروعهم(2).

ومما يدل على إبداع المسلمين الأندلسيين في مجال الري، أنهم وضعوا قانوناً لتوزيع المياه عُرف بمحكمة المياه، والتي كانت تُعقد بين الأهالي لتنظيم توزيع المياه على الفلاحين، وهي محكمة أهلية لا دخل للدولة فيها، وكان حكمها نافذاً على الجميع(3). ومن أساليب الري التي استخدمها المسلمون في ري مزروعاتهم النواعير والدواليب(4).

5.2 الكوارث الطبيعية وأثرها على الزراعة:

والمقصود بهذه الكوارث تلك الظواهر الطبيعية التي لا دخل للإنسان في وقوعها. وقد شهدت الأندلس خلال عهد الناصر (300هـ-350هـ/ 912-961م) عدة كوارث طبيعية كان لها أثر سلبي على الأوضاع الاقتصادية، فقد أدت إلى حدوث مجاعات وانتشار الأوبئة والأمراض، بالإضافة إلى ما كانت تتعرض له البلاد من تدمير وخراب نتيجة المنازعات والثورات الداخلية التي شهدتها الأندلس قبل إعلان الناصر الخلافة. ومن أهم الكوارث الطبيعية:

1. القحط والجفاف

تعرضت معظم مناطق الأندلس للقحط والجفاف بسبب انحباس الأمطار، وقد أدى ذلك في معظم الأحيان إلى حدوث مجاعات، فقد أشار المقّري إلى تعرض الأندلس إلى القحط والمجاعة حتى قبل فتح المسلمين لها سنة 92هـ/711م فيقول: "ثم

---

(1) الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي (ت 379هـ/989م)، **لحن العوام**، تحقيق عبدالعزيز مطر، دار المعارف، القاهرة 1981م، ص123. (يشار إليه فيما بعد: الزبيدي، لحن العوام).

(2) ابن بصال، **الفلاحة**، ص97.

(3) دويدار، **المجتمع الأندلسي**، ص344.

(4) الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص76.

أخذهم الله بذنوبهم (يقصد أهل الأندلس القدامى)، فحبس المطر عنهم، ووالى القحط عليهم، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها، وغارت عيونها، ويبست أمطارها، وبادت أشجارها، فهلك أكثرهم، وفرَّ من قدر على الفرار منهم، فأقفرت الأندلس منهم، وبقيت خالية فيما يزعمون مئة سنة، وبضع عشرة سنة"[1].

واستمر انحباس الأمطار عن الأندلس بعد الفتح الإسلامي لها، فكان أول ظاهرة طبيعية تعرض لها المسلمون في الأندلس قد حدثت سنة 131هـ/ 748م، حيث انحبس المطر، فوقع القحط والجوع اللذين استمرا لسنة 136هـ/ 753م[2]، وندر وجود الغذاء والحبوب لعدم زراعتها، وخرج أهل الأندلس إلى المغرب، وخفّت البلاد من سكانها، وقد أطلق الأندلسيون على السنوات الخمس التي استغرقها هذا المحل اسم(سني برباط)، لأن الأندلسيين هاجروا إلى المغرب عن طريق وادي برباط بجنوب الأندلس[3].

وفي سنة 199هـ/814م وقع قحط آخر بسبب انحباس الأمطار، مما أدى إلى كثرة الوفيات بين الناس من شدة الجوع[4].

وتجدد المحل والقحط في عام 297هـ/909م نتيجة انحباس الأمطار، ونتج عنه مجاعة كبرى مات خلالها عدد كبير من أهل الأندلس، كما فرّ عدد آخر إلى بلاد المغرب، وكانت منطقة جَيَّان من أكثر المناطق تضرراً بهذه المجاعة، حتى أنهم أطلقوا على هذا العام(سنة جوع جَيَّان)[5].

وفي بداية عهد الناصر وتحديداً سنة 302هـ/914م عمّ الأندلس محل وقحط شديد بسبب انحباس الأمطار، وساءت حالة المزارعين، وحاول الناصر معالجة الأمر، فأمر بإقامة صلاة الاستسقاء التي أُديت خمس مرات في أيام مختلفة، ولكن الأمطار

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص133.

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص38؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص83؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج5، ص492.

(3) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص83؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص38.

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص73؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص341.

(5) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص 160.

لم تنزل، فاختفى القمح من الأسواق، وارتفعت أسعار المواد الغذائية ارتفاعاً كبيراً، فأمر الناصر الفقيه أحمد بن محمد بن زياد بأن يصلي بالناس مرة أخرى للاستسقاء، فصلى بهم يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، فاستجاب الله لصلاتهم، فنزل رذاذ صالح وندى مبلل تمسك به بعض الزرع، وذهب الأكثر باستيلاء اليبس عليه، فصرحت السنة عن ذاتها، واعتدى القحط شاملاً بالأندلس كلها وثغورها، فغلت الأسعار في جميع جهاتها"[1].

واستمر المحل والقحط إلى العام التالي (303هـ/915م)، فانتشر في بلاد الأندلس، ووصفه ابن حيان وصفاً محزناً، فقال: "اشتد الغلاء وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغاً لم يكن لهم عهد بمثلها، فبلغ قفيز[2] القمح بكيل سوق قُرْطُبَة باثني عشر دينار[3]، كما مات كثير من الناس جوعاً، بينما هاجر عدد كبير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب[4]، ولم يقتصر أثر هذا القحط على ذلك، فقد تعذر على الناصر تجهيز الجيوش بالمؤن والأقوات للغزو، نظراً للضعف الذي أصاب الناس، كذلك فقدت قُرْطُبَة عدداً من فقهائها وعلمائها من جراء هذه الشدة، وقد حاول الناصر معالجة هذه الأزمة الطاحنة والتخفيف من الآثار الناجمة عنها، فأخذ يوزع الصدقات على الفقراء والمساكين، فاقتدى كبار رجال دولته بفعله، وأقبلوا على توزيع الأموال والمواد الغذائية على المحتاجين، ويشير ابن حيان إلى أن بدر بن أحمد حاجب الناصر كان من أكثر الناس صدقة وأعظمهم مواساة للناس[5]. كما اتخذ الخليفة الناصر إجراء آخر كان له

---

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص103-104؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص 166.

(2) القفيز: هو مكيال للحبوب، يختلف مقداره من بلد إلى آخر، ففي الأندلس يتسع إلى 44 مداً نبوياً، أي أنه كان يساوي 44.16 لتراً. انظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص68.

(3) الدينار الأندلسي يساوي سبعة عشر درهماً. ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104؛ الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت 914هـ/ 1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981م، ج1، ص397. (يشار إليه فيما بعد: الونشريسي، المعيار).

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص124.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص109؛ انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص168.

أكبر الأثر في الحد من تفاقم الأزمة، فقد ضرب بشدة على أيدي المفسدين وقطاع الطرق وبعض الثائرين عليه، لأنهم كانوا يهاجمون قوافل تجار المسلمين الذين يجلبون المواد الغذائية من خارج الأندلس لمواجهة هذه المجاعة، ويعلق ابن حيان على هذا الإجراء بقوله: "...فأخذ الناصر على ضبط أطرافه، وتحصين بيضته والإرصاد لأهل الخلاف والخلعان خلال معاقلهم ومجال مساربهم، إذ كانوا مع استيلاء المجاعة عليهم لا يفترون عن العدوان على من مرّ بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعيشة وجالبي الميرة، فلم يجدوا منفذاً إلى ما طمعوا فيه من إساءة. ونفع الله كله الكافة"(1).

ولم يمض أحد عشر عاماً على هذا القحط، حتى أصيبت الأندلس بمحل جديد في عام 314هـ/926م، حيث غلت أسعار الحبوب والميرة، وأقيمت صلاة الاستسقاء مراراً بإمامة أحمد بن يحيى صاحب الصلاة بقُرْطُبَة، كما أرسل الناصر الكتب إلى حكام الكور الولايات يدعوهم إلى أداء صلاة الاستسقاء في كورهم وولاياتهم، وكان لذلك أثر كبير في نزول الأمطار بقُرْطُبَة وأنحاء أخرى بالأندلس، وقد تصادف نزول المطر بقُرْطُبَة في نفس اليوم الذي صُلب فيه سليمان بن عمر بن حفصون الثائر على الناصر على باب السُدة، فكان لتوافق الحدثين أكبر الفرح لدى أهل الأندلس، فتغنى الشعراء بهذه المناسبة، ومن ذلك قول أحدهم:

سحابٌ يمورُ الغيثُ منها وديمةٌ ... دماءُ العِدى تهمي به وتمور
غِياثانِ فينا واكفانِ من الحيا ... ولكنَّ ذا رجس وذاك طهور
وذاك نجيعٌ ليس يقبلهُ الثَّرَى ... وذا ناجعٌ يسري به ويغورُ
تدنَّست الدنيا به فتطهَّرت ... بطونٌ لها من رجسهِ وظهور(2)

ولم تطل فرحة أهل الأندلس طويلاً بزوال هذا القحط عنهم، فقد دهمهم محل جديد عام 317هـ/929م، نتيجة احتباس المطر، ففسد الزرع، وغلت الأسعار بدرجة كبيرة، واضطر الناصر إلى دعوة الناس لإقامة صلاة الاستسقاء بجامع قُرْطُبَة عقب صلاة

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، 110؛ انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص168.
(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص205–206؛ انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص192.

الجمعة، فلم ينزل المطر، فأقيمت الصلاة مرة أخرى يوم الاثنين بمصلى[1] الربض، ولكن المطر أيضاً لم ينزل، وظل الناس يقاسون القحط والمجاعة، فكتب الناصر إلى جميع عماله بأن يأمروا الخطباء بإقامة صلاة الاستسقاء عقب صلاة الجمعة لمدة أسبوعين، فإذا أبطأت السقيا فعليهم البروز يوم الاثنين، وهكذا حتى يأتي الله بغيثه. أما في قُرْطُبَة فقد تعددت صلوات الاستسقاء، وكانت تقام أحياناً بمصلى الربض وأحياناً بمصلى المصِّارة. ولم ينقطع هذا المحل حتى نزلت الأمطار وارتوت الأرض وتمكن المزارعون من زراعتها[2]، وعندئذٍ كتب الناصر إلى عماله على الولايات ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فان الله عز وجل، إذ بسط رزقه، وأغدق نعمه، وأجزل بركاته، أحب أن يُشكر عليها، وإذا زواها وقبضها أحبّ أن يُسألها ويُضرع إليه فيها، وهو ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[3] و﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4]﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[5]﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[6]، فأُوجبت به الرغبة إليه، عزّ وجهه، فيه والخنوع لعزّته والاستكانة له والإلحاح في المسألة فيما احتبس به، والتوبة من الأعمال المنكرة التي تُوجب سخطه،..."[7].

ويبدو أن توالي أعوام القحط والمجاعات على بلاد الأندلس في فترات متقاربة دفع الناصر إلى اتخاذ بعض الإجراءات الكفيلة لمواجهة ما قد تتعرض له البلاد من

---

(1) المصلى: مساحة فسيحة من الأرض يجتمع فيها المصلون لأداء صلاة الاستسقاء، وتسمى الشريعة، ومنه مصلى الربض الواقع بجوار ربض شقندة جنوبي قُرْطُبَة. سالم، السيد عبدالعزيز، **قُرْطُبَة حاضرة الخلافة في الأندلس**، نشر مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية د.ت، ج1، ص207. (يشار إليه فيما بعد: سالم، قُرْطُبَة).

(2) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص250-251.

(3) **سورة الذاريات**، آية 58.

(4) **سورة التوبة**، آية 104.

(5) **سورة الشورى**، آية 25 .

(6) **سورة الشورى**، آية 28.

(7) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص251-252.

أزمات. ومن هذه الإجراءات خزن الحبوب والمؤن في الأهراء السلطانية في السنوات التي تجود فيها السماء بغيثها. وقد أثمرت هذه الإجراءات حينما حل محل جديد في عام 324هـ/935م، وكان محلاً لم يعهد أهل الأندلس مثيلاً له من قبل، ولم يسمعوا أبداً بمثله، "فقد ضنّت السماء بوبلها فلم تنضّ قطرة ولا بلت مدرة"(1). كذلك وقع في نفس العام حريق عظيم بسوق قُرْطُبَة، نتج عنه حرق مجالس الخط، وحوانيت الصوافين، وسوق العطارين، وما وراها من حوانيت. وبالرغم من ذلك كله فإن أسعار الحبوب والمواد الغذائية لم ترتفع، ولم تتبدل أحوال الناس نظراً لتوفر الغذاء في الأسواق، حيث أزيلت الغمة بنزول الغيث في العام التالي، فارتوت الأرض وانتعشت أحوال الرعية، وكانت مناسبة للشعراء أكثروا فيها من مدح الخليفة الناصر، فمنه:

نعم الشفيعُ إلى الرحمن في المطر   مُستنزل الغيث بالإعذار والنُّذر (2)

لم يكن المحل السابق آخر ما أصاب الأندلس في عهد الناصر، بل داهم قُرْطُبَة محل آخر، وذلك عام 330هـ/941م عندما توقف نزول المطر، ولم يتمكن المزارعون من زراعة أراضيهم، واضطر قاضي الجماعة بقُرْطُبَة وصاحب الصلاة بها إلى الاستسقاء عقب صلاة الجمعة لليلتين خلتا من ربيع الثاني، ثم تكررت الصلاة في الجمعة التالية، ولما لم ينزل المطر، دعا الناس إلى البروز للإستسقاء، فصلى الناس ثلاث مرات بمصلى الربض، وثلاث مرات أخرى بمصلى المصّارة، فسقط ثلج كسا الأراضي الزراعية، واستمر القاضي محمد بن عبدالله بن عيسى بصلاة الإستسقاء حتى منّ الله سبحانه وتعالى على أهل مدينة قُرْطُبَة بالمطر فرويت الأرض ورخصت الأسعار، وتخلص القرطبيون من هذا المحل(3).

وفي أواخر أيام الناصر احتبس المطر فترة من الوقت، فخشى الناس تكرار أيام المحل، فاستدعى الناصر القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وأمره بالبروز للاستسقاء،

---

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383-384.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383-384.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص476-478؛ ذكر ابن عذاري أن هذا المحل كان في سنة (335هـ/946م). انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص214.

فاجتمع له الناس في مصلى الربض حتى امتلأت بهم ساحة المصلى، وكان الناصر ينظر للمصلين من أعلى قصره، فلم ينقض النهار إلا وانهمر المطر، فسقى الناس، وشكروا الله[1].

2. السيول والفيضانات

كانت قلة الأمطار تؤدي إلى إصابة البلاد بحالة من الجفاف والقحط، لكن كثرة الأمطار عن الحد المعتاد في بعض الأوقات ينتج عنه سيول تؤدي إلى غرق الأراضي الزراعية، وإلى إرتفاع منسوب مياه الأنهار، وبالتالي حدوث فيضانات سبّبت أضراراً.

كانت بلاد الأندلس تتميز بكثرة أنهارها التي تقع عليها العديد من المدن[2]، ولذلك اهتم أمراء وخلفاء الأندلس ببناء القناطر على هذه الأنهار[3]، ومن أشهر القناطر التي أُقيمت على نهر الوادي الكبير قنطرة قُرْطُبَة التي تعرضت لمد عنيف من النهر، وذلك سنة 331هـ/942م فأدى إلى هدم أجزاء منها[4]. كذلك أُستحدثت في غَرْناطة خمس قناطر هي: قنطرة ابن رشيق، وقنطرة حمام جاش، وقنطرة العوذ، وقنطرة القاضي، والقنطرة الجديدة، وعلى هذه القناطر أسواق تجارية للبيع والشراء، وكان الماء يجري في جميع الأسواق، وحيثما طُلب وجد[5].

وفي عام 334هـ/945م تعرضت قُرْطُبَة لسيل، "بلغ الماء في البرج المعروف ببرج الأسد، فهدم من آخر القنطرة، وثلم الرصيف"[6]، وغيره[1]. وقام الخليفة الناصر

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص570–577.

(2) انظر: الفصل الثاني، **مياه الأنهار**.

(3) انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص26؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص480.

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص210.

(5) العمري، **مسالك الأبصار**، ج1، ص142.

(6) كان المسلمون يطلقون اسم الرصيف على كل الطرق المرصوفة كالطرق الرومانية، وقد حرص أمراء بني أمية وخلفاؤهم على ترميم الأرصفة الرومانية القديمة وخاصة في قُرْطُبَة، وبناء أرصفة أخرى جديدة، مثل الرصيف الذي كان يربط بين قُرْطُبَة والزهراء، وكانت أرضيته مرصوفة بالحجارة. انظر: سالم، **قُرْطُبَة**، ج1، ص201–202.

بإصلاح ما تهدم من القنطرة نتيجة للسيل السابق، بيد أن هذه القنطرة لم تلبث أن تعرضت من جديد لمد نهر قُرْطُبَة عام 351هـ/962م[2].

3. الزلازل

على الرغم من أن بلاد الأندلس ليست من المناطق الشهيرة بكثرة وقوع الزلازل بها، إلا أنها تعرضت لعدد منها.

تعرضت قُرْطُبَة لزلزلة عظيمة سنة 332هـ/944م، وتحديداً يوم الاثنين لتسع خلون من ذي القعدة عقب صلاة العشاء، وكما أشار ابن عذاري إلى أن هذه الهزة الأرضية دامت ساعة كاملة[3]. ولا شك أن هذه مبالغة واضحة من ابن عذاري، لأن الزلزال عادة لا يستغرق وقوعه أكثر من ثوان معدودة، وربما حدثت الزلزلة في ثوان ثم تكررت بعد ذلك عدة مرات لمدة ساعة. وعلى أية حال فان هذا الزلزال قد سبب للقرطبيين حالة من الفزع، فغادروا ديارهم إلى المساجد يتضرعون إلى الله لينقذهم منها، واستمروا بالمساجد حتى انقضى هذا الزلزال[4]، وبعد عامين على حدوث هذا الزلزال تعرضت قُرْطُبَة للمرة الثانية لهزتين أرضيتين في أسبوع واحد، وذلك في عام 334هـ/945م، فكانت الهزة الأولى في السابع من جمادى الأولى، والهزة الثانية في الحادي عشر من نفس الشهر، ويبدو أن هاتين الهزتين كانتا من النوع الخفيف بحيث لم تحدثا أية أضرار تذكر[5].

4. الرياح والصواعق والعواصف والثلوج

كانت بلاد الأندلس تتعرض إلى تغيرات فجائية في المُناخ كهبوب الرياح الشديدة التي تصل إلى حد العاصفة أحياناً، أو تساقط الثلوج التي تؤثر على المحاصيل الزراعية، أو الصواعق التي تصيب الزرع والناس.

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص213.

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص236.

(3) **ابن عذاري، البيان المُغْرب**، ج2، ص236.

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص211.

(5) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص220.

ففـي عـام 303هـ/915م، اجتاحـت العواصـف الثلجيـة مدينـة تطيلـة، فأتلفـت المحاصيل الزراعية، ونتج عن ذلك غلاء شديد وإرتفاع في الأسعار، ومات كثير من الناس جوعاً، بينما هاجر عدد كبير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب(1).

وفي عام 332هـ/943م هبّت ريحٌ عاصفة تسببت في إقتلاع العديد من أشجار الزيتون والتين والنخيل، كما أطاحت بعدد كبير من قراميد السقوف، وتلى ذلك هطول أمطار غزيرة، ثم برد غليظ ألحق أضرار فادحة بالمواشي والطيور والزرع، وفي العام التالي (333هـ/944م) أصاب مدينة قُرْطُبَة رياح شديدة اقلعت العديد من الأشجار، بالإضافة إلى نزول برد غليظ أتلف المحاصيل الزراعية(2).

وفي عام 340هـ/951م هبت رياح عاتية على قُرْطُبَة أتبعها برق ورعد، ونزلت صاعقة على أحد مواطني قُرْطُبَة يدعى أحمد بن هاشم بن عبد العزيز، فقتلته، كما وقتلت إمرأة وأصابت أخرى(3).

6.2 الرعي وتربية المواشي:

تعددت المناطق الرعوية بالأندلس واتسمت بالخصب، وكان لذلك دور هام في انتشار تربية الماشية وتكاثرها، فقد أصبحت الأندلس رخيصة الماشية لاتساع مراعيها، وكثرة مواشيها(4). فكانت قُلُمْرِيَة من أكثر المدن شهرة بتربية المواشي(5)، كذلك جزيرة ميورقة التي تتميز بكثرة مراعيها ورخص مواشيها(6). كما واشتهرت مدينة شَقُّورَة

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص124.
(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص211.
(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص218.
(4) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص115.
(5) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص271.
(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص110.

وخاصة جبلها المسمى جبل شَقُّورَة بتربية الماشية[1]، وبالقرب من بُشْتَر يوجد حصن فطرون، به مسارح عريضة للمواشي[2].

ومن أنواع المواشي في الأندلس الأغنام التي تعتبر باستمرار هدفاً اقتصادياً للسكان، كذلك للثوار والخارجين عن سلطة الدولة، فأصبحت الغارات على الأغنام في مراعيها تقليداً متبعاً متعارفاً عليه بين المتنازعين، فمن ذلك مثلاً ما رواه ابن حيان في حوادث سنة 310هـ/913م، من أن محمد بن إبراهيم بن حجاج (صاحب قَرْمُونة) الذي خرج ثائراً ضد الناصر، استلب أغناماً لأهل قُرْطُبَة[3]. كما وكانت الغارات على الأغنام وأصناف الماشية الأخرى كالأبقار من المشاهد المألوفة التي تكررت كثيراً بين المتنازعين، فقد دأب ابن حفصون على استهداف الثروة الحيوانية في غاراته التي يشنها على قُرْطُبَة، وغيرها من المناطق التابعة للدولة[4].

وكان الأندلسيون يهتمون بتربية الأغنام والأبقار، للإستفادة من مشتقاتها كاللبن والسمن واللحم[5]، وقد اشتهرت عدة مدن أندلسية بتربيتها كمدينة طُلَيْطُلَة وخاصة جبل الشارات الذي يقع في الجهة الشمالية منها[6]، حيث يتوفر فيه أعداد لا تكاد تُحصى من الغنم والبقر، والذي يضرب به المثل بجودته في جميع أنحاء الأندلس، والذي يُجلب إلى سائر مدن الأندلس[7].

كما وانتشرت تربية المواشي بجزيرة الغنم التي تقع بالقرب من مدينة لشبونة، والتي تعتبر كثيرة الأغنام السارحة التي لا راعي لها ولا ناظر عليها[8]. ومن المدن التي

---

(1) الزهري، **الجغرافية**، ص98.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص223.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص8؛ انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص130.

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص123.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص115؛ الزهري، **الجغرافية**، ص98، الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص60؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص268/271-276/272.

(6) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص276. الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص132.

(7) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص394.

(8) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص17/ 60؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص272.

اهتمت بتربية المواشي وخاصة الأغنام، مدينة قُلُمْرِيَة، ويبورة[1]، وجَيَّان[2]، والجزيرة الخضراء[3].

أما الماعز فكان قليل العدد في الأندلس، فاختصت بتربيته جزيرة قادش، والذي شكل الجزء الأكبر من ماشية هذه الجزيرة، وكان الماعز يتغذى على أشجار الصنوبر، والرتم، والخروب[4].

ومن بين المواشي التي اهتم الأندلسيون بتربيتها، الخيول، فقد كانت تُربى في المناطق الرعوية المنتشرة في جهات عديدة من الأندلس، وخصوصاً المناطق الداخلية كمدينة لبلة التي تُعدّ مركزاً هاماً لتربية الخيول[5]، ومدينة سالم[6]، ومدينة إشْبِيليَة وخاصة منطقة المراين[7]التي تعتبر المكان الملائم لتربية الماشية وخاصة الخيول[8]. كمتا وتعتبر مدينة ترجالة مرتكزاً آخراً لتربية الخيول[9]. أما المدن الساحلية فكانت قليلة الاهتمام بتربية الخيول، لأنها من الناحية العسكرية لا تحتاج إلى الخيول، وقد أكّد على ذلك العمري بقوله: "وأما الثغور البحرية كالمَرِيَّة فليس لها حاجة بالخيل إلا قليلاً"[10].

هذا وقد اهتم أمراء بني أمية بتربية الخيول لدورها العسكري في حفظ البلاد وضبط الأمن فيها، كذلك لاستخدامها في مجال النقل، ومن المرجح أنها استخدمت في

---

(1) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص271.

(2) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص296.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص221.

(4) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص145.

(5) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص22.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص112.

(7) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص25.

(8) الزهري، **الجغرافية**، ص 114.

(9) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص133.

(10) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص110.

نقل البضائع على الطرق البرية الداخلية والمؤدية إلى جنوب فرنسا والدول الأوروبية الأخرى، نظراً لقوة الخيول وتحملها وعورة هذه الطرق وطول مسافتها[1].

وقد اهتمت الطبقات الثرية من الأندلسيين بتربية بنوع خاص من الخيول مثل الخيل العراب، وظل الإعتناء بتربية الخيول العربية مستمراً حتى توافرت وتناجت في الأندلس، ومما يؤكد ذلك ما جاء في محتويات هدية ابن شهيد[2] إلى الخليفة الناصر، والتي نجد من بينها: "مئة فرس منها خمسة عشر فرساً من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت"[3].

ومن بين أنواع المواشي التي تربى في الأندلس، البغال، فقد كانت تشكل الوسيلة المثلى لحركة النقل الداخلي، ولهذا اعتنى الأندلسيون بتربيتها وحرصوا على اقتنائها، حيث يشير ابن حوقل إلى أن الأندلس كانت: "تختص بالبغال الفره، وبها يتفاخرون ويتكاثرون"[4]. كما عدد ابن حوقل مزايا البغال التي رآها بالأندلس، فذكر أنها تمتاز بحسن السير وسرعة المشي، وعظم الخلق واختلاف الألوان الصافية مع الصبر على الكد والعسف، وتحمل المشاق[5].وكانت البغال تُستخدم بشكل أكبر لنقل الماء والحراثة[6].

---

(1) البكر، خالد بن عبدالكريم بن حمود، **النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة** 138-316هـ/ 755-928م، مكتبة الملك عبدالعزيز، ط1، الرياض 1414هـ، ص116-147. (يشار إليه فيما بعد: البكر، النشاط الإقتصادي).

(2) هو أحمد بن عبدالملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد، أبو عامر، اشتهر بالبلاغة، وكان موصوفاً بالجود حتى أنه شارف الإملاق عند موته. انظر: ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص78.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص358.

(4) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص110.

(6) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص135.

وتكثر البغال في طُلَيْطُلَة[1]، ومدينة قُرْطُبَة، حيث يُجلب منها لتباع كل واحدة منها بخمسمئة دينار[2]. ولذا فإنه لم يكن في استطاعة الفقراء إقتناء البغال وشرائها، فاقتصر الأمر في معظم الأحوال على الأمراء والأغنياء ومن في حكمهم[3]، ويذكر أن عبدالله بن محمد الثقفي (ت بعد سنة 300هـ/912م)، كان يسير إلى باديته راجلاً ولو شاء ركب الدواب لسعة حاله[4].

وتُعدّ الأيايل ومفردها أيل من أنواع الثروة الحيوانية الموجودة في الأندلس، وكانت هدفاً يقتنصه الصيادون في البراري[5].

أما مهنة الرعي فقد نشأت كاستجابة طبيعية لوفرة الماشية، ووفرة المراعي في الأندلس، غير أن مزاولة هذه المهنة قد ارتبطت بالفقراء، فقد كان عامر بن أبي جوشن بن ذي النون الهواري فقيراً يرعى الغنم في أول أمره[6].

وانتشرت المراعي الخصبة في كل من جزيرة شلطيش[7]، وقَرْمُونة[8]، وبالقرب من حصن لاردة يوجد فحص مشكيجان، وهو كثير الضياع والمزارع والمراعي[1]. أما قلعة

---

(1) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص135.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص110؛ القزويني، **أثار البلاد**، ص552؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص520.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ص220.

(4) القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، د.ت الرباط، ج5، ص381.

(5) الزبيدي، **لحن العوام**، ص127.

(6) العذري، أحمد بن عمر (ت 478هـ/1085م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، د.ط، مدريد 1965م، ص14.(يشار إليه فيما بعد: العذري، ترصيع الأخبار).

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص343.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص461.

رباح فإنه: "يطيب مرعاها، ويزكو، وتحسن الماشية في مسارحها ولألبانها فضل بائن على غيرها"[2]. كما ويوجد في طُرْطوشَة جبل كثير الخير والبركة، وفي أعلاه مروج كثيرة المياه والمراعي[3]. وتنتشر المراعي الخصبة في جزيرة ميورقة، وقد نتج عن ذلك وفرة الماشية ورخصها في هذه الجزيرة[4].

الفصل الثالث

الصناعات والحرف

1.4 الصناعات:

1.1.4 العوامل التي ساعدت على قيام الصناعة

تبع حركة الفتوحات الإسلامية للأندلس كسادٌ صناعي، إذ توقف الصُناع عن الإنتاج كنتيجة طبيعية للفتح، وفي عهد الولاة (95-138هـ/713-755م) كانت الأوضاع مضطربة من الناحيتين السياسية والاقتصادية [5]، ومنذ قيام الإمارة الأموية في الأندلس(138-316هـ/755-928م)، قضى الامير عبدالرحمن الداخل(138-172هـ/755-788م) على عناصر الفوضى والإضطراب، المتمثلة بالصراع بين

---

(1) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص507.

(2) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص20.

(3) القزويني، **أثار البلاد**، ص545.

(4) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص110؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص221.

(5) ابن الأثير، **الكامل**، ج5، ص 250-251.

العرب والبربر من جهة وبين القيسية واليمانية من جهة أخرى[1]، فاستقرت الأحوال السياسية، وبدأ الاقتصاد الأندلسي بالنمو لمجموعة من العوامل هي:

1. وفرة الأيدي العاملة

انصرف قسم كبير من أفراد المجتمع الأندلسي كالإسبان والبربر والعرب والموالي إلى العمل الصناعي، فعملوا بجوانبه المختلفة. وهذا ما سيتبين في الصفحات القدمة.

2. وفرة المواد الخام اللازمة للصناعة

يتوفر في الاندلس خامات مختلفة كالمعادن[2]، وخاصة الحديد الذي ينتشر في مناطق متفرقة من الأندلس[3]، والذي يعتبر من أكثر المعادن شيوعاً في استعمالات المجال الصناعي المختلفة، كذلك معدن النحاس[4] الذي يعتبر وجوده في الأندلس أكثر من أن يحصى[5]، ويدخل في معظم الصناعات، كالتعدينية.

ومن المواد الخام التي اعتمدت عليها معظم الصناعة الأندلسية الأخشاب، حيث كانت الأندلس تزخر بهذه الثروة من الاخشاب وخاصةً في الجهات الشرقية منها، حيث تتوفر أخشاب الصنوبر في مدينة القصر القريبة من مرسيَّة، كذلك مدينة طُرْطوشَة[6]ومدينة شلب[7]، كذلك تتوفر أخشاب البلوط في غَرْناطة[8]، وجبال إشْبِيلِيَة

(1) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص110؛ المراكشي، **المعجب**، ص40-41؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص9.

(2) انظر الدراسة: الفصل الثالث: تطور الصناعات التعدينية الأندلسية وتنوعها.

(3) انظر: القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32/ **صفة جزيرة الأندلس**، ص1؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص267/292/302.

(4) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص76؛ الزهري، **الجغرافية**، ص90؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص1.

(5) البكري، **جغرافية الأندلس**، ص129.

(6) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص268/286؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص161.

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص390.

(8) القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5،ص216.

وحصن بطروش[1]، وطُرْطوشَة، وغيرها[2]. ووجدت أخشاب الزعرور في مدينة وشقة[3]، وخشب الزان بجبال الشرف في إشْبِيلِيَة ومنه يحمل إلى جميع بلاد الأندلس[4]. كما وتوفرت الأخشاب بشكل كبير في مدينة جَيَّان[5]، إذ كان الناصر يستفيد منه في إنشاء مبانيه[6]. وكانت الأخشاب تدخل في معظم الصناعات كأعمال البناء[7].

3. اهتمام أمراء بني أمية بالصناعة

أدخل الامير عبدالرحمن الداخل(138-172هـ/755-788م) كثيراً من الصناعات في الأندلس، كصناعة المنسوجات والملابس[8]، كما وأخذ الأمير عبدالرحمن الأوسط(206-238هـ/821-852م) يساير حركة الإزدهار الحضاري التي شهدتها بغداد، وفتح أبواب الأندلس أمام التيارات الحضارية المختلفة، وأسس داراً خاصة للطراز تصنع فيها ملابس خاصة لكل مرتبة من مراتب رجالات الدولة، وتضم

---

(1) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص306. بطروش: حصن بالأندلس في طريق قُرْطُبَة كثير العمارة شامخ الحصانة، ويحيط بجباله وسهوله شجر البلوط الذي فاق طعمه كل بلوط على وجه الارض، انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص93.

(2) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص391/616.

(3) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص195.

(4) الإشبيلي، أبو الخير (ت القرن 6هـ/12م)، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، تحقيق: محمد العريني الخطابي، الهلال العربية، د.ط، الرباط، د.ت، ق1، 351. (يشار إليه فيما بعد: الاشبيلي، عمدة الطبيب).

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص176.

(6) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص424.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص560؛ **القارة الأفريقية**، ص287.

(8) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص545.

مصانع النسيج التي كانت تنتج مختلف أنواع المنسوجات والأقمشة[1]، كذلك نمت في عهد هذا الأمير صناعة السفن والأساطيل الحربية[2]، وصناعة الزجاج[3].

4. رسوخ الحضارة في الأندلس

يرى ابن خلدون أن رسوخ الصناعات في الأمصار، إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها، ويتخذ من الأندلس مثلاً فيقول: "كالحال في الأندلس لهذا العهد، فإنا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها، كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص، وتنضيد الفرش في القصور، وحسن الترتيب والوضوح في البناء، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين، وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها وعوائده، فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم، فهم على حصة موفورة من ذلك، وحظ متميز بين جميع الأمصار، وما ذلك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية، وما قبلها من دولة القوط، وما بعدها من دولة الطوائف إلى هلم جرا، فبلغت الحضارة فيها مبلغاً لم تبلغه في قطر"[4].

5. اهتمام أهل البلاد (من الإسبان) بالصناعات

كان لأهل البلاد الأصليين أثرٌ بالغٌ في نشأة الحرف والصناعات الأندلسية إذ أن العرب كانوا أبعد الناس عن الصناعات، لأن العرب كما يقول ابن خلدون أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها[5]. ولما كان الفاتحون متأخرين في ميدان الصناعة، فإنهم استعانوا في بداية الأمر بالعناصر المحلية لبناء قصورهم ومساجدهم، وصناعة ما تحتاج إليه البلاد، وهكذا احتضن

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص91.

(2) ابن القوطية، **تاريخ**، ص88؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص89.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص128.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت 808هـ/1406م)، **المقدمة**، تحقيق: عبدالواحد وافي وعلي عبدالواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط1، 1965، ص926. (يشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة).

(5) ابن خلدون، **المقدمة**، ص926.

المسلمون حضارة الشعب الإسباني، وشملوا الحرفيين من أهل الذمة برعايتهم، وظل الصناع وأهل الحرف يسيرون في الطريق الذي كانوا يسيرون فيه من قبل[1]، ثم شاركهم المسلمون في حرفهم وصناعاتهم، حتى بلغوا في ذلك درجة كبيرة من الإتقان والرقي، إذ قيل في وصف أهل الأندلس بأنهم "صينيون في إتقان الصنائع العملية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النصب في تحسين الصنائع، وهم تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها"[2].

6. وفرة المنتجات الزراعية:

نظراً لتوفر الكثير من النباتات في الأندلس فقد قامت مراكز للصناعات الغذائية كصناعة الزبيب التي انتشرت في الأندلس[3]، وخاصة في قرية شاط، فقد ذكر الإدريسي أن" بقرية شاط زبيب حسن الصفة كبير المقدار، أحمر اللون يصحب طعمه مزازة ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية، وهو منسوب إلى هذه القرية"[4]، وذكر القزويني أن الزبيب يكثر في مدينة ألش[5]، وذكر الإشبيلي أن الأعناب استخدمت في الطبيخ والحلوى، **و**لصناعة النبيذ[6]، كما وكان لتوفر القمح بكثرة أهمية كبيرة لصناعة الخبز[7]، وأما بالنسبة للزيتون فلكثرته اشتهرت الكثير من المدن وخاصة إِشْبِيلِيَة بإنتاج زيت الزيتون[8].

---

(1) سالم، **في تاريخ وحضارة الإسلام**، ص259.

(2) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص282؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص151.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص218.

(4) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص291-292.

(5) القزويني، **آثار البلاد**، ص502.

(6) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب.

(7) الزهري، **الجغرافية**، ص80.

(8) الزهري، **الجغرافية**، ص89؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص264؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص58؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص208.

كذلك كان لتوفر أنواع من النباتات دور في إنشاء الصناعات النسيجية كالملابس الكتانية[1]، والقطنية[2]، والملابس الحريرية[3].

وبالإضافة إلى هذه العوامل فقد شهدت مناطق الأندلس استقراراً سياسياً، منذ أن أعلن الناصر الخلافة الإسلامية سنة 316هـ/928م، وذلك بعد أن قضى على أكثر الثورات المناوئة[4]، حيث عمّ الأمن[5] أكثر بلاد الأندلس مما كان له أثرٌ كبيرٌ في ازدهار النشاط الاقتصادي التجاري والصناعي.

هذا وقد رافق وجود هذه العوامل الإيجابية التي شجعت على قيام نشاط صناعي في الأندلس، عوامل أثرت سلباً على الصناعة، فحدّت من تعاظم نموها، ومن أهم هذه العوامل:

أولاً: الكوارث الطبيعية

كالقحط والجفاف، والسيول والفيضانات، والزلازل، والرياح والصواعق والعواصف والثلوج، والتي شهدتها بلاد الأندلس خلال فترة الدراسة(300هـ-350هـ/912-961م) والتي كان لها أثر سلبي على الأوضاع الزراعية والتجارية، حيث سبّب حدوث مثل هذه الكوارث تلف في المزروعات وتدني في مستوى الإنتاج الزراعي[6]، وهذا يؤدي إلى تراجع الصناعات المختلفة وخاصة الغذائية، كذلك يؤدي إلى تعطّل الأسواق والحركة التجارية.

ثانياً: الحرائق

---

(1) القزويني، **آثار البلاد**، ص159؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص159؛ الزهري، **الجغرافية**، ص102، ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص113.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص114؛ الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219/229؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص164.

(4) انظر: الفصل الأول: سياسته الداخلية.

(5) انظر: الفصل الثاني: توفر الأمن والاستقرار.

(6) انظر: الفصل الثاني: الكوارث الطبيعية.

تعرضت بعض الأسواق الأندلسية لحرائق سبّبت مشاكل للصّناع وعملائهم، ومن الأمثلة على ذلك حريق وقع بسوق قرطبة سنة 305هـ/917م، حيث نتج عنه إحتراق حوانيت المشاطين والخراطين(1)، وقد نتج عن هذا الحريق وقوع مشكلات بين أصحاب الحوانيت المحترقة من التجّار والصّناع وبين عملائهم الذين فقدوا أمتعتهم وبضائعهم في تلك الحوانيت، ومن المحتمل أن هؤلاء العملاء قد طالبوا أصحاب الحوانيت بدفع تعويضات لهم مقابل بضائعهم التي فقدوها، وكانت الدولة قد استطلعت آراء الفقهاء في هذه القضية، فكان رأي الفقيه محمد بن أيمن (ت 330هـ/941م)(2) أن يكتفي بسؤال أصحاب الحوانيت عمّا إذا كانت بضائع عملائهم موجودة في حوانيتهم وقت اندلاع الحريق، والتأكد من أنها احترقت بالفعل، وتؤخذ منهم الأيمان على ذلك، وعندها لا يقع عليهم ضمان ولا يحق لأحد أن يطالبهم بدفع أية تعويضات(3).

2.1.4 أنواع الصناعات:

1.2.1.4 الصناعات الغذائية

استفاد الأندلسيون من وفرة الثروة الحيوانية والمحاصيل الزراعية في بلادهم، فاستغلوا قسماً كبيراً منها في الصناعات الغذائية، ومن هذه الصناعات ما يتعلق بالاطعمة، ومنها ما يتعلق بمستلزمات الحياة.

عرف الأندلسيون صناعة ألوان مختلفة من الأطعمة، منها الجبن الذي اختصت بصناعته مدينة إشْبِيليَة وشريش، كما ويُصنع من الجبن لون آخر من الأطعمة، وهو المجبنات: وهي نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها، وتقلى بالزيت، وقد اختصت مدينة شريش بصناعة هذه المجبنات، وهذا يعود إلى وفرة إنتاج الجبن بها،

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص142.

(2) محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبدالله، كان فقيهاً عالماً، حافظاً للمسائل والأقضية، ضابطاً لكتبه ثقة في روايته، ألّف مصنفاً في السنن على تصنيف أبي داوود. انظر: ابن الفرضي، **تاريخ**، ج2، ص704.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص91.

وفي ذلك يقول المقَّري: "يقول أهل الأندلس: من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"[1].

وانتشرت في الأندلس عدة أنواع من الأطعمة المشرقية، التي أدخلها زرياب[2]، ومنها طعام يتكون من اللحم ونبات يسمى الإسفرّاج، حيث يطبخان معاً ويشكلان طعماً لذيذاً، ويعتبر هذا النوع من النبات مفيداً صحياً، حيث يدر البول، ويفتت الحصا، وينقي المثانة، كما وانتشر في الأندلس، طعام التفايا أو النقاوى، حيث كان الأندلسيون يفضلونه على باقي الأطعمة[3].

وتُعدُّ الحلوى من الصناعات الزراعية السائدة عند الأندلسيين، ومنها الكعك والمسمّنات[4]، والناطف، الذي يتكون من اللوز والجوز والفستق[5]. وكان الأندلسيون يستخدمون الأعناب في صناعة الحلوى[6]، كما وكانوا يستخدمون التفاح والتوت والرمان والجوز والعنب في صناعة المربى[7].

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص184.

(2) زرياب: هو علي بن نافع. انظر: المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص122. والزّرْياب: الذهب الأصفر. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص431. وذكر ابن حيان: أن زرياب لقب أُطلق على علي بن نافع في بلده العراق للونه الذي يشبه لون طائر أسود يسمى العمقمق (من الفصيلة الغرابية). انظر التفاصيل: ابن حيان، **المقتبس**، ص333؛ ابن عبدربه، **العقد الفريد**، ج6، ص42. وكان دخول زرياب إلى الأندلس خلال إمارة عبدالرحمن الأوسط (206-238هـ/ 822-852م). انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ص313؛ المقّرين **نفح الطِّيب**، مج3، ص124-125.

(3) ابن دحية، عمر بن حسن، (ت 633هـ/1236م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، راجعه طه حسين، مطبعة الكتب المصرية، د.ط، بيروت د.ت، ص147. (يشار إليه فيما بعد: ابن دحية، المطرب).

(4) السقطي، أبو عبدالله محمد بن أبي محمد المالقي (ت نهاية القرن 5هـ/11م)، **في آداب الحسبة**، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث، د.ط، بيروت 1987م، ص268. (يشار إليه فيما بعد: السقطي، في آداب الحسبة).

(5) الزبيدي، **لحن العوام**، ص120.

(6) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب.

(7) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص44.

أما صناعة الخمور فتعتبر من الصناعات الرائجة في الأندلس وخاصة بين غير المسلمين[1]، حيث كانت الخمور تُصنع من ثمار التين والعنب وأصناف الفاكهة الأخرى[2]، وكان الأندلسيون ينتجونها ويشربونها ويبيعونها في الأسواق[3]، وقد اجتهد أمراء بني أمية في التضييق من نطاق انتشارها في بلادهم، وبدأوا بأنفسهم فتركوا شرب الخمر[4]، وفي عهد الخليفة الناصر بُذلت جهود جادة لمنع صناعة الخمور، ومكافحة شاربيها[5].

ومن الصناعات الزراعية الهامة، صناعة استخراج الزيت من الزيتون، حيث اختصت إشْبِيلِيَة بوفرة الزيتون في جبل الشرف القريب منها، ولذا فإنها كانت مركزاً من مراكز صناعة استخراج الزيت من الزيتون، كما وتميزت زيوت الأندلس بطيب الطعم، وكثرة المردود عند عصر الزيتون[6]، وكانت الأندلس تحتل المرتبة الأولى في العالم في إنتاج زيت الزيتون وذلك بسبب وفرة أشجار الزيتون التي تغطي مساحات شاسعة من البلاد، ووصف زيتها بأنه يحتفظ برقته وعذوبته وقتاً طويلاً فلا يتغير طعمه[7].

ومن الأعناب يُعمل الزبيب، الذي يتميز بلونه الأحمر، ويوجد بكثرة في قرية شاطبة القريبة من مدينة المُنَكَّب[8]، ومدينة ألش[9]، وكان يُصدر إلى مناطق مختلفة

---

(1) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب.

(2) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص43؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص214.

(3) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص43–45.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ص277.

(5) الحُميدي، **جذوة المقتبس**، ص43؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص214.

(6) الزهري، **الجغرافية**، ص89؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص264؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص21؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص208.

(7) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص293.

(8) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص273.

(9) القزويني، **آثار البلاد**، ص502.

من العالم، وذلك لأنـه كان من خاصيته أنـه يُحفظ لمدة طويلة دون أن يطرأ عليه أي تغيير[1]، وكان لتوفر القمح بكثرة أهمية كبيرة في صناعة الخبز[2].

وكان الأندلسيون ينتجون اللبن والسمن من الأغنام والأبقار[3]، حيث يتم بيعها في الأسواق، كما ووجدت مواد غذائية أخرى كالعسل[4].

وتُعدُّ صناعة طحن الحبوب من الصناعات الزراعية الهامة في الأندلس، وقد ساعد على وجود هذه الصناعة وفرة المادة الأولية اللازمة، إذ انتشرت زراعة الحبوب في مختلف المناطق الأندلسية[5]، بالإضافة إلى أهمية هذه الصناعة وضرورتها في الحياة اليومية، حيث تُعتبر الحبوب المصدر الأساسي للغذاء، وكانت الحبوب تُطحن بواسطة الأرحاء التي تُدار بقوة الماء أو الرياح[6]، أو الحيوانات وإن كانت الأرحاء المائية هي الأكثر استعمالاً في الأندلس، بسبب وفرة مياه الأنهار والعيون[7]. وقد انتشرت هذه الصناعات في معظم مدن وقرى الأندلس التي تقع على الأنهار[8]، كالجزيرة الخضراء مثلاً[9].

---

(1) الزهري، **الجغرافية**، ص93.

(2) الزهري، **الجغرافية**، ص80.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص115؛ الزهري، **الجغرافية**، ص98، الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص60؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص268/271-272/276.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص184.

(5) انظر: الفصل الثاني، نباتات الأندلس ومدنها الزراعية.

(6) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص126-128.

(7) الزهري، **الجغرافية**، ص80؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص130-131؛ ولمعرفة الموارد المائية في الأندلس، انظر: الفصل الثاني، الموارد المائية.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص119/342.

(9) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص147.

وكانت الدولة تراقب أصحاب هذه المنتجات الغذائية، وذلك لضمان جودتها وصلاحيتها للإستهلاك، حيث يجب على والي السوق أن يتفقد بائعي الهرائس والحلوى والعسل والسمن والجبن واللبن وغيرها(1).

وتعتبر صناعة المواد المنظفة للجسم دليلاً على مدى التطور والتقدم الذي أحرزه الأندلسيون في مجال الصناعات الزراعية، فقد صنع الأندلسيون الصابون من الزيت، حيث يروى أن عمر بن حفص الثقفي الصابوني (ت 316هـ/928م)، اتخذ له أعواناً يعملون الصابون على باب داره(2). ويظهر من ذلك أن صناعة الصابون لم تكن قد تطورت بعد في الأندلس، إذ لم يخصص لأصحاب هذه المهنة سوق خاصة بهم لممارسة عملهم.

2.2.1.4 الصناعات النسيجية:

تُصنّف الصناعات النسيجية في الأندلس إلى نوعين؛ النوع الأول هو دور الطراز التي أنشأتها الإمارة الأموية، وتعرف أحياناً باسم طراز الخاصة، وكان إنتاجها مقصوراً على ما يحتاجه الأمير وأفراد أسرته ورجال دولته من الثياب والملابس، ويشير ابن خلدون إلى أن المنسوجات التي تنتجها دار الطراز الخاصة، يُكتب عليها أسماء الأمراء مع كلمات أخرى، وأشار أيضاً أن دار الطراز هذه كانت ملحقة بقصر الإمارة(3). وبيّن المؤرخون أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم هو الذي أنشاء أول مصنع خاص للنسيج(4)، ويروى أن الخليفة الناصر اتخذ داراً للطراز في مدينة المرية(1) لحاجته إلى الخلع والكسي وغيرها(2).

---

(1) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص50؛ ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي (ت النصف الأول من القرن 6هـ/12م)، **رسالة في القضاء والحسبة**، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955م، ص45–50. (يشار إليه فيما بعد: ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة).

(2) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، 5، ص171.

(3) ابن خلدون، **المقدمة**، ص267.

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص91؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص20، المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص234.

وكان الخليفة الناصر يستغل ما تنتجه دور الطراز من الثياب والملابس في تعامله السياسي مع الأخرين(3)، فقد كافأ ابن حفصون على هديته له بعد أن تم الصلح معه، بهدية مضاعفة أكثر له فيها من فاخر الكسي السلطانية من الوشي الطرازي وغيره(4).

وكان لدار الطراز موظف يسمى صاحب الطراز، وقد وردت إشارة إلى وجود صاحب الطراز في الأندلس أثناء خلافة الناصر(5)، وكانت وظيفة صاحب الطراز تُسند في كثير من الأحيان إلى الصقالبة(6)، ونذكر على سبيل المثال الفتى الكبير الذي تولى الطراز سنة 313هـ/925م وذلك في عهد الخليفة الناصر(7).

أما النوع الثاني من أنواع الصناعات النسيجية فهو طراز العامة، التي انتشرت في عدد كبير من المدن الأندلسية، وتميزت بإنتاج أنواع خاصة من المنسوجات، كالأقمشة الناعمة، ونسيج الحرير السميك، ومختلف أنواع الثياب والأكسية من الكتان والقطن والحرير والخز(8) وغيرها(9). وفيما يلي أهم أنواع الصناعات النسيجية:

أ. الحريرية:

احتلت صناعة المنسوجات الحريرية مكانة بارزة في المجتمع الأندلسي، وساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعة، إذ اعتنى الأندلسيون عناية فائقة

---

(1) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص289.

(2) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص40.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص268.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص115-116.

(5) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص223.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص387.

(7) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص191.

(8) الخز: صنف من الحرير، تنسج منه الثياب المتينة، ويحجر عليه أمراء بني أمية، ويصل قيمة الثوب الواحد إلى ألف دينار. أنظر، الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص35. ومن أنواع الخز: السَكَب والسَفيق، والمُشمَّع. انظر: ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

(9) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص108.

بتربية دودة القز، وزراعة أشجار التوت التي تشكل مصدر الغذاء الرئيسي لها، حيث زُرع التوت بكثرة في معظم المدن الأندلسية كحصن شنش[1]، ووادي آش[2]، وإلبِيرَة[3]، وقد بذلت المرأة الأندلسية جهداً لا يستهان به في هذا المجال، فكانت تساعد في تحضين ورعاية بيض دود الحرير من شهر شباط إلى أن يفقس في شهر آذار من كل سنة[4].

واستفاد الأندلسيون من الحرير فأنتجوا الملابس الحريرية[5]، التي انتشرت بكثرة في مدينة جَيَّان[6]، والمَرِيَّة[7]حيث بلغ عدد طُرز الحرير نحو ثمانمئة طراز[8]، كما وتوفرت في مالَقَة صناعة الحرير، ففيها "تنسج الحلل الموشية التي تجاوز أثمانها الآلاف"[9].

واشتهرت قرطبة بصناعة الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية السميكة[10]، إضافة إلى أجود أنواع الثياب المتخذة من جيد الخز[11].

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص164.

(2) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص192.

(3) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص36.

(4) القرطبي، غريب بن سعد (ت 369هـ/979م)، **تقويم قرطبة**، نشر: رينهارت دوزي، د.ط، ليدن 1961م، ص49. (يشار إليه فيما بعد: القرطبي، تقويم قرطبة).

(5) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219/229؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص164.

(6) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

(7) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص289.

(8) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص562؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص538.

(9) الشقندي، إسماعيل بن محمد (ت 629هـ/1232م)، **فضائل الأندلس وأهلها**، نشرها وقدم لها صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، 1968م، ص58. (يشار إليه فيما بعد: الشقندي، فضائل الأندلس).

(10) سالم، **قرطبة**، ج2، ص154.

(11) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص35؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

وكان يعمل بها عدد كبير من عُمَّال النسيج والحياكة، مما جعل الخليفة الناصر يفتخر بما يحاك له في بلد الأندلس من الخز والوشي وأصناف الثياب، حتى أنه استغنى بذلك عما كان يجلب إليه من المشرق الإسلامي، وقد أشاد ابن حوقل بأنسجة الحرير، ذاكراً تفوق الأندلس على العراق من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات[1].

ب. القطنية والكتانية والصوفية:

انتشرت زراعة القطن بكثرة عدة مناطق اندلسية كسَرَقُسْطَة[2]، وإِشْبِيلِيَة[3]، ووادي آش[4]، ولذلك كثرت دور صناعته، وزاد الانتاج[5]، كذلك الكتان الذي انتشرت زراعته في مدينة غَرْناطة، وجبل شكير[6]، وإلبِيرَة [7]، وبجاية[8]، وكانت مدينة لاردة متخصصة بكثرة زراعة الكتان الذي يُنقل منها إلى مختلف المناطق الأندلسية[9]. وقد توفرت في هذه المدن في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي مراكز لصناعة الملابس الكتانية[10]، بالإضافة إلى مدينة بلنسية التي اشتهرت أيضاً بصناعة الثياب

---

(1) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

(2) الزهري، **الجغرافية**،ص82.

(3) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص217.

(4) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص604/192.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص114؛ الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(6) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب.

(7) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص193.

(8) القزويني، **آثار البلاد**، ص159.

(9) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص507.

(10) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص113؛ الزهري، **الجغرافية**، ص102؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص159؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص159.

الكتانيــة[1]. ونظـراً لاهتمـام الأندلسـيين بتربيــة المواشــي[2]، فقـد اسـتفادوا مـن صـوف الأغنام لصناعة الملابس الصوفية.

وكـان لوجـود العمـال والصـناع المهرة، الـذين تخصصـوا فـي مثـل هـذا النـوع مـن الصـناعات أثـر بـالغ فـي تطورهـا وتقدمها فـي الأنـدلس، إذ احتـرف بعضـهم وبخاصـة النسـاء صـناعة غـزل القطـن والكتـان والصـوف. وكـان للغـزالين الـذي يعـرف واحـدهم بـالغزّال أمـاكن خاصـة فـي الأسـواق الأندلسية[3]، ممـا هيـأ المـادة الخـام اللازمـة لتلـك الصناعة، فبرع النساجون في صنعها لتنسب الأذواق المختلفة.

امتاز إنتاج مدينة إشْبِيلِيَة من الصناعات القطنية في عهد الناصر بالوفرة والجودة العاليـة، وكـان الفـائض منـه يصـدر إلـى جميـع بـلاد الأنـدلس[4] وإلـى شـمال أفريقيـا كسجلماسه[5] والقيروان[6]. وازدهرت صـناعة المنسوجات الكتانية في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وكانت هذه المنسوجات تتألف من الأكسية والثياب الفاخرة[7].

لاقـت الصـناعات النسـيجية الكتانيـة رواجـاً كبيـراً فـي الأسـواق الأندلسـية للحاجـة اليومية لها، وكانت أسواقها تنتشر في مراكز المدن، وبالقرب من المسجد الجامع[8]، وكانت المنسوجات الكتانية المصنوعة في المراكز المذكورة، مما يهادي به الخلفاء، ومن ذلك هدية الخليفة الناصر لموسى بن أبي العافية سنة (324هـ/935م)، وكانت الهديـة تتضـمن أربعين شـقة مـن "شـقاق الكتـان المتوسـطة لكسـوة رجالـه"[9]. وهديتـه

---

(1) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(2) انظر: الفصل الثاني، الرعي وتربية المواشي.

(3) ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص55/60.

(4) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص195.

(5) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص21.

(6) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص293.

(7) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(8) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص424.

(9) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص389.

لزعماء القبائل البربرية الذين أعلنوا الولاء والطاعة للخليفة الناصر سنة (326هـ/937م)، وكانت الهدية تتضمن ثلاثين شقة من شقاق الكتان، وثلاثين رداءاً من أردية الكتان المعلمة[1].

هذا وكانت منسوجات مدينة بلنسية تمتاز بالجودة العالية[2]، وكانت تصدرها منسوجاتها إلى مختلف أقطار المغرب الإسلامي[3].

اشتهرت صناعة المنسوجات الصوفية في الأندلس، حيث برع الصُنّاع في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بحياكة أرقى المنسوجات الصوفية وخاصة في مدينة سَرَقُسْطَة[4]. وكانت أسرجة الخيول التي تُصنع من الصوف هي الأرقى من نوعها في العالم الإسلامي، إذ كانت تتراوح أثمانها ما بين الخمسين والستين ديناراً، ويبدو أنها كانت تُصنع من خيوط الصوف، وتُزيّن بالذهب والفضة، فالأندلسيون "لم يساوهم في أعمال لبودهم[5] أهل بلد على وجه الأرض، وربما عمل لسلطانهم لبود ثلاثينية يقوّم اللبد منها بالخمسين والستين ديناراً، غير أنه قد جعل عروضها خمسة وستة أشبار فهي من محاسن الفرش"[6].

واتخذ الأندلسيون من أصواف الحيوانات وأوبارها ملابس الفراء لتقيهم من برد الشتاء القارس، فبرع الفراؤون في نسج الثياب الفاخرة من فراء القنليات، وكانت هذه الثياب تستخدم على نطاق واسع من قبل المسلمين والنصارى، ويبدو أن الكميات

---

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص427.

(2) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(3) الشقندي، **فضائل الأندلس**، ص59.

(4) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(5) اللبود: والجمع ألباد، ولبود. واللبد: ما تحت السرج، ويقال ألبد السرج إذا عمل له لبده. وفي الأفعال: لبدت السرج والخف لبداً وألبدتهما: جعلت لهما لبداً. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج3، ص386.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

المنتجة منها كانت تزيد على حاجة السوق المحلي، ولذا كان الفائض يصدر إلى الأسواق الخارجية وبخاصة أسواق سبتة وتونس[1].

وكانت الثياب التي تعرف باسم "أبو قلمون" تنسج في مدينة شنترين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي ثياب رفيعة القدر تمتاز بالجودة والمتانة، وتنسب الى حيوان بحري يدعى أبو قلمون كان يخرج من المحيط الأطلسي الى ساحل شنترين، فيحتك بالصخور على شط البحر، فيسقط من جسمه "وبر في لون الذهب لا يغادر منه شيئاً فيجمع وتنسج منه ثياب فتتلون في اليوم ألواناً" وكانت هذه الثياب تنسج للملوك والخلفاء خاصة[2].

ومن أنواع الثياب المصنوعة من الصوف الممطر، ويصف ابن حوقل هذا النوع من الثياب بأنه مشمّع يمنع المطر أن يصل إلى لابسه[3]. ويوجد نوع أخر من الثياب المصنوعة من الصوف يسمى البياض الظهائر، وهي ثياب خفيفة[4]. ويبدو أن النوع الأول من الثياب (الممطر) يلبس في فصل الشتاء، والنوع الثاني(البياض الظهائر) يلبس في فصل الصيف.

ومن المصنوعات الصوفية، الأوطية، والتي تُصنع في بعض المدن الأندلسية كتدمير [5]، وبَسْطة[6]، وجنجالة، وقونكة[7].

ج. البسط والسجاد:

لاقت الصناعات النسيجية من البسط والسجاد رواجاً كبيراً في الأسواق الأندلسية للحاجة اليومية لها، وكانت أسواقها تنتشر في مراكز المدن وبالقرب من المسجد

(1) انظر: المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص198.

(2) انظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص42؛ المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص240.

(3) ابن حوقل، **صورة الارض**، ص109.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص128.

(5) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص9.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص113.

(7) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص195.

الجامع[1]، وتعددت مدن صناعة البسط ومنها مرسيَّة التي اشتهرت "بالطراز العجيبة والصناعة الغريبة للوطاء والبسط"[2]، كما وتصنع البسط في مدينة ألش[3]. وكان الأندلسيون يتهادون البسط فيما بينهم، مما يدل على قيمتها الثمينة وحسن موقعها في النفوس[4]. وكانت البسط تقسم إلى نوعين؛ الأول منها يُصنع من الصوف، ويسميه الأندلسيون الحنبل[5]، أما الثاني فيسمى النُّخ[6].

د. غزل النسيج:

كان غزل النسيج مهنة محببة لدى النساء لكونها مربحة، فقد أشاد أحد علماء الأندلس، وهو ابن الجبَّاب[7] (ت 322هـ/934م) ، بفضل والدته، فقال: "كانت أمي تغزل، وأبيع غزلها فاشتري به الرق والكتب"[8]. وكانت النساء ينتجن كميات كبيرة من الغزل، فاضطرت الدولة إلى تخصيص سوق لعرض الغزل، وكان يشرف على سوق الغزل موظف خاص يسمى أمين سوق الغزل، وقد وردت الإشارة إلى ذلك على لسان الخليفة الناصر، إذ قال يوماً لرجال دولته، منتقداً سياسة جده الأمير عبدالله: "أعلمتم أن الأمير عبدالله جدي بنزوله للعامة في الحكم للمرأة في غزلها والحمّال في ثمن ما يحمله والدلاّل في ثمن ما ينادي عليه، أضاع كبار الأمور ....، حتى اضطرمت جزيرة

(1) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص424.

(2) العذري، **ترصيع الأخبار عن الأندلس**، ص9.

(3) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص244.

(4) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص108.

(5) الزبيدي، **لحن العوام**، ص127. الحنبل: هو جُبَّة من الفرو طويلة الكُمّين. انظر: ابن سيده، **المخصص**، مج2، ص81.

(6) النُّخ: بساط طويل، وهو فارسي معرّب، وجمعه نخاخ. انظر: ابن سيده، **المخصص**، مج2، ص74.

(7) هو أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم، كنيته أبو عمر، من أهل قرطبة، وقد عُرف بالجباب لأنه كان يبيع الجبب. انظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص175.

(8) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص177.

الأندلس وكادت الدولة ألا يبقي لها رسم، وأي مصلحة في نظر غزل امرأة ينظر فيه أمين سوق الغزل، وإضاعة النظر في قطع الطرق وسفك الدماء وتخريب العمران"[1].

3.2.1.4 الصناعات المعدنية:

أ. الحِدادة

تعتبر مدن الأندلس غنية بالثروة المعدنية، وخاصة معدن الحديد[2] الذي هيأ السبيل لقيام الصناعات المعدنية، وخصوصاً الحِدادة، وقد تنوعت المصنوعات التي ينتجها الحدادون، ويضاف إلى ذلك كدليل على ازدهار هذه الحرفة ونشاطها، أن كثيراً من الحدادين كانوا يتخذون لهم صبيان يعملون عندهم بالأجرة لمساعدتهم في إنجاز أعمالهم، وهذا يدل على أن المستوى المادي للحدادين كان جيداً، كما أن حجم أعمالهم كان كبيراً ونشاطهم متسعاً، بحيث تعذر عليهم أن يؤدوا واجباتهم بمفردهم ودون الحاجة إلى عمال يشاركونهم في هذه الأعمال، وقد كانت للحدادين أسواقاً خاصة بهم، كسوق الحدادين في قرطبة [3].

ويستخدم الحدادون مجموعة من الآلات وأدوات العمل في صناعاتهم، ومن هذه الآلات نذكر، حجر المِسَن وهو الذي يشحذ الحديد عليه[4]، ومنها الكلاليب وهي التي يمسك بها الحداد عند الإيقاد والضرب[5]. ومنها أيضاً الزِّق وهو الذي ينفخ به الحداد،

(1) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص185.

(2) انظر: القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32/ **صفة جزيرة الأندلس**، ص1؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص302/292/267.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص83.

(4) الزبيدي، **لحن العوام**، ص91.

(5) الزبيدي، **لحن العوام**، ص140.

والكير وهو موقد النار الذي يبنيه الحداد، وكان العامة في الأندلس يطلقون تسمية الكير على الزِّق الذي ينفخ به الحداد(1).

تعتبر صناعة الأسلحة من أهم الصناعات المعدنية في الأندلس، وقد أحرز الأندلسيون في ذلك تقدماً كبيراً، ولعل طبيعة الموقع الجغرافي للأندلس، ومجاورتها للدويلات المسيحية في الشمال، وقيام الثورات المناوئة، قد حفز همم أبنائها إلى الإكثار من صناعة الأسلحة وتطويرها ما أمكن ذلك، وقد أشار ابن الخطيب إلى كثرة صناعة الأسلحة في الأندلس(2)، والتي كانت تُصنع غالباً من النحاس والحديد(3).

وكان الاهتمام بصناعة الأسلحة في فترة مبكرة من قيام الإمارة، فقد حرص أمراء بني أمية منذ عهد الأمير عبدالرحمن الداخل(138-172هـ/755-788م) على تنمية مخزون السلاح لديهم، إما بتصنيعه أو استيراده، فقد ألزم الأمير الداخل النصارى بتأدية ألف من الرماح إلى جانب عدد من الأشياء العينية الاخرى، يدفعونها كل عام مقابل تأمينهم وحقن دمائهم(4).

واستمر اهتمام أمراء بني أمية بصناعة الأسلحة وتنميتها، وأنشأ الخليفة الناصر داراً لصناعة آلات السلاح للحرب في مدينة الزهراء(5)، وكانت معامل الأسلحة تنتج أنواعاً مختلفة من العدد والآلات الحربية، كالرماح والتروس، وقد ورد ذكر الترس كثيراً في الحروب الداخلية في الأندلس في هذه الفترة، كما كانت الرماح الصغيرة تصنع في الأندلس وكانوا يسمونها مَطْرَد، ومن هذه الصناعات المقبض والغمد(6)، والخناجر

---

(1) الزبيدي، **لحن العوام**، ص185.

(2) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص4.

(3) الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(4) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 784هـ/1347م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط9، بيروت 1413هـ، ج8، ص250. (يشار إليه فيما بعد: الذهبي، سير).

(5) ابن خلدون، **العبر**، مج4، ص312.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص162.

والدروع[1]، وقد اشتهرت عدة مدن بهذه الصناعات كمدينة طُلَيْطُلَة و قُرْطُبَة وغَرْناطة وإشْبِيلِيَة والمَرِيَّـة، وكانت مدينة مرسيَّة تصنع آلات العسكر بشكل "بهر العقول"[2]، وأصبحت أكثر همم أهل الأندلس متجهة إلى هذا المجال[3].

وبالإضافة إلى التروس والرماح، فقد كانت السيوف تُصنع في الأندلس[4]، وقد صُنعت قوائمها من السَّفَن(جلد خشن)، ومما يبين تقدم صناعة السلاح في عهد الخليفة الناصر، الهدية التي قدمها ابن شهيد للخليفة الناصر سنة 327هـ/938م، إذ احتوت الهدية على ألف سهم من النبال البراعة الصنعة، وألف ترس سلطانية، وثمانمئة من التجافيف التي تستحدم في أيام البروز والمواكب[5]، والهدية التي بعثها الخليفة الناصر إلى ابن حفصون سنة 303هـ/915م، والتي احتوت على سيوف جميلة، وقد سُرَّ ابن حفصون كثيراً بهذه الهدية[6].

ومن الجدير بالذكر أن جميع أنواع الأسلحة كانت تُحفظ في خزائن السلاح، المعدّة لهذا الغرض، وكان يتولى الإشراف عليها موظف رفيع المستوى يُطلق عليه اسم خازن الأسلحة، ولأهمية هذا المنصب كان الخليفة الناصر يتولى بنفسه عملية تعيين الموظف وعزله[7]، فقد عيَّن الناصر لهذا المنصب عدداً كبيراً من الموظفين، منهم موسى بن سليمان الخولاني المعروف بأبي الكوثر، وأخيه عبدالملك بن سليمان[8] وقاسم بن وليد الكلبي، وعبدالملك بن جهور، ومحمد بن عبيدة بن مُبَشِّر[9]. وعلى ما

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج3، ص4؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص100؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص202.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص202.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص162.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص162.

(5) ابن خلدون، **العبر، مج7**، ص299؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص356.

(6) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص115-116.

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص461.

(8) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص97.

(9) انظر أسماء ممن تولّوا خزانة السلاح: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص 1-وما بعدها.

يبدو أن كثرة عدد من تولّوا خزانة السلاح يعود لأهمية المنصب عند الخليفة الناصر، ولإهتمامه بالأسلحة، لمناهضة الثورات المناوئة، وللتصدي لحركات الممالك الإسبانية في الشمال.

ومن الصناعات المعدنية الأخرى التي ينتجها الحدادون، السكاكين، والأمقاص التي ازدهرت صناعتهما في مدينتي مرسيه[1]، ومالَقَة[2].

ومن الصناعات الأخرى المتخذة من الحديد، المسامير، ولا يخفى أن مجال استعمالاتها واسع، حيث ورد في بعض المصادر إشارة إلى استعمال المسامير في أغراض مختلفة[3]، ومن أنواعها الفِتْرِيَّة[4].

ومن الحديد تُصنع الأبواب، كبوابات المدن الهامة، وذلك لحمايتها من احتمالات الغزو الخارجي، فقد كان لقرطبة سبعة أبواب حديد[5]، وكان لمدينة طرطوشة أربعة أبواب حديدية[6]، وبالإضافة إلى بوابات المدن، فإن أبواب القصور كانت تتخذ من الحديد أيضاً، كباب السُّدَّة، وكانت دفته من الحديد[7].

ولم يقتصر الأندلسيون عند هذا الحد في مجال الصناعات الحديدية، بل بلغ من تقدمهم في هذا المجال أنهم توصلوا إلى صناعة مراسي السفن في الموانئ، ومنها مدينة شلطيش، إذ يوجد فيها" دار صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعته أهل البلاد لجفائه وهي صنعة المراسي التي ترسي(ترسو) بها السفن"[8].

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص201.

(2) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص349؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219.

(3) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص170؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص126.

(4) الزبيدي، **لحن العوام**، ص223.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص108.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص391.

(7) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص464.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص343.

وفي مجال الزراعة صنع الأندلسيون من الحديد المناجيل والمعاول والمناقير[1] والسكك ومفردها السكة التي تستخدم في فلاحة الأرض، وكانت الفؤوس تصنع في بعض مدن الأندلس، ومن أنواعها الصاقور الذي يُستعمل في قطع الخشب[2]. ومن معدن النحاس صنع الأندلسيون القناديل والمصابيح وآنية الماء[3]، ومن البرونز صنعوا التماثيل على هيئة حيوانات وطيور، كانت توضع حول البرك والاحواض المائية[4]، كما وصنع الأندلسيون أواني السَّبك من معدن الزَّنجفور[5].

ب. الصياغة:

على الرغم من وجود الذهب والفضة في مناطق متفرقة من أنحاء الأندلس[6]، إلا أن مصادرنا لا تمدنا بكثير من المعلومات حول صياغة الحلي أو غيرها من الصناعات المشتقة من الذهب والفضة. وإن هذه الندرة في المعلومات حول هذا الجانب لتوحي بأن صياغة الحلي لم تكن متطورة كثيراً في الأندلس في هذه الفترة.

لكن بعض المصادر تمدنا شيئاً من أصناف الحلي في الأندلس، فمنها صنف يقال له: يارق أو يارقان، وتسميه العامة في الأندلس، أراق[7]، ومنها أيضاً صنف يقال له: الوشاح الذي تتوشح به المرأة[8]. وهناك صناعات أخرى مشتقة من الذهب والفضة إلى جانب صناعة الحلي، كالاواني الذهبية والفضية. ويفترض على الصاغة ألا يبيعوا أواني الذهب والفضة والحلي المصوغة إلا بغير جنسها، وإن باع شيئاً من الحلي المغشوش وجب عليه اطلاع المشتري على مقدار ما فيها من الغش ليدخل على

---

(1) ابن بصال، **الفلاحة**، ص66.

(2) الزبيدي، **لحن العوام**، ص99.

(3) سالم، **قرطبة**، ج2، ص136.

(4) سالم، **قرطبة**، ج2، ص138.

(5) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص10.

(6) انظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص36؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1.

(7) الزبيدي، **لحن العوام**، ص81.

(8) الزبيدي، **لحن العوام**، ص165.

بصيرة[1]. كما واستخدم الأندلسيون الذهب والفضة في تزيين المساجد والقصور، ومن الامثلة على ذلك ما رواه المؤرخون عن محتويات مسجد قرطبة الجامع، وعن منشأت مدينة الزهراء التي امر ببنائها الخليفة الناصر[2].

4.2.1.4 الصناعات الجلدية:

تشكل الصناعات الجلدية جانباً مهماً من جوانب النشاط الصناعي في الأندلس، فقد ازدهرت بعض المصنوعات الجلدية وورد ذكرها كثيراً في مصادرنا، وكانت هذه المصنوعات ضرورية في استعمالات الحياة اليومية[3].

تميزت العديد من المدن الأندلسية بتربية المواشي كالأغنام والأبقار وغيرها[4]، واشتهرت بعض المدن الأندلسية بإنتاج الجلود الجيدة، كمدينة لبلة[5].

ومن الجلود تُصنع بعض الملابس، وكانت خياطة الجلد شاقة عسيرة، وتستغرق مدة طويلة، بخلاف بعض الملبوسات الأخرى التي تصنع من غير الجلد[6].

ومما يشير إلى اهمية الصناعات الجلدية وشمولها لمعظم نواحي الحياة، أن الأندلسيين استعاضوا بها عن الورق الذي لم يكن شائع الاستعمال في هذه الفترة على ما يظهر، فكانت الرقاع الجلدية تستخدم في الكتابة والتدوين، في ظل غياب الورق. ومما يروى في ذلك أن القاضي عمرو بن عبدالله كان إذا أخذ مجلسه للقضاء، يأمر المتخاصمين أن يكتب كل منهم اسمه في رقعة، ثم يجمع الرقاع ويخلطها بين يديه

---

(1) الشيزري، عبدالرحمن بن نصر (ت 586هـ/1193م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشره السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، القاهرة 1946م، ص77. (يشار إليه فيما بعد: الشيزري، نهاية الرتبة).

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص230-231؛ انظر التفاصيل حول مسجد قرطبة: المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص545-563.

(3) البكري، **جغرافية الأندلس**، ص88.

(4) انظر: الفصل الثاني، الرعي وتربية المواشي.

(5) ابن الشبّاط، **صفة السمط**، ص117.

(6) Imamuddin, **Economic History of Spain**, p 109.

وينادي على أصحابها الأول فالأول وهكذا[1]. كما يروى أن الشاعر ابن عبدربه دوّن أبياتاً من الشعر على جلد رق أبيض، وأرسلها إلى القاضي أحمد بن محمد ابن زياد، (ت 312هـ/924م) في حاجة له[2].

ومن الصناعات الجلدية في الأندلس، مقابض السيوف، وتُتَّخذ من السَّفن وهو جلد خشن غليظ كجلود التماسيح، يكون على قوائم السيوف[3]، وقد اختصت به مدينة مالقة، ومن هذا الجلد كان يصنع منه أيضاً الأغشية والحزم والمدورات والحقائب والأحذية[4].

5.2.1.4 الصناعات الخشبية:

تُعدُّ الصناعات الخشبية رافداً هاماً من روافد النشاط الصناعي في هذه الفترة. فقد استفاد الأندلسيون من وفرة الخشب في بلادهم، فاتخذوا منه العديد من الصناعات التي أفادتهم كثيراً في شؤون حياتهم. ومن هذه الصناعات الخشبية صناعة السفن المختلفة الأحجام، إذ كان لزاماً على الأندلسيين أن يولوا هذا الجانب من الصناعة قسطاً من رعايتهم واهتمامهم، فالموقع الجغرافي لبلادهم وإحاطة البحر بها من جهات ثلاث، يحتم عليهم ذلك لحماية سواحلهم من الغزو الخارجي، وقد حدث بالفعل أن تعرضت الأندلس لهجمات بحرية قام بها النورمانديون وذلك خلال عصر الإمارة، فأوجدت هذه الغزوات النورماندية انطباعاً عاماً لدى أهل الأندلس بضرورة تحصين مدنهم الساحلية، واتخاذ الخطوات اللازمة لبناء أسطول بحري قادر على مواجهة ما قد يطرأ على السواحل الأندلسية من أخطار عسكرية، فاستلزم ذلك مضاعفة الاهتمام بصناعة السفن. وترجع نشأة صناعة السفن إلى عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، الذي أقام داراً لصناعة السفن في إشْبِيلِيَة، حيث: "أنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل

---

(1) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص69.

(2) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص193.

(3) انظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص35.

(4) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص42؛ الزهري، **الجغرافية**، ص93.

الأندلس فألحقهم ووسع عليهم"[1]. ونتيجة لهذا الاهتمام فقد تنامت أعداد المراكب في الأسطول الأندلسي، وظل الاهتمام بصناعة المراكب متواصلاً من قبل الدولة، فقد قرر الأمير محمد بن عبدالرحمن إنشاء مجموعة من المراكب في قرطبة، ولما انتهى العمل فيها أمر بإرسالها إلى البحر المحيط سنة 266هـ/879م، لكنها تحطمت جميعاً عندما دخلت البحر[2].

وفي عهد الخليفة الناصر اقتصرت دار صناعة المراكب في قرطبة، على الصناعات المدنية كالتحف المعدنية والآلات، ولم تعد داراً لصناعة الأسطول، لكثرة ما أنشأه الخليفة الناصر من دور للصناعة على سواحل الأندلس[3].

وانتشرت صناعة المراكب في عدد من مدن الأندلس، فقد أمر الخليفة الناصر بإنشاء دار لصناعة المراكب في كل من: الجزيرة الخضراء[4]، وطرطوشة التي اشتهرت بصناعة المراكب الكبار من خشب الصنوبر النابت في جبالها كانت مركزاً هاماً لصناعة السفن، حيث تُصنع المراكب الكبار من خشب الصنوبر المتوفر في جبالها[5]، ودانية التي تصنع السفن الكبار والصغار[6]، كذلك يوجد دار لصناعة المراكب في مدينة شنتمرية الغرب[7]، والمنكّب[8]، وقرطبة[9]، ودانية[10]، واهتم الخليفة الناصر اهتماماً خاصاً بمدينة المرية، فأنشأ فيها داراً لصناعة السفن جعلها قسمين،

---

(1) ابن القوطية، **تاريخ**، ص88.

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص103؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج6، ص25.

(3) سالم، **قرطبة**، ج1، ص217.

(4) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص73/ **الروض المعطار**، ص223..

(5) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص279؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص391.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص232.

(7) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص424؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص347.

(8) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص145؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص211.

(9) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص425.

(10) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص279.

قسماً للمراكب الحربية والآلة والعدة، وقسماً للقيسارية أو المراكب التجارية[1]، فأصبحت المرية مرسى الأندلس ومجتمع مراكبها وأساطيلها ودار صناعتها"[2].

ويستفاد من الخشب في إنشاء المباني، فقد كان الخليفة الناصر يجلب الخشب لمبانيه من كورة جَيَّان[3]، كما يستفاد في صناعة بعض أنواع الأسلحة، كالمنجنيق مثلاً الذي يستعمل بشكل واسع في الحروب الواقعة في الأندلس، فقد استعان به الخليفة الناصر أثناء حصار جيشه لابن مروان الجليقي وجماعته[4].

ومن الأسلحة المصنوعة من الخشب، القَسي[5]، وكانت تُستخدم في العمليات العسكرية في الأندلس[6].

ويدخل الخشب في تأثيث المنازل، إذ يستفاد منه في صناعة الأسرَّة[7]، كما ويدخل الخشب في صناعة الأطباق[8]، وموائد الأطعمة[9]، والأقلام[10]، والآلات الموسيقية كالبوق[11].

---

(1) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص145؛ الزغول، جهاد غالب، **الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غَرْناطة 92-897هـ/711-1492م**، مركز الأفق، ط1، عمان 2001م، ص199. (يشار إليه فيما بعد: الزغول، الحرف والصناعات).

(2) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685هـ/1286م)، **بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، د.ط، تطوان 1958م، ص74. (يشار إليه فيما بعد: ابن سعيد، بسط الأرض).

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص176.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ص367.

(5) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص349.

(6) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص60.

(7) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ص18.

(8) الزبيدي، **لحن العوام**، ص71.

(9) المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص128.

(10) انظر: الخشني، **قضاة قرطبة**، ص96.

(11) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ص291.

6.2.1.4 صناعة الورق:

في عهد الخليفة الناصر اشتهرت مدينة شاطبة عن غيرها من مدن الأندلس في صناعة الورق، حيث كان الرق المستخدم في الكتابة يُحمل من شاطبة إلى سائر مدن الأندلس[1]. ثم انتشر استخدام الورق وخاصة في أوساط العلماء وطلبة العلم، وقد عبَّر عن ذلك أحد العلماء، وهو ابن الجبَّاب (ت 322هـ/934م) بقوله: "كانت أمي تغزل، وأبيع غزلها فاشتري به الرق والكتب"[2].

ومن مظاهر ازدهار صناعة الورق في عهد الخليفة الناصر، هجرة عدد من الورّاقين إلى الأندلس من مختلف البلدان، كعباس بن عمرو الكناني(ت 379هـ/989م) الذي ترك صقلية، وذهب إلى القيروان، ثم انتقل إلى الأندلس سنة 336هـ/947م، واتصل بالحكم ولي عهد أبيه الخليفة الناصر، فتوسع له في الورق وصار من جملة الورَّاقين[3].

وقد امتدح المقدسي(ت 380هـ/990م)، مهنة الوراقة في الأندلس، إذ يقول: "وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة خطوطهم مدورة"[4]. كما أن عدداً من العلماء الأندلسيين قد اشتغل بالوراقة، فهذا مالك بن غانم بن الحسن القرطبي(ت 305هـ/917م)، كان يُورِّق ويُعلِّم[5].

7.2.1.4 صناعة الزجاج:

انتشرت صناعة الزجاج في سائر مدن الأندلسن، وبالذات في مدينتي مرسيَّة ومالقة[6]، وكان الجيد من الزجاج يُوضع في أفران للتبريد لمدة يوم وليلة دون انتقاص،

(1) Brown. **Magnifeent Muslims**, 1981, P, 66.

(2) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص177.

(3) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج2، ص509.

(4) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص239.

(5) ابن الآبار، **التكملة**، ج2، ص807.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص201.

لأن بعض الزجاجيين ينتقصوا من هذه الفترة فيحدث تصدع للزجاج[1]. وقد اشتق الأندلسيون من الزجاج بعضاً من الصناعات التي يستفاد منها في الأغراض المنزلية ونحوها، كالأواني والقوارير[2].

أما القوارير، فيستفاد منها في أغراض متنوعة، كالشرب[3]، كما وتستخدم في الأغراض العسكرية، وذلك بعد تعبئتها بالنفط، لتصبح مادة حارقة تقذف على سفن الأعداء[4].

8.2.1.4 صناعة الفخار:

تساهم هذه الصناعة في سد احتياجات المنازل من الأثاث، فكان قسم كبير من الأثاث المنزلي، وخصوصاً في منازل القضاة وغيرهم من أهل الزهد، يتألف من مواد فخارية، ففي منزل القاضي يحيى بن معمر يوجد قلة للماء[5].

وترجع جودة الصناعات الفخارية إلى نوع التربة، فتربة مجريط[6] ذات جودة عالية لصناعة القدور التي تُستعمل لطهي الطعام، فتمكث على النار مدة طويلة دون أن تتكسر[7].

ومن المدن التي اختصت بالصناعات الفخارية، مدينة غَرْناطة[8]، ومدينة أندرش[1]، ومدينة مالقة، حيث يُصنع الفخار المزجج بالذهب[2]. ولضمان جودة الانتاج كان والي السوق يتفقد بائعي الفخار[3].

---

(1) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص83.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص128.

(3) انظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص44-45.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ص309.

(5) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص48.

(6) مجريط (مدريد): من أشهر مدن الأندلس التي أُنشئت في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن (238هـ-273هـ/852-886م). انظر: الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص523.

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص523.

(8) Imamuddin, **Economic History of Spain**, p. 309.

أما الصناعات الخزفية التي ترتبط بالصناعات الفخارية فقد انتشرت في الأندلس مع بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وذلك في عدة مدن أندلسية منها بلنسية وطليطلة وقلعة أيوب ومرسيَّة، وبرع الفخارون في إنتاج أنواع عديدة من الأدوات والأواني الفخارية لتلبية احتياجات الناس ورغباتهم، ومنها الجرار والأباريق والكؤوس والصحون والقوارير والمصابيح(4).

9.2.1.4 صناعة مواد البناء:

تعتبر مواد البناء من الصناعات الهامة في الأندلس، حيث صنع الأندلسيون الطوب المشمس، الذي يدخل في بناء المنازل، كذلك في بناء الأسوار الخارجية للمدن. ويتبين ذلك من خلال ما رواه ابن حيان سنة 301هـ/913م عن أسوار مدينة بَطْلِيوس، التي كانت مبنية من الطوب المشمس(5). ومن المواد المستعملة في البناء أيضاً الجصّ والجيَّار(6)، ذلك القراميد الذي يستخدم في بناء الأسقف(7).

2.4 الحرف:

شهدت معظم مدن الأندلس انتعاشاً صناعياً نتج عنه ظهور عدد من أنواع الحرف المختلفة،وكان يشار لأهل الحرف بـ"أهل الصنائع"(8)،و"أرباب الصنائع"(9).

---

(1) العمري، **مسالك الأبصار**، ج1، ص148..

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص201.

(3) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص82.

(4) انظر: الزغول، **الحرف والصناعات**، ص167-168.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص96.

(6) الزبيدي، **لحن العوام**، ص128.

(7) الزبيدي، **لحن العوام**، ص176.

(8) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص153.

(9) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص9.

ذكر النويري أن ابن حزم قال في وصف أهل الأندلس بأنهم: "صينيون في إتقان الصنائع، وإحكام المهن"(1)، ومن هذه الحرف(2):

1.2.4 الخيّاطون:

على الرغم من أهمية هذه الحرفة في المجتمع الأندلسي، إلا أن مصادر الدراسة لم تذكر إلا اليسير من المعلومات المتعلقة بهذه الحرفة، فقد ذكر ابن الفرضي وابن الآبّار أنه كان للخياطين موضع خاص بهم يجتمعون فيه، يُعرف باسم منية الخياطين(3)، كما وكان لهم رئيس منهم يرعى مصالحهم يسمى عريف الخياطين(4).

2.2.4 العطّارون:

وهم الذين يعملون في إنتاج المواد العطرية والاتجار بها، كماء الورد والياسمين والمسك والزعفران والعنبر والتوابل(5).

وقد تميزت مدينة قُرْطُبَة بوجود مركزين تجاريين بها، أحدهما يقع في الربض الشرقي، والآخر في الربض الغربي تجاه باب العطارين، وكان المركز الثاني أهم بكثير من الأول لأنه الموضع الذي تقوم فيه سوق قُرْطُبَة الكبير(6)، ومن أسواقه سوق العطارين(7)، وربما دل ذلك على ان سوق العطارين كانت في هذا الموضع، خاصة وأن هذا الموضع، باب العطارين كان ملتقى الناس(8).

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج1، ص332.

(2) تمّت الإشارة إلى بعض أنواع الحرف عند الحديث عن الصناعات المرتبطة بها، انظر: هذا الفصل، أنواع الصناعات.

(3) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص198؛ ابن الآبار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص193.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ص21.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383.

(6) سالم، **قُرْطُبَة**، ج1، ص206.

(7) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص277.

(8) ابن حزم، **طوق الحمامة**، ص22.

وفي عهد الخليفة الناصر وتحديداً في عام 324هـ/935م تعرض سوق العطارين في قرطبة إلى حريق عظيم[1].

3.2.4 الجزّارون:

وردت الإشارة إليهم من خلال ما ذكرته بعض المصادر العربية عن واجبات والي السوق، ومنها مراقبة باعة اللحم، حيث يأمرهم ألا يبيعوا البائت مع الطري والمهزول مع السمين والمصران والكرش مع اللحم، ولحم المعز مع لحم الضأن، ولا يترك أحد منهم يبيع لحم الضأن ولحم المعز في حانوت واحد ويجعل لبيع كل نوع من ذلك حوانيت تخصه[2]، كما كان يحدد أسعار اللحوم بحيث "تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدد له المحتسب في الورقة"[3].

وقد ذكر ابن حيان أن الجزارين كانوا يعرفوا باسم القصابين، حيث أقيمت لهم على مجرى نهر الوادي الكبير في قرطبة محال[4]، وواضح أن الهدف من ذلك هو حاجتهم المستمرة للماء، حيث تلزمهم في غسل اللحوم وتنظيف المكان.

4.2.4 الحبّالون:

ويقتصر عملهم على صناعة الحبال وفتلها وتهيئتها لاستخدامها في أغراض مختلفة، وكانت الحبال تُصنع من نبات الحلفاء. ويبدو أن ممتهني هذه الحرفة لم يكن يُنظر إليهم في الغالب بعين الرضا والتقدير من حيث مكانتهم الاجتماعية، فقد غضب الخليفة الناصر ذات مرة على أحد قواده وهو أحمد بن إسحاق القرشي، فكتب إليه

---

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383-384.

(2) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص48-49.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص218-219.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ص145.

يوبخه ويغض من قدره وينتقص من مكانة جده الذي كان: "يفتل الحبال في أسطوانة ويخيط الحلفاء على باب داره"(1).

5.2.4 الحصّارون:

وهم الذين ينتجون الحصر التي تًستخدم لفرش أرضية المساجد والمنازل(2)، حيث كان القاضي سعيد بن سليمان يجلس على حصير في المسجد إذا أخذ مجلسه للقضاء(3)، كما شوهد في منزل القاضي يحيى بن معمر حصير بالإضافة إلى شيء من الأثاث البسيط(4). وكان والي السوق يتفقد باستمرار بائعي الحصر(5).

6.2.4 النجّارون:

كان للنجارين عريف خاص بهم(6)، ويشير ابن عذاري ان أصحاب هذه الحرفة كان لهم سوق خاصة بهم في قرطبة، تسمى سوق الخشّابين، الذي تعرض لحريق عظيم سنة 305هـ/917 م، فتضررت منه حوانيتهم(7)، كما وكان للنجارين اسم آخر هو النشارون(8).

ومن منتجات النجارين منبر مسجد مدينة الزهراء، الذي أمر بصناعته الخليفة الناصر(9).

---

(1) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص138.

(2) الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص399.

(3) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص62.

(4) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص48.

(5) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص82.

(6) ابن حيان، **المقتبس**، ص283.

(7) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص57.

(8) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج2، ص16.

(9) المقّري، **نفح الطِّيب** مج1، ص527.

7.2.4 الدّبَّاجون:

يعد الدّيباج من أصناف المنسوجات التي أتقن الأندلسيون إنتاجها، وقد اشتهرت بإنتاجه مدينة قرطبة، حيث كان بعض علمائها يعملون بهذه الحرفة، ويتاجرون بها، ومنهم محمد بن عبيد بن أيوب المعروف بالدّبّاج (ت 317هـ/929م)[1]، كما واختصت بعض المدن الأندلسية بإنتاج الديباج، فكانت مدينة مرسيَّة تنتج أنواعاً مختلفة من الديباج[2]، ووجدت في مدينة بَسْطة طرز الوطاء من الديباج[3]، كما ويعمل في مدينة فنيانة طرز الديباج[4].

وقد أشاد ابن حوقل بالديباج الأندلسي، ذاكراً تفوق الأندلس على العراق من حيث الكمية المنتجة وجودة الإنتاج[5].

8.2.4 الفرَّانون:

تعتبر حرفة الفرانين من أهم الحرف في المجتمع الأندلسي، إذ يعد الخبز غذاءً أساسياً، وكان بعض الناس يعجنون الدقيق في منازلهم ثم يحملونه إلى الفرَّان ليخبزه لهم، ويتبين ذلك من خلال ما رواه الخشني أن أحد القضاة إستأذن ذات يوم ممن حضر مجلسه من الخصوم ليقضي حاجة له، فقام عنهم ثم خرج وفي يده عجين دقيق يريد ان يسير به إلى الفرن[6].

وعلى ما يبدو أن الأفران كانت منتشرة في كل حي من أحياء مدينة قرطبة، كذلك في سائر مدن الأندلس، فلم يكن لأصحاب هذه الحرفة موضع خاص بهم في سوق قرطبة كما هي الحال في معظم الحرف الأخرى، وقد يبدو الأمر طبيعياً، بالنظر إلى

(1) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج2، ص684.

(2) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص245.

(3) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص113.

(4) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص441.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

(6) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص45.

حاجة الناس المستمرة للخبز. وكان لوالي السوق واجبات تجاه باعة الخبز، حيث يأمرهم أن يتخذوا موازين على رؤوسهم ليختبروا بها الخبز بالوزن إذا وصلهم، فإن وجدوه وازناً باعوه وإن كان ناقصاً تركوه لمن عمله، ومن باعه منهم وعُثر عليه استحق العقوبة[1].

وكان الناس المجاورون للأفران يشتكون من دخان الأفران، لعدم إتقان البناء الخاص للفرن، وافتقاره للاحتياطات اللازمة لمنع ما قد ينتج عنه من ضرر. وقد لاحظ هذا الخلل في بناء الفرن القاضي سليمان بن أسود، وذلك عندما عرضت عليه قضية في هذا الخصوص، ومفادها أن رجلاً اشتكى من وجود فرن بالقرب من داره، لما يصيبه في ذلك من أضرار الدخان الناتج عن الفرن، فقضى سليمان بن أسود بأن يجعل صاحب الفرن أنبوباً في أعلى الفرن، فيخرج الدخان من أعلاه فلا يضر ذلك بمن جاوره[2].

9.2.4 الخرّازون:

وهم الذين يصنعون النعال أو الأحذية ويخرزونها[3]، وقد اشتهر الخرّازون، في صناعة أنواع عدة من الأحذية، منها الصرّار، وهو حذاء للرجال، حيث روي ان القاضي محمد بن بشير ينتعل حذاءً صرّاراً[4]، كما وكانت للنساء أحذية خاصة بهن، وهي تختلف بعض الشيء عن أحذية الرجال، فقد تكون مُرصّعة بالدر والياقوت

---

(1) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص46.

(2) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص79؛ ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي(ت799هـ/1396م)، **تبصرة الحُكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1301هـ، ج2، ص252. (يشار إليه فيما بعد: ابن فرحون، تبصرة الحكام).

(3) الكناني، أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف (ت 279هـ/892م)، **أحكام السوق**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج1، ع1-2، مدريد، ص126. (يشار إليه فيما بعد: الكناني، أحكام السوق).

(4) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص32؛ القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص500.

وغيرهما من الأحجار الكريمة، وكانت بعض النساء يقتنين مثل هذا الصنف من الأحذية، إذ يروى أن زوجة الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، وهي امرأة غنية، كانت لها نعل مرصعة بالدر والياقوت[1].

هذا وقد خضعت صناعة الأحذية كغيرها من الصناعات الأخرى لرقابة شديدة من صاحب السوق وغيره من رجال الحسبة، فقد كان بعض الخرّازين يلجأون إلى الغِش في ترويج بضاعته، فمنهم من يعمد إلى تغليظ حواشي النعل قبل خرزه، وقد نهاهم ابن حبيب عن ذلك وأوصى بمنعهم عن هذا العمل[2].

10.2.4 الدّبَّاغون:

وهم الذين يقومون بدباغة الجلود، وتجهيزها للصناعة، وقد اجتهد فقهاء الأندلس في حث الناس على التوسع في دباغة الجلود والاستفادة منها، حيث أفتى الفقيه ابن حبيب بمنع بائعي الجلود من بيع جلود الميتة نيَّة، وأن يبيعوها مدبوغةً، حتى يمكن الاستفادة منها في أغراض متنوعة[3]، فاشتهرت عدة مدن أندلسية بدباغة الجلود، كمدينة باجة[4]، ومدينة غَرْناطة[5]، ومالقة[6]، وسرقسطة، حيث كان يعرف احد أرباضها يُعرف بربض الدباغين[7].

---

(1) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص22.

(2) ابن عبدالرؤوف، أحمد بن عبدالله (ت النصف الأول من القرن 6هـ/12م)، **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب**، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955م، ص103. (يشار إليه فيما بعد: ابن عبدالرؤوف، رسالة في آداب الحسبة).

(3) ابن عبدالرؤوف، **رسالة في آداب الحسبة**، ص102.

(4) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص403.

(5) Imamuddin, **Economic History Of Spain**, P. 309.

(6) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص63.

(7) Imamuddin, **Economic History Of Spain**, P. 193

وقد حقّق الدّباغون ربحاً وفيراً لمزاولتهم هذه الحرفة، وكان إقبال الناس متزايداً على منتوجاتهم، ولهذا لجأ بعض الدّباغين إلى الاستعانة بعمال لمعاونتهم في إنجاز أعمالهم[1]، غير أن هذه الحرفة لا تخلو من أضرار ناتجة عن مخلفات الجلود المدبوغة كالروائح الكريهة التي تؤذي الناس، ولذلك أوصى الفقيه ابن لبابة (ت 314هـ/926م)[2]، الدّباغين بإزالة هذا الأذى[3]. كما وكان والي السوق يمنع الدباغين من بيع الجلود، إلا أن تكون قد تحققت فيها نهاية الدباغة[4].

الفصل الرابع

التجارة

بدأ النشاط التجاري في الأندلس منذ فتحها سنة (92هـ/ 711م)، وفي عهد الإمارة (138.316هـ/ 755-928م) اتسعت دائرة النشاط التجاري الداخلية والخارجية، فزادت ثروة البلاد تبعاً لذلك، وعم الرخاء، وتضاعفت واردات الدولة، وخاصة منذ عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط (206.238هـ/ 822-852م) الذي فتح أبواب الأندلس أمام تجارة أهل المشرق، ولكن كان النشاط التجاري طوال عهد الإمارة محصوراً بالتجارة

---

(1) الونشريسي، **المعيار**، ج5، ص257.

(2) الونشريسي، **المعيار**، ج5، ص257.

(3) ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، ج2، ص253.

(4) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص79.

مع مناطق العالم الإسلامي، نظراً للغارات البحرية المتبادلة بين الأندلس من جهة، والشواطئ الإيطالية والفرنسية من جهة أخرى، الأمر الذي أخّر الحركة التجارية معها[1].

أما عهد الخلافة(316-422هـ/ 928-1030م)فكان عهد الإزدهار التجاري، إذ عدت الأندلس في هذه الفترة أغنى دولة في المغرب الإسلامي وأوروبا، وأصبحت مضرب المثل بعظم الثروة، مما جعل علاقاتها التجارية تمتد لتشمل جميع دول العالم الإسلامي، كذلك ممالك إسبانيا النصرانية، وبعض دول أوروبا. ومما يدل على ذلك أن عدد المراكب التي كانت تؤمن المبادلات التجارية بين الأندلس والبلدان الأخرى بلغت في بداية عصر الخلافة حوالي ألف مركب[2].

1.3 العوامل التي ساعدت على قيام التجارة:

لم تكن التجارة في الأندلس لتنمو وتزدهر دون أن يكون هناك ما يساعدها على ذلك، فقد اجتمعت لها مجموعة من العوامل والتي جعلت منها مركزاً هاماً في عالم التجارة، وهذه العوامل هي:

1. كثرة الموانئ البحرية والنهرية

تقع الجهة الشرقية من الأندلس على امتداد سواحل البحر الأبيض المتوسط[3] وهذا يساعد على إقامة الموانئ على المدن الساحلية، وبالتالي تشجيع التجارة البحرية، وقد ذكر الإدريسي أن السفن الكبيرة والمراكب الصغيرة تنقل البضائع من خلال البحر

---

(1) جودة، صادق وآخرون، **تاريخ المغرب والأندلس**، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، عمان 1997م، ص356. (يشار إليه فيما بعد: جودة، تاريخ المغرب).

(2) جودة، **تاريخ المغرب**، ص357.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2،ص1؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج2، ص131؛ الحُميدي، **جذوة المقتبس، ق1، ص36؛ الحِمْيَري، الروض المعطار، ص23-33؛ الإصطخري، المسالك والممالك**، ص35؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ج1، ص56-57.

المتوسط ما بين مدينة دانِيَة ومدينة بَلَنْسية الساحليتين[1]، كما وتوجد طرق تجارية بحرية أخرى تربط ما بين المدن الأندلسية الساحلية ومنطقة الشمال الإفريقي[2]، كذلك وجدت في الأندلس مجموعة طرق بحرية، من خلال الأنهار، وأخرى برية، والتي تربط بين المدن الداخلية.

2. وفرة المنتجات الزراعية

امتازت بلاد الأندلس باحتوائها على أخصب الأراضي الزراعية وأكثرها إنتاجاً بالمقارنة مع الممالك النصرانية في شمال إسبانيا، وهذا ما دفع الأندلسيين إلى الاهتمام بالزراعة، فتنوعت النباتات وانتشرت في مختلف أنحاء الأندلس[3] حتى زادت عن حاجة أهل البلاد، فصُدّرت إلى البلدان الأخرى.

3. وفرة الثروة الحيوانية ومنتجاتها

كان لتربية الثروة الحيوانية المختلفة كالأبقار والأغنام، والتي انتشرت بغزارة في بعض المدن الأندلسية[4]دورٌ كبيرٌ في إقامة الأسواق لبيع المواشي وشرائها، بالإضافة إلى إنتاج المواد الغذائية من هذه المواشي كاللحم واللبن والسمن.

4. وفرة المواد الصناعية

كان لتوفر المعادن المختلفة في الأندلس أثرٌ كبيرٌ في الإنتاج الصناعي واستغلالها تجارياً، وتصديرها إلى الخارج[5]، حيث اشتهرت الأندلس في الصناعات التعدينية، بسبب توفر ثروة كبيرة من المعادن كالذهب[6] والزئبق[7]، والزَّنجفور[1]،

---

(1) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص286-287.

(2) كونستيل، أوليفيا ريمي، **التجارة والتجار في الأندلس**، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، ط1، 2004م، ص135. (يشار إليه فيما بعد: كونستيل، التجارة).

(3) انظر: الفصل الثاني، **نباتات الأندلس ومدنها الزراعية**.

(4) انظر: الفصل الثاني، **الرعي وتربية المواشي**.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص201.

(6) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص36.

(7) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109؛ الزهري، **الجغرافية**، ص82/87/95؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص271/275.

والرصاص[2]، والفضة واللازورد والتوتيا[3] والزاج[4]، والنحاس[5]، والحديد[6]، والكبريت الأحمر، والأصفر[7]، والكحل[8]، والصفر[9]، وبالإضافة إلى ذلك فقد توفرت بالأندلس الأحجار الكريمة كالياقوت والبلور[10]، كما ويوجد في الأندلس أنواع أخرى للمعادن كالمغناطيس[11]، كما ويوجد بالأندلس الزجاج[12]، والمنغنيسيا واللؤلؤ والمرجان والقصدير والطَّلق[13]، وأما برادة الذهب والتبر فتوجد في لشبونة[14]، وتشتهر الأندلس

---

(1) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص10.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص114؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص503.

(3) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص 1.

(4) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32/ **صفة جزيرة الأندلس**، ص1.

(5) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص76؛ الزهري، **الجغرافية**، ص90؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص1.

(6) القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32/ **صفة جزيرة الأندلس**، ص1؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص302/292/267.

(7) الزهري، **الجغرافية**، ص99؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص114.

(8) القزويني، **آثار البلاد**، ص503.

(9) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص46.

(10) القزويني، **آثار البلاد**، ص503.

(11) القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص142.

(12) الزهري، **الجغرافية**، ص87؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص245؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص374.

(13) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص142-143.

(14) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**،ج2، ص16؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص547؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص271.

بكثرة الرخام[1] كالخمري، والأحمر، والأبيض[2]، ويكثر الرخام في حصن قسنطينة[3].

5. توفر الأمن والاستقرار

يعتبر عامل الأمن والاستقرار من العوامل المهمة في تشجيع التجارة وازدهارها، وقد حرص أمراء وخلفاء بني أمية طوال عهدهم على إشاعة الأمن والاستقرار ببلادهم مما اشعر التجار بالاطمئنان على أنفسهم وأموالهم، فاقبلوا على أسواق البلاد بطمأنينة وثقة فازدهر الاقتصاد وعم الرخاء.

وفي عهد الخليفة الناصر (300-350هـ/ 912-962م) دانت جميع بلاد الأندلس بالولاء له[4]، وأجبر الممالك الإسبانية في الشمال على عقد معاهدات السلام، حتى هابته هذه الممالك[5]، وتسابق إلى أبوابه الرسل من أوروبا ليقدموا إليه تحية الإجلال والتمجيد[6]، وبذلك عم الاستقرار جميع البلاد داخلياً وخارجياً، فازدهرت نتيجة لذلك التجارة في البلاد وحلها التجار من كل جهة، حيث في عهده نزل التجار الملفيين[7] لأول مرة الأندلس وذلك في سنة 330هـ/941م[8]، كما غلب على الأندلس في عهد الخليفة الناصر الرخص والسعة في جميع الأحوال إلى نيل النعم والتملك الفاشي في الخاصة والعامة، وأصبحت مضرب المثل في أوروبا وآسيا وأفريقيا بتوفر الأمن والاستقرار، وعظم الثروة وقوة الدولة[9].

---

(1) الزهري، **الجغرافية**، ص82/86؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص502.

(2) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص147.

(3) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص302.

(4) انظر: الفصل الأول، **سياسة الناصر الداخلية**.

(5) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص223–224؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298.

(6) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص364/368.

(7) التجار الملفين: هم الذين اشتهروا بصناعة ثياب الملف، وهي ثياب حسنة العمل مصنوعة من الصوف. انظر: الزهري، **الجغرافية**، ص76.

(8) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص478.

(9) بول، استالني، **قصة العرب في إسبانيا**، ترجمة: علي الجارم، دار المعارف، د.ط، القاهرة د.ت، ص113. (يشار إليه فيما بعد: بول، قصة العرب).

ومما تجدر ملاحظته أن الدولة كانت قد حرصت على توفير سبل الأمن والاطمئنان للتجار لما يعود به ذلك من أموال وافرة على خزينتها جراء ما تقبضه "على المراكب الواردة إليهم والصادرة عنهم والرسوم على بيوع الأسواق"[1].

ومن مظاهر حرص الدولة على توفر الأمن وجود خطة الطواف بالليل، فقد ذكر المقَّري: "أن الأندلسيين يطلقون على أصحاب خطة الطواف اسم الدرّابون، لأن مدن الأندلس لها دروب بأغلاق، تغلق ليلاً، وكل زُقاق بائت فيه له سراج معلّق وكلب يسهر وسلاح معدّ، وذلك لشطارة عامّتها وكثرة شرهم"[2]، ويتولى هؤلاء الدرّابون مهمة المحافظة على الأمن داخل أحياء المدينة.

ولقد حرص الناصر على انتقاء من يركنون إلى حزمه وصلابته من الرجال فيولونه الشرطة، ففي سنة 300هـ/912م تولى منصب صاحب الشرطة، قاسم بن وليد الكلبي، ثم عُزل وتولى مكانه عيسى بن أحمد بن أبي عبده المشهور بقوته[3].

6. عوامل أخرى

كان للعلماء دور مهم في تنشيط التجارة الأندلسية مع البلدان الأخرى، وخصوصاً مع المشرق الإسلامي، حيث يعتبر عمل العلماء بالتجارة من العوامل الإيجابية المؤثرة في ازدهارها، وقد دفعهم إلى ذلك، فيما يبدو، حرصهم على الكسب الحلال البعيد عن الشبهات، وتورعهم عن قبول الوظائف الحكومية وما تتطلبه من حضور شبه مستمر إلى مجلس الأمير وحاشيته، ومخالطتهم، ثم إن توجه العلماء نحو الاشتغال بالتجارة يتفق وطبيعة تنقلاتهم وطوافهم في الأقطار الأخرى، فاستطاعوا أن يزاوجوا في رحلاتهم هذه بين طلب العلم وطلب الرزق الذي وصل إلى حد المتاجرة، ومن العلماء الذين مارسوا التجارة قاسم بن خيرون بن سعيد بن عاصم المرادي (توفي بداية إمارة الناصر)، حيث كان أحد التجار، ورحل إلى بغداد فسمع من علمائها وأخذ عنهم[4].

---

(1) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص219.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص158-159.

(4) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج2، ص602.

ويعد إنشاء الفنادق عاملاً إيجابياً من العوامل المؤثرة في التجارة، كما يدل في الوقت نفسه على اهتمام الإمارة الأموية بالتجارة والمشتغلين فيها، وكانت هذه الفنادق مأوىً للتجار الغرباء، ولذلك انتشر بناء الفنادق في مختلف مدن وقرى الأندلس، فبُنيت في مختلف مدن الأندلس كجزيرة طريف[1]، ووادي الحجارة[2]، وإستجَّة[3]، وبجّانة التي كان فيها الكثير من الحمامات والفنادق والمتاجر الرابحة[4]، والمَريَّة التي بلغ عدد فنادقها حوالي 970 فندقاً[5]، وكانت جميع أرجاء إشْبِيلِيَة وقراها البالغة ثمانية آلاف قرية عامرة بالمتاجر والديار الحسنة والفنادق والحمامات[6]، كما وبلغ عدد فنادق قُرْطُبَة أيام الناصر ألفاً وستمئة فندق[7]، وهذا الرقم يدل على مكانة قُرْطُبَة وأهميتها بين مدن العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

وهكذا فقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة وغيرها على نشاط الحركة التجارية وازدهارها، فغدت الأندلس محطة ومركزاً تجارياً هاماً في تجارة البحر المتوسط، وقصدها التجار من كل جهة حتى أصبحت تعج بحركة الصادر والوارد.

ولكن هناك فترات ركود في التجارة نتيجة لتأثير عوامل سلبية، ومن هذه العوامل السلبية، الكوارث الطبيعية وسوء المعاملات التجارية، وقطع الطرق والفتن والثورات وخاصة قبل إعلان الناصر الخلافة في الأندلس.

فقد تضررت الأسواق التجارية من الحروب والفتن الداخلية، فتعرضت للنهب والدمار أكثر من مرة باعتبارها هدفاً استراتيجياً مهماً في ترجيح كفة فريق ضد فريق

---

(1) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص262.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص111.

(3) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص53.

(4) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص38.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص567/ **القارة الأفريقية**، ص290؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص16.

(6)انظر : الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص58.

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص457.

آخر. بل إن بعض أصحاب الحوانيت قد تضرروا كثيراً من الإجراءات التي اتخذها الثوار في مناطقهم، فهذا أحد أصحاب الحوانيت واسمه محمد بن عبدالله، يشكو إلى الناصر من جور إبراهيم بن حجاج، الذي كان مستقلاً في إشْبِيلِيَة وما حولها، ويسأله أن يرد حانوته الذي اغتصبه ابن حجاج، وقد بث شكواه بأبيات من الشعر منها:

وكنت صاحب حانوتٍ فصيّره جور ابن حجاج في جمِّ الحوانيت(1)

ولم تكن حركة قطع الطرق، والتي كان يمارسها السواد الأعظم من الثوار كابن حفصون وأبنائه من بعده، وبني مروان الجليقي، وغيرهم، لتقتصر على العبث بالقوافل التجارية ونهب أموال الناس وتهديد الأمن على الطرقات وحسب، وإنما امتدت آثارها على المدى البعيد لتساهم في انحطاط المدن، ذلك أن الأخطار التي تهدد المسالك والمتمثلة في حركة قطع الطرق بالدرجة الأولى، قد أرغمت كثيراً من السالكين على هذه الطرق غير المأمونة إلى هجرها والبحث عن مسالك جديدة تكون أكثر أمناً، فترتب على ذلك تدهور المدن الواقعة على المسالك القديمة(2).

ومن العوامل السلبية المؤثرة في التجارة، انتشار الغِش في المعاملات التجارية، فقد وجد من الناس من يعمل في تزييف النقود ، لذا اجتهدت الدولة في مكافحة هذا الغش من خلال وجود موظفين يعرفوا باسم القساطرة(3)، فحرصت على بث طائفة من الفقهاء داخل الأسواق للفتوى وتذكير الناس بالله وحثهم على نبذ الغِش في معاملاتهم التجارية، كما كان يفعل الفقيه محمد بن فضيل الحداد (ت327هـ/ 938م) في سوق قُرْطُبَة(4). هذا بالإضافة إلى المهمات الأساسية التي يمارسها صاحب السوق في هذا الجانب.

---

(1) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص33؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص38.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص351.

(3) الزبيدي، **لحن العوام**، ص82-83. القساطرة: مفردها قِسطار، وهو الذي ينقد الدراهم ويميز الجيد من المزيّف منه. انظر: الزبيدي، **لحن العوام**، ص82-83.

(4) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج6، ص187.

وكان التعامل بالربا سائداً لدى فئة من التجار، ويتضح هذا من خلال إحدى الأسئلة الموجهة إلى الفقيه ابن لبابة (ت 314هـ/ 926م)، فقد سئل عن حكم متاجرة أهل الغصب والربا ومن لا يتورع بالدنانير والدراهم(1).

2.3 التجارة الداخلية:

1.2.3 الأسواق التجارية

انتظمت التجارة الداخلية في بلاد الأندلس في أماكن مخصصة لمزاولة النشاط التجاري من عمليات بيع وشراء، وعرفت هذه الأماكن بالأسواق، ومفردها السوق وهو موضع البياعات، يقال سوق القوم إذا باعوا واشتروا وفي حديث الجمعة: إذا جاءت سويقة، أي تجارة وهي تصغير السوق، سميت بها لأن التجارة تجلب إليها وتسوق المبيعات نحوها(2).

وقد اشتهرت الأندلس قي العصر الأموي بكثرة الأسواق والبيوع(3)، في المدن والقرى، وحتى في المناطق النائية ورؤوس الجبال لتزويد المارة والمسافرين بما يحتاجون إليه من خبز وفواكه وجبن وغير ذلك(4)، وروعي في هذه الأسواق متطلبات حفظ الصحة العامة، وسهولة التموين، وحسن التنظيم، فكانت أسواق الأندلس على الدوام فسيحة ومحلاتها نظيفة(5). وتنقسم الأسواق في الأندلس إلى قسمين هما:

أ. الأسواق المتخصِّصة

كانت أسواق مدن الأندلس مرتبة ترتيباً حسناً، بحيث وجد لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم، تخصصت ببيع سلعة معينة من السلع التجارية، ثم إن هذه الأسواق لم تكن مكاناً لممارسة النشاط التجاري من بيع وشراء فحسب، وإنما عبارة عن مدارس

---

(1) انظر: القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص225

(2) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج10، ص167-168.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص111.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص226.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص107.

لأصحاب الحرف التي تقوم بتعليم الصبيان أصول تلك الصنعة[1]. فمدينة قُرْطُبَة مثلاً تميزت بوجود مركزين تجاريين بها، أحدهما يقع في الجانب الشرقي، والآخر تجاه باب العطارين، وكان المركز الثاني أهم بكثير من الأول لأنه الموضع الذي تقوم فيه سوق قُرْطُبَة الكبير[2]، وامتازت قُرْطُبَة بكثرة أسواقها[3]، مثل سوق الحديد[4]، وسوق الخشّابين[5]، وسوق الدّواب[6]، وأسواق للبزّازين والمشّاطين والخرّاطين[7]، والحصّارين والقصّابين[8]، والعطّارين[9] والصّوافين والحرّارين والشقّاقين[10]، وفي مدينة غَرْناطة كان هناك سوق لكل من الدّباغين، والطّوابين، والفخّارين[11].

وكانت الأسواق التجارية تحتل موقعاً مجاوراً للمسجد الجامع في المدينة الأندلسية، كبعض أسواق مدينة غَرْناطة[12]، وقرطبة[13]مثلاً، وربما كان ذلك هو الموقع المثالي الذي ينبغي أن تكون فيه السوق، حيث يجتمع الناس، ويتبيّن هذا الأمر من خلال توجيهات الفقيه ابن لبابة (ت 314هـ/ 926م)، فيما يتعلق بنظافة المساجد

---

(1) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص419.

(2) سالم، **قُرْطُبَة**، ج1، ص206.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص458.

(4) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج4، ص418.

(5) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص57.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص162.

(7) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص142.

(8) ابن القوطية، **تاريخ**، ص85.

(9) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص277.

(10) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383.

(11)

Imamuddin, S.M **Economic History of Spain,** (Under the Umayyads 711-1031) ، Published by: Asiatic Society of Pakistan ، Printed by A.k Ahmad Ali Zeeco Press Dacca 1963.

(12) انظر: ابن فرحون، **تبصرة الحُكّام**، ج2، ص72–73.

(13) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383.

وضـرورة المحافظـة عليها مما يقوم بـه النـاس من جلب الحطب والبقول وما إليها ووضعها في حوانيت ملاصقة للمسجد، فيصيبه الوسخ بسبب ذلك[1].

ونظمـت الأسـواق الثابتـة فـي المـدن ورتبـت حـول المسـجد الجـامع حسـب حاجـة الاسـتهلاك والنظافـة، وأحيطـت بمسـتودعات ومخـازن لخـزن البضـائع التـي يشـتريها التجار، فمواد الاستهلاك اليومي ومـواد التـرف والزينـة والثياب الجـاهزة كانـت أقرب الأسواق إلى المسجد الجامع، ويؤكد ذلك ابن حيان حيث يذكر أنه عندما أُحترق مسجد أبي هارون عام 324هـ/935م بقُرْطُبَة أصاب الحريق كل ما جاور المسجد وخاصة حوانيت الحـرارين حيث تبـاع خيوط وثيـاب الحريـر، وسوق العطـارين الـذي تُبـاع بـه العطورات من ماء الورد والياسمين والمسك والعنبر والتوابل[2].

واتـت أسـواق الخـراطين والخشـابين والقصـابين والحصـارين والسـراجين فـي الدرجـة الثانيـة مـن حيـث البعـد عـن المسـجد الجـامع[3]. أمـا متـاجر البقـول وحوانيـت اللحـوم وأسواق الخضروات والفواكه فقد انتشرت في معظم دروب وشوارع المدن بالإضافة إلى ما وجد منها في الأسواق الكبرى، كذلك بالنسبة إلى أفران وحوانيت الخبز التي انتشرت فـي جميـع أربـاض (أطـراف) المـدن[4]، وجـدت أسـواق قُرْطُبَـة فـي ربضـها[5]، كمـا يقـع سوق طُرْطوشَـة فـي ربضـها القبلـي[6]، ولمالَقَـة أسواق كثيـرة بعضـها يقـع فـي الـربض وبعضـها الأخـر يقـع داخـل المدينـة[7]، أمـا السـوق الرئيسـي لهـذه المدينـة فيقـع فـي ربضـها[8]. كمـا وأقيمـت أسـواق الـدواب فـي الأربـاض، كسـوق الـدواب فـي قُرْطُبَـة[1]،

---

(1) الونشريسي، **المعيار**، ج7، ص482.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383.

(3) ابن القوطية، **تاريخ**، ص85.

(4) سالم، **قُرْطُبَة**، ج1، ص45.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص108؛ المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص233.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص391.

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص517.

(8) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص196.

وإشْبِيلِيَة(2). ومن المؤكد أن الهدف من ذلك هو الحرص على نظافة المدينة، والتخلص من الروائح الكريهة الصادرة عن الماشية، ويؤيد ذلك إحدى وصايا رجال الحسبة بضرورة إبعاد الدباغين عن المناطق السكنية لأن عملهم في منتجات كريهة الرائحة تؤذي الناس(3).

ويتواجد تجار الدواب بهذا السوق بصفة يومية تقريباً، ومن بين مهامهم النظر في المشكلات التي تنشأ بين الباعة والمشترين، فقد روي أن رجلاً دخل على الناصر في مجلسه فذكر أنه اشترى حماراً فوجد فيه عيباً فأخبر القاضي بذلك، لكن القاضي استطلع آراء تجار الدواب وأهل السوق فقرروا بأن هذا العيب كان جديداً ولم يكن موجوداً في الحمار قبل أن يشتريه الرجل، فألزموه به، فغضب الناصر وقال: "تجاوزت القاضي وأهل السوق إلى الخليفة في هذه المسألة الوضعية، ثم أمر فضُرب ونُودي عليه بذلك مجرَّساً(4) وذلك باستخدام دابة عليها جرس لينتبه الناس ويشاهدونه.

أما أسواق النّخّاسة فكانت مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بتجارة الرقيق التي ازدهرت في الأندلس بشكل واضح خلال هذه الفترة، فقد تبوأت الأندلس مكان الصدارة بين أقطار العالم الإسلامي في الإتجار بالرقيق(5)، واستلزم ذلك وجود عدد من أسواق النخاسة يعرض فيها الرقيق من الغلمان والجواري الذين جلبوا بواسطة الحملات العسكرية الأموية الموجهة ضد الدويلات النصرانية في شمال الأندلس أو بواسطة القوافل التجارية التي كانت تجلبهم من أنحاء متفرقة من أوروبا.

وانتشرت أسواق النخاسة في معظم مدن الأندلس كطُلَيْطُلَة، فقد روي أن تاجراً يهودياً اشترى غلاماً من تاجر يهودي آخر في طُلَيْطُلَة، غير أن الغلام لم يعترف بذلك وزعم بأنه حرٌّ وأنه يكره على اعتناق اليهودية، وقد عُرضت هذه القضية على

---

(1) سالم، **قُرْطُبَة**، ج1، ص182.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص162.

(3) ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، ج2، ص255.

(4) ابن سعيد، **المُغْرِب**، ج1، ص185.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص105؛ الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص37.

الفقيه ابن لبابة (ت 314هـ/926م)، ومعه عدد من الفقهاء[1]، كذلك وجدت أسواق النخاسة في إشْبِيلِيَة، حيث يتضح ذلك من الخطاب الذي كتبه الخليفة الناصر إلى أحد قادته العسكريين ينتقصه ويغض من قدره إذ يقول فيه: "... وأنت يومئذ نخّاس الحمير بإشْبِيلِيَة"[2].

وكان يشترط خلال عملية بيع وشراء الرقيق، وجود عدد من الأطباء لإجراء الفحص اللازم على الرقيق والتحقق من مدى سلامتهم وقابليتهم للخدمة، كما يشترط أيضاً أن تكتب عهدة أو وثيقة تثبت سلامة البيع والشراء وتؤكد على صحة ملكية المشتري للغلام أو الجارية[3].

أما أسواق الحطب والأخشاب المجلوبة من الغابات فكانت تباع خارج أسوار المدن، وفي الغالب أما أبواب المدن[4]، حيث لا يسمح للحطابين أن يمشوا في أسواق المدن والطرق الضيقة وهم يحملون حطبهم[5].

وقد اهتم الناصر بتنظيم وترتيب الأسواق والإشراف عليها وتيسير أمورها وأمور التجار، ففي سنة 343هـ/954م أنشأ الخليفة الناصر داراً لصناعة السفن في مدينة المرية، وجعلها قسمين، قسماً للمراكب الحربية، وقسماً للمراكب التجارية، وفي هذا الأخير نظّم حوانيت الصّنّاع على أساس التخصص، فقد رتّب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها، وفي سنة 344هـ/955م أنشأ قيسارية في الجانب الغربي من مدينة

---

(1) انظر: ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، ج2، ص48.

(2) مجهول، **أخبار مجموعة**، ص138.

(3) ابن فرحون، **تبصرة الحكام**، ج2، ص72-73.

(4) بوتشيش، إبراهيم القادري، **أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة**، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشؤون والثقافة، الرباط، ع32، السنة الثانية عشرة، 1985م، ص233. (يشار إليه فيما بعد: بوتشيش، أزمة التجارة).

(5) ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص23.

قُرْطُبَة، اتخذت سوقاً تجارياً لخزن وبيع السلع والمتاجر، ويشير إلى ذلك العذري بقوله: "قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم"(1).

ب. الأسواق الجامعة (الإسبوعية والموسمية والدائمة)

أقامت بعض المدن الأندلسية الأسواق الجامعة، التي يباع بها مختلف أنواع البضائع والسلع(2)، ومنها الإسبوعية التي تقام في يوم محدد من أيام الأسبوع، حيث يعرض فيها التجار بضائعهم من كل نوع ولون، ومنها سوق الثلاثاء في مدينة شُوذَر (3)، وسوق الخميس في مدينة قبرة (4)، وقَرْمُونة(5)، كذلك وجدت أسواق أسبوعية أخرى في مدينة جَيَّان(6)، وغيرها، وكان التجار ينتقلون في المنطقة الواحدة من سوق إلى آخر مروجين لبضائعهم مما أنعش حركة التجارة الداخلية.

أما الأسواق الموسمية فهي تلك التي تقام دورياً وعلى فترات متباعدة ويقصدها التجار من مختلف المناطق القريبة والبعيدة، وتكون أكثر شهرة وشمولية لذلك سميت بالأسواق المشهودة، ومنها سوق حصن بكيران(7)، وسوق اشر(8)، وسوق القبذاق(9).

وهناك أسواق جامعة كانت تقام في المدن الأندلسية على مدار السنة، يتجمع فيها التجار من كل تخصص، والبضائع والصنائع من كل صنف، ونجد مثل هذه الأسواق

(1) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص86.

(2) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص117.

(3) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص351.

(4) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص453.

(5) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص461.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص71.

(7) بكيران: حصن بالأندلس، يقع جنوبي مدينة شاطبة، وعلى بعد أربعون ميلاً من مدينة دانِيَة. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص275.

(8) اشر: حصن من أعمال مالَقَة، يقع على مسافة عشرين ميلاً من أرشَذُونة. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص571.

(9) القبذاق: حصن من أعمال جَيَّان، بينه وبين جَيَّان ثلاثون ميلاً. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص571.

في الكثير من المدن الأندلسية، كمدينة طُرْطوشَة[1]، وبَسْطة[2]، والجزيرة الخضراء[3]، ولبلة[4]، وترجالة[5]، وطلَّبيرة[6]، ومالَقَة التي كانت ذات "أسواق جامعة كثيرة في الربض والمدينة"[7]. وكانت إشْبِيليَة "مدينة ذات أسواق كثيرة وبيع وشراء"[8]، وكان بأسواقها من السلع ما لا يتوفر بغيرها من مدن الأندلس، حتى أن العامة تقول: " لو طلب لبن الطير في إشْبِيليَة وجد"[9].

واشتهرت الأندلس بكثرة حوانيتها المنتشرة بين المدن لتزويد المسافرين بما يحتاجون إليه من طعام ولوازم سفر، فقد كانت حوانيت بيع الخبز والسمك وجميع انواع الفواكه منتشرة على طول الطرق بين المدن[10]، بحيث لا يمشي المسافر ثلاثة فراسخ إلا وجد حانوتاً[11].

2.2.3 القيساريات:

بالإضافة إلى الأسواق التجارية، فقد وجدت القيساريات التي تقع بجوار المسجد الجامع بالإضافة إلى بعض الأسواق السابقة، القيسارية عبارة عن مجموعة من المباني العامة تكون على شكل أروقة حولها حوانيت ومصانع ومستودعات، كذلك حجرات

---

(1) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص124.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص571؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص113.

(3) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص262.

(4) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص264-265.

(5) ترجالة: مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة مارِدَة في شرق الأندلس. انظر: الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص262.

(6) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص273-274.

(7) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص178.

(8) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص541.

(9) الشقندي، **فضائل الاندلس**، ص50.

(10) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص294؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص185-186.

(11) الزهري، **الجغرافية**، ص80؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص226.

معيشة[1]. وتختلف القيسارية عن السوق باتساعها الشائع وكثرة ما بها من الدهاليز المسقفة التي تتوزع فيها الحوانيت على كلا الصفين، وكانت تضم الواحدة منها أكثر من مائتي حانوت على الجانبين، كما كان يعلوها مساكن يقيم فيها التجار والصناع بأجر[2]، كما وكانت القيسارية مكاناً لخزن وبيع السلع والمتاجر، وعلى الأخص السلع والمنتجات الثمينة كالأقمشة والمنسوجات الحريرية، وأدوات الزينة ومواد الترف الغالية[3].

هذا ولم يكن مصطلح قيسارية شائع الإستخدام خلال عصر الإمارة (138-16هـ/ 756- 928م)، إذ أطلق في هذا العصر على تلك الأسواق التي عرفت في عصر الخلافة بالقيسارية اسم "السوق العظمى"[4].

فمدينة المَرِيَّة على الرغم من شهرتها التجارية الواسعة باعتبارها أحد أهم وأول الموانئ الأندلسية على شاطئ البحر المتوسط[5] لم يقم بها قيسارية، إلا في عام 344هـ/955م، إذ نظمت فيها حوانيت التجّار والمصانع كلاً حسب تخصصه[6].

ثم انتشرت القيساريات في المدن الأندلسية الكبيرة كإشْبِيليَة وطُلَيْطُلَة ومالَقَة وغَرْناطة[7]، وكانت الدولة هي التي تقوم ببناء تلك القيساريات وتؤجرها على أرباب المهن والصنائع والتجار مقابل كراء متفق علية[1].

---

(1) **دائرة المعارف الأسلامية**، شريك.م، مادة القيسارية، 33ج، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م، ج27، ص8460. (يشار إليه فيما بعد: دائرة المعارف الإسلامية).

(2) **دائرة المعارف الإسلامية**، ج27، ص4860؛ مسعد، سامية مصطفى، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، ص156. (يشار إليه فيما بعد: مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس).

(3) القاسمي، خالد محمد، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، دار الثقافة العربية، ط1، الشارقة، ص74. (يشار إليه فيما بعد: القاسمي، تاريخ الحضارة العربية).

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383.

(5) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص144.

(6) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص86.

(7) القاسمي، **تاريخ الحضارة العربية**، ص75.

3.2.3 الفنادق:

انتشرت الفنادق في مختلف المدن الأندلسية في العصر الأموي وكانت من حيث المبدأ تشبه الخانات المنتشرة في بلاد الشام ومصر وغيرها، وقد ارتبط وجودها في الأندلس بسفر الغرباء والتجار، وذلك لأن التاجر المسافر عندما يذهب إلى مكان لا يعرفه، عليه أن يحضر لمكان آمن للبقاء ولأشياء أخرى، خوفاً من أن يؤخذ من قبل المحتالين(2).

وكانت الفنادق في الأندلس متواضعة المساحة، بحيث يتألف الفندق من طابقين وإذا كان له أهمية كبيرة فإنه يشتمل على طابق آخر(3)، ومخطط الطابق بسيط، فهو مؤلف من غرف صغيرة حول الفناء الداخلي الرئيس، ويخصص الطابق العلوي لمبيت الضيوف والنزلاء، في حين تبيت الحيوانات والبضائع في الطابق الأرضي بأمان(4)، ولتوفير الأمن لنزلاء الفندق وجدت الجدران الخارجية للفندق خالية من أي منفذ، وذلك لتجنب السرقات(5)، وباب الفندق كان يعين عليه خادم خاص يشترط فيه أن يكون وقوراً أميناً ومتقدماً في السن، ولم يكن من المرغوب فيه أن يشغل الشباب أو النساء

---

(1) مسعد، **العلاقات بين المغرب والأندلس**، ص156.

(2) الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت 570هـ/1147م)، **الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض ورديها وغشوش المدلسين فيها**، منشور ضمن كتاب دراسة في الفكر الاقتصادي العربي للسيد محمد عاشور، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط1،د.ت، ص52 . (يشار إليه فيما بعد: الدمشقي، الإشارة).

(3) بلباس، ليوبولدو توريس، **الأبنية الإسبانية الإسلامية**، ترجمة، علي إبراهيم العناني، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، د.ط، 1953م، ج3، ص118. (يشار إليه فيما بعد: بلباس، الأبنية الإسبانية).

(4) كونستيل، **التجارة**، ص189.

(5) القاسمي، **تاريخ الحضارة العربية**، ص74.

هذه الوظيفة(1)، وكانت بوابات الفنادق تغلق بواسطة أقفال رومية الصنع(2)، كما ويوجد موظف يشرف على الفندق ويدير أعماله يسمى الفندقي(3).

واحتوى الفندق في ساحته الرئيسة (البهو) على حوض أو فوَّارة ماء لسقاية الدواب، في حين لم يحتوي على مطعم بل كان النزلاء يشترون ما يحتاجون إليه من طعام من الخارج(4).

وتسمَّت الفنادق بأسماء ما يُباع فيها من سلع وبضائع، كالحبوب والكتان والخضروات، وتسمَّت أحياناً باسم صاحب الفندق مثل فندق زايدة بغَرْناطة(5).

وتكثر الفنادق بصفة خاصة حول المسجد الجامع، وذلك في مراكز المدن، كوادي الحجارة وإستجة(6) والجزيرة الخضراء(7)، وطُرْطوشَة(8) وقَرْمُونة(9). وكانت مدينة المَريَّة تزدحم بالفنادق، إذ بلغ عدد فنادقها بالتعيين تسعمئة وسبعين فندقاً(10)، وربما يكون هذا العدد الكبير من فنادق المَريَّة موجود في فترة لاحقة لخلافة الناصر، لكنه يساعد بقدر كبير على تأكيد الصفة التجارية للمرية، ولأعداد الفنادق بها خلال فترة الدراسة.

ولعل هذا العدد الكبير من الفنادق يشير إلى نشاط حركة التجارة وحرص الدولة على توفير كل سبل الراحة والأمن للتجار وعلى الأخص التجار الغرباء.

---

(1) بلباس، **الأبنية الإسبانية**، ص119.

(2) متز، آدم، **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الاسلام**، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، د.ط، بيروت 1967م، ج2، ص387. (يشار إليه فيما بعد: متز، الحضارة الاسلامية).

(3) مسعد، **العلاقات بين المغرب والأندلس**، ص155.

(4) القاسمي، **تاريخ الحضارة العربية**، ص74.

(5) القاسمي، **تاريخ الحضارة العربية**، ص73.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص567.

(7) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص262.

(8) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص124.

(9) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص159.

(10) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص567/ **القارة الأفريقية**، ص290.

4.2.3 الطرق الداخلية:

1. الطرق البرية

تكونت في بلاد الأندلس شبكة طرق برية واسعة على طول البلاد وعرضها، ويعود إنشاء معظم هذه الطرق إلى العصر الروماني، وبعضها الآخر خلال الفترة الإسلامية في الأندلس، وامتازت هذه الطرق بتعدد المراحل والمحطات التي يستطيع التجار والمسافرون أن يتوقفوا بها للراحة أو قضاء الليل أو للتبادل التجاري، فكان التاجر المسافر ينزل في كل ليلة في مدينة أو قرية آهلة فيها أسواق وفنادق وحمامات[1]، فقد ذكر ابن الشبّاط: "ربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى"[2]، وهذا ما جنّب التجار عناء السفر وأشعرهم بالطمأنينة على أموالهم، إذ إن تقارب المدن والقرى يتيح لهم الفرصة للتزود بما يحتاجون إليه من لوازم سفر ويوفر لهم أسواق أكثر.

وقد أشار المؤرخون والجغرافيون إلى عدة طرق تجارية هامة في بلاد الأندلس، أهمها تلك التي تربط قُرْطُبَة حاضرة الأندلس بالمدن والمراكز التجارية الأخرى، وهي تقابل على وجه التقريب الطرق الرومانية القديمة. ومن هذه الطرق:

أولاً: الطريق من قُرْطُبَة إلى إشْبِيلِيَة، وينقسم إلى طريقين:

1. طريق الزنبجيار: وهو على ثلاثة مراحل[3]، الأولى قرطبة والثانية قَرْمُونة والثالثة إشْبِيلِيَة[4].
2. طريق لورة: يبدأ من قُرْطُبَة إلى السواني ثم إلى حصن المدور ومنه إلى فحص الخنادق (فحص مراد) وبه المنزل، ومنه إلى قرية شوبيل ثم إلى القنطرة (فحص

---

(1) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص111.

(2) ابن الشبّاط، **صلة السمط**، ص2.

(3) المرحلة تساوي 30 ميلاً. انظر: مؤنس، حسين، **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة 1986م، ص266. (يشار إليه فيما بعد: مؤنس، تاريخ الجغرافيا).

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص573.

ملبال) ثم إلى حصن القليعة وبه المنزل، ومنه إلى مرلش، ومن ثم إلى إشْبِيليَة[1]. والمسافة ما بين قُرْطُبَة وإشْبِيلِيَة ثلاث مراحل، وهي تساوي تسعين ميلاً، ويجتازها المسافر بأربعة أيام[2].

ثانياً: الطريق من قُرْطُبَة إلى طُلَيْطُلَة، حيث يبدأ من قُرْطُبَة ويمر بمدينة كركوية، فقلعة رباح ثم إلى مدينة ملقون، ومنها إلى قرية أنبش، وصولاً إلى طُلَيْطُلَة[3].

ثالثاً: الطريق من قُرْطُبَة إلى المَريَّة، حيث يبدأ من قُرْطُبَة ويمر بوادي أش ثم بجّانة، حتى يصل إلى المَريَّة[4].

رابعاً: الطريق من قُرْطُبَة إلى سَرَقُسْطَة، حيث يمر بقلعة رباح وأقليش وشنتبرية وقونكة ثم إلى سَرَقُسْطَة[5]، ومسافة هذا الطريق عشرة أيام[6].

خامساً: الطريق من قُرْطُبَة إلى بَطْلِيوس، ويمر هذا الطريق إبتداءً من قُرْطُبَة بدار البقر ثم حصن بيندر (فحص زواعة)، ثم يمر بفحص الحنش ومنه إلى مدينة مارِدَة، ثم إلى بَطْلِيوس[7]، ومن قُرْطُبَة إلى بَطْلِيوس ست مراحل وهي تعادل ما يقارب مئة وخمسين ميلاً[8].

سادساً: الطريق من قُرْطُبَة إلى مرسيَّة، والذي يمر بإلبِيرَة وغَرْناطة[9]، وقد يخرج من قُرْطُبَة إلى جَيَّان فمرسيَّة[1]، ويستمر بعد ذلك بالمسير شمالاً فيمر بأوريولة وبَلَنْسية

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص573-574.

(2) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص46؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص393.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص111.

(4) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص89.

(5) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص21.

(6) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص46.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص573.

(8) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص111.

(9) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص46.

حتـى يصـل طُرْطوشَـة، ثـم يتفـرع إلـى طـريقين أحـدهما إلـى لاردة، والأخـر إلـى سَرَقُسْطَة[2].

سابعاً: الطريق من قُرْطُبَة إلى مالَقَة، ويمتاز بأن المسافر يسير على طول الطريق بين غابات البلوط الضخمة وأشجار الكستناء الباسقة[3].

وهناك طرق أخرى تعد استمراراً للطرق الرئيسية السالفة الذكر، فطريق إشْبِيلِيَة يمضي جنوباً من إشْبِيلِيَة حتى يصل إلى الجزيرة الخضراء، فيمر بعد خروجه من إشْبِيلِيَة بقرية عسلوكة ومدينة ابن السليم وقرية فيسانة، ثم يعبر نهر برباط إلى الرتبة، ومنها إلى الجزيرة الخضراء[4].

ويذكر الإصطخري عدة طرق فرعية هامة تتفرع من قُرْطُبَة في اتجاهات مختلفة منها طريق يمتد من قُرْطُبَة إلى مكناسة، ومسافته أربعة أيام، وطريق من قُرْطُبَة إلى قورية ومسافته ثلاثة عشر يوماً، وطريق من قُرْطُبَة إلى قَرْمُونة[5].

إلى جانب ذلك وجدت طرق برية ربطت المراكز التجارية الهامة بعضها ببعض دون المرور بقُرْطُبَة حاضرة الأندلس، أهمها الطريق من المَريَّة إلى مالَقَة، وقد سلك المسافرون والتجار طريق البر الذي يمر بقرية البجانس ثم برجة ودلاية فقرية غذرة على البحر، ومنها إلى قرية بليسانة ثم إلى مرسى الفروح فقرية بطرنة، ومنها إلى مدينة شَلُوبِنية فمدينة المُنَكَّب ثم إلى قرية شاط وطُرّش وبلش، حتى ينتهي أخيراً بمدينة مالَقَة[6].

---

(1) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص7؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت284هـ/897م)، **البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت 1988، ص111. (يشار إليه فيما بعد: اليعقوبي، البلدان).

(2) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص17.

(3) دوزي، رينهارت، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة 1998م، ص131. (يشار إليه فيما بعد: دوزي، المسلمون في الأندلس).

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص540–541.

(5) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص46–47.

(6) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص563–565.

أما الطريق الثاني فيخرج من مرسيَّة إلى المَريَّة ماراً بقنطرة أشكابة وحصن لبراله وحصن الحمه ومدينة لورقة وأبار الرتبة وحصن بيرة وعقبة الشقر والرابطة[1].

2. الطرق النهرية

امتازت الأندلس بكثرة أنهارها المنتشرة بشتى أنحاء البلاد، والتي تربط بين شرق الأندلس وغربها، وشمالها وجنوبها، لذا فقد اهتم الأندلسيون إلى جانب اهتمامهم بالطرق البرية بالملاحة البحرية نظراً لوقوع معظم المدن الأندلسية الهامة على الأنهار مثل قُرْطُبَة وإِشْبِيلِيَة ومارِدَة وبَطْلِيوس وجَيَّان وإستجة وسَرَقُسْطَة وبَلَنْسية وغَرْناطة وأشبونة وطُرْطوشَة، وغيرها.

تقع الجهة الغربية من الأندلس على إمتداد سواحل المحيط الأطلسي، حيث مصب بعض الأنهار الأندلسية، ومن أهم هذه الأنهار، نهر الوادي الكبير[2] الذي يحمل الحجم الأكبر من السلع والبضائع المرسلة من إِشْبِيلِيَة باتجاه قُرْطُبَة وغيرها من المراكز الداخلية، أو من هذه المراكز باتجاه إِشْبِيلِيَة والمحيط الأطلسي، فقد لاحظ ابن حيان منذ عصر الإمارة كثرة عدد المراكب والسفن الهابطة والصاعدة عبر هذا النهر ما بين قُرْطُبَة وإِشْبِيلِيَة فوصفها بقوله: "والسفن تجري فيه صاعدة ونازلة"[3]، ويضيف الإدريسي أن من أراد المسير من إِشْبِيلِيَة إلى قُرْطُبَة "ركب المراكب وسار صاعداً في النهر"[4]، ويمتاز هذا النهر بأنه الوحيد في بلاد الأندلس الذي يصلح مجراه الأدنى للملاحة في الاثنين والسبعين ميلاً الأخيرة منه طوال العام[5]، مما جعل السفن تسير فيه على مدار السنة صاعدة مع المد، منحدرة مع الجزر، وخاصة السفن الكبار القادمة من بلاد المغرب وبلاد الفرنجة عبر المحيط الأطلسي، فتسير به حتى تحط

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص561-562.

(2) انظر: الفصل الثاني، الأنهار.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ص159.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص574.

(5) ابن سعيد، **بسط الأرض**، ص100.

عند سور إشْبِيليَة[1]، ثم يتم شحن حمولة هذه السفن بواسطة القوارب والمراكب الصغيرة إلى قُرْطُبَة وغيرها.

وتقع الجهة الشرقية من الأندلس على إمتداد سواحل البحر الأبيض المتوسط، وهذا ساعد على إقامة المراسئ على المدن الساحلية كمرسى قلييرة جنوب بَلَنْسية[2]، وبالتالي تشجيع التجارة البحرية، وقد ذكر الإدريسي أن السفن الكبار والمراكب الصغار تنقل البائع وذلك من خلال البحر المتوسط ما بين مدينة دانِيَة ومدينة بَلَنْسية الساحليتين[3].

كما وتميزت بعض المدن الأندلسية بنشاطها التجاري، فنظراً للإنتاج الزراعي الفائض كانت المراكب تنقل شجر الصنوبر من مناطق زراعته كطُرْطوشَة[4]وحصن قلصة[5]إلى مختلف المدن الأندلسية كمدينتي دانِيَة وبَلَنْسية[6]، حيث تُستخدم أشجار الصنوبر في الأبنية والديار.

ومن الأنهار التي استخدمت في النقل التجاري، نهر تاجه[7]، الذي ينقل منتجات وادي الحجارة وطُلَيْطُلَة من الزعفران والفواكه إلى المناطق الساحلية[8]. كذلك نهر وادي آنة[9]، حيث كانت المراكب دائبة الحركة به ما بين سَرَقُسْطَة وطُرْطوشَة حاملة منتجات كل بلد إلى البلد الآخر[10].

---

(1) ابن الشبّاط، **صلة السمط**، ص13؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص235.

(2) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص286.

(3) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص286-287.

(4) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص268.

(5) قلصة: حصن بالأندلس، من أعمال شنتبرية، يبعد عن شنت مارية ثلاث مراحل، وتتصل به جبال كثيرة. انظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص560.

(6)الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص286.

(7) انظر: الفصل الثاني، الأنهار.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص394.

(9) انظر: الفصل الثاني، الأنهار.

(10) الزهري، **الجغرافية**، ص82-83.

ولتسهيل عمليات النقل والتبادل التجاري عبر هذه الأنهار وجد هناك مراس خاصة ببعض المدن، اتخذ بها المنزل، فمدينة شلب كان لها مرسى على نهر وادي يانه[1]، ومدينة بَلَنْسية كانت تقع على نهر شقر، وقد كانت تنتفع به كثيراً، لذا أنشئ بها مرسى للسفن التي تدخل نهرها[2]، ويذكر الإدريسي أن مدينة مرسيَّة تقع على ضفة النهر الأبيض (نهر شَقُّورَة) وأن مرساها كان دوماً مليء بالمراكب[3]، كذلك اشتهرت مدينة إشْبِيليَة بمرساها الكبير على نهر الوادي الكبير الذي كانت تحط به المراكب المثقلة[4].

وكانت تقام على هذه الأنهار الجسور والقناطر لربط ضفتي النهر وتسهيل حركة انتقال الناس، فعلى نهر تاجه ما بين أشبونة وطلَّبيرة كانت تقع قنطرة عظيمة تعرف بقنطرة السيف وهي عالية البناء يدخل النهر كله تحت قوس من أقواسها، إرتفاع القوس سبعون ذراعاً[5] وعرضه سبعة وثلاثون ذراعاً[6]، كذلك وجدت قنطرة في مدينة سَرَقُسْطَة على نهر أبرة[7]، وفي مدينة بَلَنْسية على نهر شقر قناطر وجسور تربط وتسهل حركة المرور بين ضفتي النهر[8].

5.2.3 بضائع الأندلس

اتسمت التجارة الداخلية في الأندلس بالنشاط المستمر، والحركة الدائمة لاستعراض السلع والبضائع المعروضة في الأسواق الأندلسية، والتي تميزت خلال هذه الفترة

---

(1) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص342.

(2) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص97.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص559.

(4) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص195.

(5) الذراع الأندلسي يساوي 54.04سم. انظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص88.

(6) الزهري، **الجغرافية**، ص85.

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص317.

(8) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص18؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص162.

بتنوعها وتعدد مصادرها، ومن هذه البضائع المواد الغذائية وبخاصة زيت الزيتون الذي يُعدُّ أعظم الحاصلات إنتاجاً في الأندلس [1]، والتين الذي لا يكاد يخلو منه سوق[2]، والفواكه والخضروات الطازجة والمجففة، والقمح الذي شكّل جوهر التجارة الداخلية[3]، والشعير وسائر البقول. وكان الزيت يُباع في الأسواق أخضر عذب صافياً[4]، أما الفواكه والخضروات وهي منتجات الريف فقد كانت حوانيتها ومتاجرها ممتدة في الكثير من دروب وشوارع المدن، وحتى على الطرقات التي تربط المدن بعضها ببعض[5]، والقمح كان يُباع في الأسواق من قبل الجلاب الذي كان يأتي بالغلال من الأرياف إلى المدن، ومن قبل الدلال (السمسار) الذي كان يبيع القمح مقابل حصة معينة من الربح[6]، كما ووجدت مواد غذائية أخرى كاللحم والسمن والعسل والبيض والجبن واللبن والسمك[7].

وإلى جانب المواد الغذائية كانت التوابل وتشمل العقاقير والعطريات والأصبغة، بمختلف أنواعها ومصادرها المجلوبة والمحلية تُباع وتُشترى في أسواق الأندلس، ووجد لها أسواق خاصة عرفت باسمها كسوق العطّارين في قُرْطُبَة[8].

كما ولاقت الصناعات النسيجية من أقمشة وألبسة وسجاد وحصر رواجاً كبيراً في الأسواق الأندلسية للحاجة اليومية لها، وكانت أسواقها تنتشر في مراكز المدن وبالقرب

---

(1) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص264.

(2) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص145.

(3) بوتشيش، **أزمة التجارة**، ص233.

(4) ابن العطار، محمد بن احمد (ت 399هـ/1008م)، **الوثائق والسجلات**، اعتنى بتحقيقه ونشره: ب.شالميتا وف.كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، د.ط، مدريد د.ت، ص47. (يشار إليه فيما بعد: ابن العطار، الوثائق والسجلات).

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص226.

(6) بوتشيش، **أزمة التجارة**، ص233.

(7) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص184.

(8) ابن حيان، **المقتبس**، ح5، ص383.

من المسجد الجامع كسوق الكتّان[1]، وسوق الصوافين والحرارين بقُرْطُبَة[2]، ونظراً لوفرة هذه الصناعات وخاصة الثياب في أسواق الأندلس، كانت أسعارها رخيصة بحيث لا يتجاوز ثمن الفراء الجديد المحكَّم الصناعة عشرة دراهم[3].

وكانت أسواق الدواب من بغال وخيول وأبقار وغيرها من المواشي منتشرة في معظم المدن، كقُرْطُبَة[4]، وإشْبِيلِيَة[5]. وكانت تُباع بها البغال المجلوبة من جزيرة ميورقة[6]، وكان حاصل البيع من الخيول في أعم السنين ثمانية آلاف فرس[7]، أما الأغنام فقد قدر ما يدخل قُرْطُبَة لوحدها من جلائب الغنم في كل يوم ما بين سبعين ألف رأس إلى مئة ألف رأس[8].

ومن بضائع الأندلس، الحطب الذي يباع أمام أبواب المدينة أو خارج أسوارها، فقد كان يدخل على قُرْطُبَة من أحمال الحطب في اليوم الواحد "أكثر من ستة آلاف حمل"[9].

غير أن أهم بضاعة عُرفت في الأسواق الأندلسية تمثلت في تجارة الرقيق، إذ وفّرت الحروب الداخلية والحروب بين الكيانات الثغرية[10]والممالك الإسبانية في الشمال مورداً هاماً لهذه التجارة حيث كان الرقيق يُباع بكثرة في أسواق النخاسة[1].

(1) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص424.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ح5، ص383.

(3) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص641.

(4) سالم، **قُرْطُبَة**، ج1، ص182.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص162.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص110.

(7) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص102.

(8) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص296.

(9) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص104.

(10) الكيانات الثغرية: استخدم الأندلسيون مصطلح الثغور للدلالة على حدودهم المجاورة لإسبانيا النصرانية، فكانت في الأندلس ثلاثة ثغور:

1. الثغر الاعلى: وعاصمته سَرَقُسْطَة، ويشمل لاردة وتطيلة ووشقة وطُرْطوشَة وغيرها.

وكـان للرقيـق الجـواري سـوق نافقـة بالأنـدلس، لأنهـا كانـت مربحـة وتـدر علـى أصحابها أموالاً طائلة، ولإقبال المجتمع الأندلسي بمختلف فئاته على شراء الجواري إما للذة أو لخدمـة، وقد تباينـت أسـعار الجـواري فالمتعلمـات والجمـيلات وصـغيرات السن أغلى ثمناً من الأميات وغير الجميلات[2]، لذلك حرص تجار الجواري من أجل زيادة أسعارهن على تعليمهن وتطوير مواهبهن فكان منهن المغنيات والعازفات على آلات الموسيقى وراويات الأخبار والأشعار والمعلمات[3].

وكـان لكل البضـائع التـي تبـاع بالأسواق شروط ومواصفات لا يجوز تجاوزها أو التلاعب بها، فمثلاً لا يجوز لبائع الفواكه أن يبيع التين أو التفاح أو العنب قبل أن ينضـج[4]، أو لبـائع العطـر أن يمـزج صـنفاً جيداً بـأخر رديء، أو الصـنف المسـتورد بـالمحلي[5]، ولـم يكـن يسـمح للحنـاطين أن يبيعـوا القمـح والشـعير والفول والعـدس حتـى يغربلوها[6].

كما ونشطت المبادلات التجارية بين المدن الأندلسية بسبب تنوع الإنتاج وتباينـه، فإذا نقص علـى مدينـة مـا سلعة لا تنتجها فإنها تجلبها من غيرها، فمن مدينـة شاطبة

---

2. الثغر الأوسط: وعاصمته مدينـة سالم، ثم استبدلت بطُلَيْطُلَـة، وكـان هذا الثغر يواجـه مملكتـي ليون وقشتالة.

3. الثغر الادنى: ويشمل المنطقة الواقعة بين نهري دويرة وتاجة. ومن مدنه بَطْلِيوس قاعدة الثغر، وقورية وقُلُمْرِيَة وشنترين ومارِدَة. انظر: البكري، **جغرافيـة الأنـدلس**، ص95؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص161.

(1) بوتشيش، **أزمة التجارة**، ص234.

(2) أبـو صـالح، وائـل، **الجـواري فـي الأنـدلس**، منشـورات دار القلـم، د.ط، رام الله د.ت، ص16. (يشار إليه فيما بعد: أبو صالح، الجواري في الأندلس).

(3) ابن حزم، **طوق الحمامة**، ص68.

(4) الكناني، ص51.

(5) ابن عبدالرؤوف، **رسالة في آداب الحسبة**، ص86.

(6) عبدالعزيز، سحر، **شـاطبة الحصن الأمـامي لشرق الأنـدلس فـي العصر الإسـلامي**، مؤسسـة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية 1995م، ص346. (يشار إليه فيما بعد: عبدالعزيز، شاطبة).

كان يُحمل الرق المستخدم في الكتابة في عهد الناصر إلى سائر مدن الأندلس، لازدهار هذه الصناعة في شاطبة دون غيرها من مدن الأندلس(1)، ومن مدينة إشْبِيليَة كان يحمل الزيت والقطن إلى جميع بلاد الأندلس(2)، ومن جَيَّان كانت تحمل الثياب إلى مدينة قُرْطُبَة(3)، ومن حصن قلصة كان يحمل خشب الصنوبر إلى دانِيَة وبَلَنْسية حيث يستخدم في صناعة السفن، وفي بَلَنْسية يستخدم في أعمال البناء(4)، وخشب الزان لا يوجد في الأندلس إلا بجبال الشرف في إشْبِيليَة ومنه يحمل إلى جميع بلاد الأندلس(5).

واشتهرت الجزيرة الخضراء بتصدير جلود النسر والمتاجرة بها وفي ذلك يقول العذري: "ومن عندهم يجلب جلد النسر العجيب إلى أكثر بلاد الأندلس"(6)، ومن مالَقَة وإشْبِيليَة حمل التجار الأرز وقصب السكر الذي يجود بهما على غيرهما إلى سائر مدن الأندلس(7).

(1) Brown. **Magnificent Muslims** (The Story of Spains Arab Centuries) New World Press, New York, 1981, P, 66.

(2) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص195.

(3) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/1182م)، **الصلة**، نشره وترجمه وعلق عليه: خوسي ماريه مياس ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، د.ط، تطوان 1955م، ج2، ص475. (يشار إليه فيما بعد: ابن بشكوال، الصلة).

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص560؛ **القارة الأفريقية**، ص287.

(5) الإشبيلي، **عمدة الطبيب**ق1، 351.

(6) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص128.

(7) لويس، ارشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة، د.ت، ص259. (يشار إليه فيما بعد: لويس، القوى البحرية).

6.2.3 الرقابة على الأسواق:

كان يُطلق على الموظّف الذي يتولى مهمة الإشراف على الأسواق في المشرق اسم "العامل على السوق"، ثم أصبح يعرف بالمحتسب، وذلك إبتداءً من عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (158.137هـ/775.755م)(1).

أما في الأندلس فقد عُرفت خطة الحسبة باسم ولاية السوق أو أحكام السوق(2)، وكان من يتولى أمر الرقابة على السوق يدعى صاحب السوق(3)وذلك لأن أكثر نشاطه ينحصر في السوق، أما لفظ الحسبة الذي كان شائع الاستخدام في المشرق فلم ينتقل إلى الأندلس إلا في فترة متأخرة للخلافة الأموية(4). وترجع نشأة خطة ولاية السوق (خطة الحسبة) في الأندلس إلى عصر الأمير هشام بن عبدالرحمن(172-180هـ/788-796م) الذي عيّن على رأس هذه الولاية فطيش بن سليمان(5).

وكانت ولاية السوق تجمع في بادئ الأمر مع ولاية الشرطة بيد شخص واحد، واستمر الأمر كذلك حتى ميز بينهما الأمير عبدالرحمن الأوسط (206-238هـ/821-852م) فأعطى لوالي السوق ثلاثين ديناراً في الشهر ولوالي الشرطة مئة دينار (6)، ويبدو أن هذا الفصل بين الوظيفتين لم يستمر طويلاً، حيث أعاد الأمير محمد بن عبدالرحمن (238-273هـ/852-886م) الجمع بين الوظيفتين(7).

ومع بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أصبحت ولايتي الشرطة والسوق تجمعان أحياناً، وتنفصلان أحياناً أخرى، فقد عزل الناصر موسى بن محمد بن حدير

---

(1) الزغول، **الحرف والصناعات**، ص283.

(2) ابن الآبار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص199؛ ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص80.

(3) القاضي، عياض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص137.

(4) ابن بشكوال، **الصلة**، ج3، ص464.

(5) لقبال، موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب**، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 1977م، ص34. (يشار إليه فيما بعد: لقبال، الحسبة المذهبية).

(6) ابن حيان، **المقتبس**، ص285.

(7) ابن الفرضي، **تاريخ**، ج1، ص16.

عن الشرطة وعيّن مكانه محمد بن عبدالله الخروبي سنة 302هـ/914م، وولى السوق أحمد بن حبيب بن بهلول(1).

وكانت خطة ولاية السوق في الأندلس، وحتى نهاية دولة بني أمية تدخل ضمن اختصاصات القاضي، الذي يقلّد السوق وظيفته، وهو الذي يعزل بعد أخذ موافقة الخليفة، حيث يذكر ابن عبدون أنه يجب على القاضي "أن لا يقدم محتسباً إلا أن يعلم الرئيس بذلك لتكون للقاضي حجة عليه إن أراد أن يعزله أو يبقيه"(2)، وهذا يشير إلى مدى أهمية هذه الوظيفة وعلو منزلتها في الأندلس، حتى عُدّت من أعظم الخطط الدينية، فكانت ولاية السوق بمثابة القاضي لأن صاحبه يُختار من خيار الناس، وقد ينوب عن القاضي في مباشرة الأحكام، ومما يدل على ذلك الارتباط الوثيق بين الحسبة والقضاء، قول ابن عبدون: "والاحتساب أخو القضاء، فلذلك يجب أن لا يكون إلا من أمثال الناس، وهو لسان القاضي وحاجبه ووزيره وخليفته وإن اعتذر فهو يحكم مكانه"(3).

وتوفرت في والي السوق عدة صفات منها، أن يكون مسلماً بالغاً، ذكراً(4)، فقيهاً في الدين، نزيه النفس، عادلاً، عالي الهمة، عارفاً بجزيئات الأمور، لا يستفزه طمع ولا تلحقه هواده، ولا تأخذه في الله لومة لائم(5). ويجب أن تكون لديه هيبة تمنع من الإدلال عليه، ومعرفة بأصناف الصناعات والمعائش وحيل الباعة، إذ بذلك يتوصل

---

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص103.

(2) ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص20.

(3) ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص20.

(4) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/1111م)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، د.ط، بيروت د.ت، ص312. (يشار إليه فيما بعد: الغزالي، إحياء علوم الدين).

(5) الجرسيفي، عمر بن عثمان (ت النصف الأول من القرن 6هـ/12م)، **رسالة في الحسبة**، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د.ط، القاهرة 1955م، ص120. (يشار إليه فيما بعد: الجرسيفي، رسالة في الحسبة).

إلى معرفة الغِش والتدليس[1]، كما وعليه أن يكون عفيفاً عن أموال الناس متورعاً عن قبول الهدية من المتعيشين وأرباب الصناعات فإن ذلك رشوة، وأن يقصد بقوله وجه الله تعالى وطلب مرضاته خالص النيّة من غير رياء ولا مراء[2].

يُعتبر والي السوق المنظم الحقيقي للعمليات التجارية في الأسواق، فكان عليه أن يتفقد الأسواق وأن ينظر في جميع الأمور التي يقوم بها التجار، فيراقب العملة المتداولة في البلدة فإن رأى فيها زيفاً كأن تكون مخلوطة بالنحاس، فعليه أن يقبض على المزيفين ويعاقبهم بكل قسوة، كذلك عليه أن يراقب وحدات الكيل والوزن، ويتأكد من سلامتها ودقتها[3]، ومن وجود ثلاثة مكاييل في كل حانوت، منها مكيال، ونصف مكيال، وثمن مكيال، لأن الحاجة تدعو إلى ذلك[4]، ويأمر باعة الخبز أن يتخذوا موازين على رؤوسهم ليختبروا بها الخبز بالوزن إذا وصلهم، فإن وجدوه وازناً باعوه وإن كان ناقصاً تركوه لمن عمله، ومن باعه منهم وعُثر عليه استحق العقوبة[5].

وكان على والي السوق أن يراقب باعة اللحم، ويأمرهم ألا يبيعوا البائت مع الطري والمهزول مع السمين والمصران والكرش مع اللحم، ولحم المعز مع لحم الضأن، ولا يترك أحد منهم يبيع لحم الضأن ولحم المعز في حانوت واحد ويجعل لبيع كل نوع من ذلك حوانيت تخصه[6]، كما كان يحدد أسعار اللحوم بحيث "تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدد له المحتسب في الورقة"[7].

ويشدد والي السوق على باعة السمك ألا يبيعوا البائت مخلوطاً مع الطري، وألا يبيت عندهم شيء إلا أن يكون مملوحاً، وأن يبيعوا البائت على حده والطازج على

---

(1) الجرسيفي، **رسالة في الحسبة**، ص44.

(2) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص7.

(3) الكناني، **أحكام السوق**، ص42.

(4) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص20.

(5) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص46.

(6) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص48-49.

(7) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص218-219.

حده[1]، وكان يمنع الحناطين الذين يبيعون القمح والشعير وسائر أنواع الحبوب من البيع حتى يغربلوها[2].

وكان على والي السوق أن يتفقد بائعي الهرائس والحلوى والعسل والسمن والجبن واللبن[3]، ويراقب الزياتين ويأمرهم بتجربة الكيل للمشتري[4]، ويتفقد بائعي الحصر والحديد والفخار[5]، ويمنع النساء من الاختلاط بالرجال في أماكن البيع حفاظاً على الأخلاق العامة[6].

ومن واجبات والي السوق أن يتفقد الصيارفة ويتجسس عليهم وينهاهم عن الربا، وان عثر بمن روج لدراهم أو دنانير مزيفة عزره وأخرجه من السوق[7]، ويفترض على الصاغة ألا يبيعوا أواني الذهب والفضة والحلي المصوغة إلا بغير جنسها، وإن باع شيئاً من الحلي المغشوش وجب عليه اطلاع المشتري على مقدار ما فيها من الغش ليدخل على بصيرة[8].

وكان يمنع الدباغين من بيع الجلود، إلا أن تكون قد تحققت فيها نهاية الدباغة[9]، ويأمر بائعي الغزل بتجفيفه قبل بيعه، وذلك لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليحسن وجهه ويزيد في وزنه[10]، ويمنع الجلادين من بيع جلود الميتة نية، وإنما يبيعونها مدبوغة[11].

---

(1) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص50.

(2) الكناني، **أحكام السوق**، ص51.

(3) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص50؛ ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص45-50.

(4) ابن عبدالرؤوف، **رسالة في آداب الحسبة**، ص105.

(5) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص82.

(6) ابن عبدالرؤوف، **رسالة في آداب الحسبة**، ص113.

(7) الكناني، **أحكام السوق**، ص46.

(8) الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص77.

(9) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص79.

(10) ابن عبدالرؤوف، **رسالة في آداب الحسبة**، ص87.

(11) ابن عبدالرؤوف، **رسالة في آداب الحسبة**، ص102.

وكان يأمر النخاسين ألا يبيعوا دابة لغير شخص معلوم، ويقيد في العقد، وإن كان غير معلوم العين وقبله النخاس يكون ضامنا له[1].

ونظراً لتعدد مسؤوليات والي السوق التي يباشرها، فقد كان يتخذ له أعوانا يساعدونه في عملية مراقبة الأسواق وملاحقة المخالفين، ومن أعوانه العريف الذي كان يُختار من بين ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع[2]، وكان يجب توفر عدة شروط وصفات معينة في أولئك الأعوان، فلا يستعمل والي السوق من الأعوان من كان غائضاً ولا غضوباً ولا مهذاراً كثير الكلام، وإنما يستعمل من يعرف ثقته وأمانته ونصيحته للمسلمين، ويتقاضى هؤلاء الأعوان أجرة يومية معلومة[3]. وممن تولى ولاية السوق في عهد الخليفة الناصر الفقيه المحدّث محمد بن إبراهيم الحجازي[4].

3.3 التجارة الخارجية:

1.3.3 موانئ التصدير والاستيراد

تعتبر الأندلس شبه جزيرة[5]، وبسبب هذا الموقع الإستراتيجي تميزت المدن التي تقع بالقرب من السواحل البحرية (وخاصة البحر الأبيض المتوسط) بحركة تجارية نشيطة لعمليات التصدير والاستيراد، وأنشئت في المدن الساحلية العديد من الموانئ. وفيما يلي عرض لأهم المدن الساحلية:

---

(1) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص81.

(2) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص33/9.

(3) ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص11-12.

(4) انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص172.

(5) البكري، **جغرافية الأندلس**، ص84؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج 2، ص131-132.

أ. إشْبِيليَة

وهي مدينة أندلسية قديمة، بينها وبين قُرْطُبَة مسيرة ثمانية أيام، وتقع جنوب الأندلس[1]، غرب قُرْطُبَة[2]، وعلى ضفة نهر الوادي الكبير[3]، كما أنها تقع بالقرب من المحيط الأطلسي[4]، ويطل عليها جبل الشرف، وهو جبل دائم الخضرة طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً، وعرضه من الشرق إلى الغرب اثنا عشر ميلاً[5]، وقد عدت إشْبِيليَة كأحد أفضل موانئ الأندلس على الرغم من أنها لم تكن على البحر مباشرة، بل على مسافة منه، وذلك لهيمنتها على الشاطئ الغربي للأندلس[6].

واشتهرت إشْبِيليَة بالغلال الوافرة، والتجارة الواسعة[7]، وكان من أهم محاصيلها الزراعية الزيتون الذي كان يعمل على زراعته معظم أهل إشْبِيليَة، وكانوا يستخرجون منه الزيت الذي تميز على سائر زيوت الأندلس بطيب الطعم، وكثرة المردود عند عصر الزيتون، وعدم تغيره مع طول الزمن[8]، وكان الزيت يصدر منها إلى بلاد المغرب والمشرق الإسلامي، حيث أن جل تجارة إشْبِيليَة من الزيت "يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً"[9].

---

(1) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص58.

(2) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص292.

(3) الزهري، **الجغرافية**، ص88.

(4) المراكشي، **المعجب**، ص459؛ البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت 739هـ/1338م)، **مراصد الإطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، د.ط، بيروت 1992م، ج1، ص80. (يشار إليه فيما بعد: البغدادي، مراصد الإطلاع).

(5) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص321.

(6) كونستيل، **التجارة والتجار**، ص61.

(7) انظر: القزويني، **آثار البلاد**، ص497.

(8) الزهري، **الجغرافية**، ص89؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص264؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص21؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص208.

(9) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص19.

وقد اكتسبت إشْبِيلِيَة كميناء ومرسى شهرة كبيرة في التجارة العالمية، نظراً لقربها من المحيط الأطلسي، ولوقوعها على ضفة نهر الوادي الكبير، حيث تسير المراكب والسفن الهابطة والصاعدة عبر هذا النهر ما بين قُرْطُبَة وإشْبِيلِيَة الواقعتين على نهر الوادي الكبير[1]، ويمتاز هذا النهر بأنه الوحيد في بلاد الأندلس الذي يصلح مجراه الأدنى للملاحة في الإثنين والسبعين ميلاً الأخيرة منه طوال العام[2]، مما جعل السفن الكبيرة القادمة من بلاد المغرب وبلاد الفرنجة عبر المحيط الأطلسي، تسير به حتى تحط عند إشْبِيلِيَة[3]، ثم يتم شحن حمولة هذه السفن بواسطة القوارب والمراكب الصغيرة إلى قُرْطُبَة وغيرها. وكانت إشْبِيلِيَة تُصدِّر الزيت بحراً إلى المشرق العربي[4]، كذلك تُصدر القطن إلى شمال أفريقيا كسجلماسه[5] والقيروان[6].

ب. بجّانة

وهي إحدى الموانئ الأندلسية التي تقع على الساحل الجنوبي، وتبعد عن المَرِيَّة ستة أميال[7]، وأصبحت من أهم المنافذ الأندلسية المؤدية إلى بلاد المغرب، إذ كانت سائر غلال القمح التي تجلب للأندلس من بلاد المغرب تأتي عن طريقها[8]، واحتفظت بجّانة بأهميتها منذ بنائها سنة 271هـ/884م وحتى بناء المَرِيَّة سنة 344هـ/955م، إذ انتقل أهلها إلى المَرِيَّة وعُدت بجّانة هي المَرِيَّة حسب ما وصفها ابن حوقل[9].

ج. بَلَنْسية

---

(1) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق الحجي، ص159؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص574.

(2) ابن سعيد، **بسط الأرض**، ص100.

(3) ابن الشبّاط، **صلة السمط**، ص13؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص235.

(4) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص95.

(5) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص21.

(6) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص293.

(7) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، 339.

(8) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص38.

(9) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص105.

كورة ومدينة مشهورة بالأندلس، تقع إلى الشرق من مدينة قُرْطُبَة[1]، وهي على نهر شَقُّورَة أو النهر الأبيض[2]، الذي منه تسقى بساتينها وجناتها، وعن طريقة تدخل السفن الكبار للمدينة من البحر الأبيض المتوسط[3]، الذي يبعد عنها نحو ثلاثة أميال[4].

وتعتبر مدينة بَلَنْسية من المراكز والموانئ التجارية الهامة في الأندلس، حيث يقع ميناء قليبرة في جنوبها[5]، ويرجع ذلك إلى ما اختصت به من وفرة إنتاج وجودة صناعة، فقد امتازت بَلَنْسية بوفرة مياهها واعتدال مُناخها وخصوبة تربتها، وفي ذلك يقول ابن سعيد: "قد خصها الله بأحسن مكان وحفها بالأنهار والجنان، فلا ترى إلا مياه تتفرع ... وهواؤها حسن"[6]. ويضيف المراكشي: "وهي مدينة في غاية الخصب واعتدال الهواء"[7]. وهذا ما ساعد على تنوع إنتاجها الزراعي وضخامته فكان يزرع بها شجر القراصيا الذي كان لا يخلو منه سهل ولا جبل[8]، والأرز الذي كان يزيد على حاجة أهلها ويحمل منها لجميع بلاد الأندلس[9]، ومن منتجاتها أيضاً الكمثرى[10] والزعفران[11]، والتين[12]، والقرمز الذي كان يصدر منها إلى البلدان الأخرى[13]،

(1) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص490.

(2) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص287-288.

(3) الزهري، **الجغرافية**، ص99.

(4) العمري، **مسالك الأبصار**، ج2، ص32.

(5) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص286.

(6) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص243.

(7) المراكشي، **المعجب**، ص454.

(8) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص490.

(9) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص21.

(10) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص179.

(11) القزويني، **آثار البلاد**، ص513.

(12) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(13) البكري، **جغرافية الأندلس**، ص127.

والكتان والسرو[1]، ووجد بها أنواع الأزهار والرياحين والمشمومات الكثير لدرجة أنَّه أُطلق عليها لكثرة رياحينها اسم "مطيب الأندلس"[2].

هذا وقد ساعدت وفرة المنتوجات على قيام بعض الصناعات في المدينة كصناعة الثياب الكتانية[3]، والمنسوجات المنسوبة لها، والتي تُحمل منها إلى سائر أقطار المغرب[4]، كما واستخدمت أخشاب أشجار السرو التي تنمو بجبالها في أعمال النجارة لصناعة الأثاث[5]، ولهذا فقد كانت مدينة بَلَنْسية كما يصفها ابن حوقل من مدن الأندلس المشهورة بالغلات والتجارات والأسواق والبيوع والحمامات والخانات[6]. ووصفها الإدريسي بقوله: "وهي كثيرة التّجّار، وبها أسواق وتجارات وحط وإقلاع"[7]. وهي أيضاً "في أكثر الأمور راخية الأسعار"[8].

د. الجزيرة الخضراء

مدينة ومركز تجاري هام في أقصى جنوب الأندلس، تطل على مضيق جبل طارق، وتبعد عن قُرْطُبَة مئة وخمسة وستين ميلاً، ويقال لها جزيرة أم حكيم[9].

وتعتبر مدينة الجزيرة الخضراء "من أنقى مدن الأندلس هواءً وأكثرها طيباً، وأجمعها لخير البر والبحر"[10]، حيث تعتبر أرضها "أرض زرع وضرع ونتاج، وكثيرة الفواكه والمياه والمزارع والماشية"[11]، كما أنها كانت وسط مدن الساحل وأقرب مدن

---

(1) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص285؛ الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(2) المراكشي، **المعجب**، ص454؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص243.

(3) الزهري، **الجغرافية، ص**102.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص221.

(5) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص111.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص556.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص223.

(9) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص223.

(10) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص136؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص243.

(11) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص221.

الأندلس مجازاً إلى بلاد المغرب، حيث كان بينها وبين سبته ثمانية عشر ميلاً[(1)]، ومرساها أحسن وأيسر مراسي الأندلس للجواز والعبور لقربه من البحر، لذلك فقد خُصّص لتصدير واستيراد الحيوانات وخاصة مع بلاد المغرب[(2)].

اهتم الخليفة الناصر بمدينة الجزيرة الخضراء، حيث أنشأ بها داراً لصناعة السفن[(3)]، فتميزت بحركة تجارية نشطة ودائمة داخلياً وخارجياً، فأسواقها المتصلة كانت تمتد من المسجد الجامع الذي يقع في وسط المدينة إلى شاطئ البحر[(4)]، أما خارجياً فقد كانت من أهم الموانئ التي اعتمدت عليها الأندلس في عمليات الصادر والوارد، وخاصة مع بلاد المغرب حيث كان لموقعها الجغرافي أكبر الأثر في سهولة وسرعة النقل والشحن ما بين البلدين، حتى أنها وصفت لرواج حركة التجارة فيها بأنها دار "إنشاء وإقلاع وحط"[(5)].

هـ. مالَقَة

وتقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ضمن كورة رية بين مدينتي إشْبِيلِيَة وغَرْناطة، وعلى مسافة أربعة أيام من قُرْطُبَة، وقد كانت آهلة عامرة الديار ومعظم سكانها كانوا عرباً[(6)].

وكان لمدينة مالَقَة مزايا عديدة جعلت منها مركزاً تجارياً هاماً، فبالإضافة إلى موقعها على ساحل البحر المتوسط وما كان له من دور في عمليات الشحن والتفريغ، فقد اشتهرت بكثرة خيراتها ومنتوجاتها الزراعية والصناعية مما جعل ساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى[(7)].

---

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص539.

(2) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص118؛ ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص293؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص243.

(3) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص123-224؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ج2، ص23.

(4) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص123.

(5) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص539؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ج2، ص23.

(6) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص42؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص517.

(7) الشقندي، **فضائل الأندلس**، ص58.

ووصفت مالَقَة بأنها كثيرة الخيرات والفواكه حتى لا تكاد ترى فيها موضعاً يخلو من شجر أو زرع[1]، واشتهرت المدينة بتينها الذي يُحمل منها إلى جميع مدن غرب الأندلس ومصر والشام والعراق، وربما وصل بعضه إلى الهند[2]، أما الذي كان يحمله النصارى في المراكب البحرية "فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره"[3]. وكان لوز مالقة يزيد عن حاجة السكان، فيُصدَّر إلى أفريقيا وبعض بلدان أوروبا[4].

وتوفرت في مالَقَة عدة صناعات، من أهمها صناعة الحرير، حيث "تنسج الحلل الموشية التي تجاوز أثمانها الآلاف"[5]، ومن أنواع الصناعات فيها، صناعة السكاكين والمقصات من الحديد، وصناعة الفخار المذهب[6]، والذي كان يحمل منها إلى أقاصي البلاد[7]، والصناعات الجلدية حيث كان بها السَّفَن[8]الذي اختصت به عن غيرها وكان يصنع منه الأغشية والحزم والمدورات والحقائب والأحذية ومقابض السيوف[9]، وصناعة المشروبات المحللة والمحرمة حيث كان خمر مالَقَة مشهوراً ومفضلاً في جميع أنحاء الأندلس[10]، كذلك اشتهرت بصناعة الزجاج[11].

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص219.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص565؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص219.

(3) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص178؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219.

(4) الزهري، **الجغرافية**، ص93.

(5) الشقندي، **فضائل الأندلس**، ص58.

(6) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص349؛ العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص145؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص152.

(7) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص349؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص152.

(8) السَّفَن: وهو جلد خشن غليظ كجلود التماسيح يكون على قوائم السيوف. انظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص35.

(9) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص42؛ الزهري، **الجغرافية**، ص93.

(10) الشقندي، **فضائل الأندلس**، ص57؛ ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص349.

(11) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص202.

ووجدت بمالَقَة دار لصناعة السفن والمراكب، وهذا ما ساعد على تنشيط الحركة التجارية فيها من خلال حمل منتجاتها إلى الدول الأخرى، ونزول مراكب التجار بها للإصلاح إذا تعرضت إلى أعطال[1].

و. المَريَّة

تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط[2]، بين مدينتي مالَقَة ومرسيَّة[3]، بينها وبين قُرْطُبَة ثمانية أيام[4]، أمر ببنائها الخليفة الناصر سنة 344هـ/955م لتكون مرأى ومرصداً لمدينة بجّانة القريبة منها، إلا أن المَريَّة لم تلبث أن تفوقت على بجّانة وأصبحت هي قاعدة الإقليم، حيث يقول شيخ الربوة: "ولما خرجت بجّانة انتقل أهلها إلى المَريَّة"[5].

ولقد ذاعت شهرة المَريَّة منذ بنائها وغدت في القرن الرابع الهجري من "أشهر مراسي الأندلس وأعمرها"[6]، وأصبحت حسب ما وصفها المؤرخون بالنسبة للأندلس "باب الشرق ومفتاح الرزق"[7].

وقد شهدت مدينة المَريَّة نشاطاً تجارياً كبيراً على المستويين الداخلي والخارجي، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أهمها:

1. موقعها على الساحل، حيث كانت أكثر بلاد الأندلس حركة في البحر، وهذا ما ساعد على تنشيط علاقاتها التجارية مع دول العالم الإسلامي في المشرق والمغرب،

---

(1) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219.

(2) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص144.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص217.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص558.

(5) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص320.

(6) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص138؛ الزهري، **الجغرافية**، ص101.

(7) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج2، ص161؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص217.

كذلك مع بلاد النصارى، فأصبح مرفؤها هو مرفأ الأندلس للحط والإقلاع، يقول الزهري: "إليها تقطع المراكب من المشرق ومن الإسكندرية"(1)، ويضيف الحموي: أنه من المَريَّة "يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب"(2)، كما ويذكر الشقندي أن المَريَّة كانت محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم، ومنها كانوا يشترون جميع البضائع التي تصلح لهم(3).

2. كثرة خيراتها ووفرة إنتاجها، فقد وصفها الحِمْيَري بأنها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، بها من الفواكه الكثير الرخيص(4)، فواديها الذي كان يبلغ طوله أربعين ميلاً في مثلها كان كله "بساتين بهجة وجنات نضرة وأنهار مطردة"(5).

ويشير ابن حوقل في حديثه عن صادرات الأندلس قائلاً: "وبالأندلس غير طراز يرد إلى مصر متاعه وربما حمل منه شيء إلى أقاصي خراسان وغيرها"(6)، ويضيف "فأما أرديتهم المعمولة ببجّانة فتحمل إلى مصر ومكة واليمن وغيرها"(7)، وبجّانة هنا يقْصِد بها ابن حوقل المَريَّة ويؤكد ذلك قوله: "مدينة بجّانة وهي المَريَّة"(8) والتي كانت خلال الفترة التي زار فيها ابن حوقل الأندلس مشهورة بالغلات والتجارات والكروم والأسواق والبيوع والحمامات والفنادق(9).

ونتيجة لهذا الموقع وهذه الخيرات شهدت المَريَّة خلال عصر الخلافة الأموية حركة تجارية نشطة صاحبها ازدهار المدينة عمرانياً وثراء أهلها مادياً، ومما يدل على

---

(1) الزهري، **الجغرافية**، ص101.

(2) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص119.

(3) الشقندي، **فضائل الأندلس**، ص58.

(4) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص184.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص163.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص105؛ انظر: ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص284.

(7) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

(8) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص105.

(9) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص111.

ذلك الازدهار والثراء أن عدد فنادقها بلغت حوالي 970 فندقاً، وأن أهلها لم يكن بالأندلس أيسر منهم مالاً ولا أتجر منهم تصريفاً وادخاراً[1].

2.3.3 الصادرات والواردات الأندلسية:

1. الصادرات

تميزت الأندلس بكثرة إنتاجها من المواد الغذائية والمنسوجات والمعادن، وغيرها، الذي كان يزيد عن حاجة أهلها، فيُصدر إلى الخارج، ومن هذه السلع:

أ. المواد الغذائية وتشمل:

أولاً: زيت الزيتون: وهو من أهم الحاصلات الغذائية في جميع مكناطق الاندلس[2]، وذلك لكون "الزيتونة شجرة الأندلس الأولى"[3]، واشتهرت بزراعته عدة مدن منها سَرَقُسْطَة[4]، وقسطلّة[5]، وشُوذَر[6]، ولبلة وافراغة، ولاردة[7]، ومكناسة[8]، ومالَقَة[9]، وكانت إشْبِيليَة أكثر المدن الأندلسية شهرةً بزراعة الزيتون وإنتاج الزيت[10] وكان

(1) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص567/ **القارة الأفريقية**، ص290؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص16.

(2) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص264.

(3) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ.

(4) القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5،ص218.

(5) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص479.

(6) ارسلان، **الحلل السندسية**، ج1، رواية المقدسي، ص269؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص266.

(7) **الإدريسي، نزهة المشتاق**، مج2،ص538.

(8) **الإدريسي، نزهة المشتاق**، مج2، ص538.

(9) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص152.

(10) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ؛ الزهري، **الجغرافية**، ص89؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص264؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص58؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص208.

الفائض من الزيت الأندلسي يُصدر إلى بلاد المغرب[1]، ومصر وجنوب أوروبا وبعض ممالك إسبانيا النصرانية[2].

ثانياً: التين: الذي اشتهرت بزراعته معظم المدن الأندلسية أشهرها سَرَقُسْطَة[3]، وجزيرة الغنم بالقرب من لشبونة[4]، وبَلَنْسية[5]، ومالَقَة[6]، وغيرها، وكان يُصدر التين الأندلسي إلى فرنسا، وبلاد المغرب ومصر والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند[7].

ثالثاً: الزبيب: الذي يُعمل من الأعناب، ويتميز بلونه الأحمر، ويوجد بكثرة في قرية شاط القريبة من مدينة المُنَكَّب[8]، ومدينة ألش[9]، وكان يُصدر إلى مناطق مختلفة من العالم، وذلك لأنه كان من خاصيته أنه يُحفظ لمدة طويلة دون أن يطرأ عليه أي تغيير[10].

رابعاً: الحبوب: كالقمح والشعير، اللذين زُرعا في معظم مناطق الأندلس وأشهرها، جَيَّان[11]، ويبورة[12]، وبلشانة[13]، وحصن بيانة[14]، وطلَّبيرة[15]، وبرشلونة[1]،

---

(1) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص19.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص541؛ الزهري، **الجغرافية**، ص89.

(3) الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(4) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص272؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**،ص61.

(5) الزهري، **الجغرافية**، ص102.

(6) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص292.

(7) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص541؛ الشقندي، **فضائل الأندلس** ص57؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص151.

(8) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص273.

(9) القزويني، **آثار البلاد**، ص502.

(10) الزهري، **الجغرافية**، ص93.

(11) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص296؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

(12) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص268.

(13) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص300.

(14) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص299.

(15) الزهري، **الجغرافية**، ص85.

وأرجونة(2)، وفي جهات استجة(3)، وقَرْمُونة(4)، ووجدت مدن اشتهرت بزراعة الحبوب وحفظه لفترات طويلة كسَرَقُسْطَة التي كانت تحفظ القمح(5)، وطُلَيْطُلَة التي اشتهرت بحفظ مختلف الغلال(6)، وكانت حنطتها لا تسوس على مر السنين يتوارثها الخلف عن السلف(7). ومن أنواع الحبوب أيضاً الفول والحمص(8)، والباقلاء في جَيَّان(9)، والذرة في غَرْناطة(10)، وكانت تُحمل هذه الحبوب من مناطق زراعتها المذكورة إلى بلاد المغرب(11).

خامساً: اللوز المالقي(12): ولشهرة مالَقَة باللوز الطويل، كانت تُصدره إلى مصر وأفريقيا وبعض بلدان أوروبا(13).

ب. المنسوجات:

أولاً: الكِتَّان: الذي انتشرت زراعته في مدينة غَرْناطة، وجبل شكير (1)، والبِيرَة (2)، وكانت مدينة بجاية من أكثر المدن التي اشتهرت بزراعة الكتان(3)، كذلك كانت مدينة

---

(1) **الحِمْيَري**، **الروض المعطار**، ص87.

(2) أرسلان، **الحلل السندسية**، ج1، رواية المقدسي، ص269.

(3) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص أ.

(4) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص301.

(5) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ الزهري، **الجغرافية**، ص82؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص197.

(6) الزهري، **الجغرافية**، ص83؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص276؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص545.

(7) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص133.

(8) الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(9) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص293؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

(10) ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج1، ص143.

(11) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص389.

(12) الزهري، **الجغرافية**، ص93. انظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص175.

(13) الزهري، **الجغرافية**، ص93.

لاردة متخصصة بكثرة زراعة الكتان الذي يُنقل منها إلى مختلف المناطق الأندلسية[4]، وقد توفرت في هذه المدن دور لصناعة الملابس الكتانية[5]، وكان الفائض من الإنتاج يُصدَّر إلى مصر واليمن ومكة[6].

ثانياً: القطن: الذي انتشرت بكثرة في سَرَقُسْطَة[7]، وإشْبِيليَة [8]، ووادي آش[9]، وكثرت دور صناعته، وزاد الانتاج عن حاجة الأندلسيين[10]، فصُدِّر الفائض من إشْبِيليَة إلى شمال أفريقيا كسجلماسه[11] والقيروان[12].

ثالثاً: التوت: الذي اهتم الأندلسيون بزراعته، حيث يستفاد منه في تربية دودة الحرير، فقد زرعه الأندلسيون بكثرة في حصن شنش[13]، ووادي آش[14]، وإلبيرَة[15]، وكانت جَيَّان تقوم بتربية دودة الحرير[16]، لإنتاج الملابس الحريرية[1]، التي انتشرت بكثرة في

---

(1) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب.

(2) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص193.

(3) القزويني، **آثار البلاد**، ص159.

(4) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص507.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص113؛ الزهري، **الجغرافية**، ص102؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص159؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص159.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

(7) الزهري، **الجغرافية**،ص82.

(8) الإشبيلي، **الفلاحة**، ص ب؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص217.

(9) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص604/192.

(10) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص114؛ الزهري، **الجغرافية**، ص82.

(11) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص21.

(12) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص293.

(13) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص164.

(14) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص192.

(15) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص36.

(16) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص219؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

مدينة المَريَّة[2]، التي بناها الناصر سنة 344هـ/955م، حيث بلغ عدد طُرز الحرير نحو ثمانيمئة طراز[3]. وتوفرت في مالَقَة صناعة الحرير، ففيها "تنسج الحلل الموشية التي تجاوز أثمانها الآلاف"[4].

واشتهرت مرسيَّة "بالطراز العجيبة والصناعة الغريبة للوطاء والبسط"[5]. وكانت الطرز الأندلسية تصل إلى مصر وخراسان[6]، كما ووصلت الصناعات النسيجية إلى الممالك النصرانية، إذ كانت تُصدَّر لها الأغطية والثياب الرفيعة المعمولة من خيوط الفضة[7].

ج. التوابل:

ذكر المقّري أن الأندلسيين زرعوا الأفاوية (التوابل والبهارات)، وهي على عدة أصناف منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة[8]، والتي انتشرت زراعتها في غَرْناطة[9]، ويبين المقَّري أن أصول الطيب خمسة أصناف: المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من أرض الهند، إلا الزعفران والعنبر فإنهما من الأندلس[10]. وكان الزعفران يُزرع في بَلَنْسية[11] وبَسْطة[1]، وبياسة[2]، وطُلَيْطُلَة[3]،

---

(1) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص229/219؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص164.

(2) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص289.

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص562؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص538.

(4) الشقندي، **فضائل الأندلس**، ص58.

(5) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص9.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص105.

(7) كونستيل، **التجارة والتجار**، ص268.

(8) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص199/130.

(9) القزويني، **آثار البلاد**، ص547.

(10) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص199.

(11) القزويني، **آثار البلاد**، ص513.

وغَرْناطـة[4]، ووادي الحجـارة[5]، وجَيَّـان[6]، والعنبـر الـذي يوجـد فـي جهاتهـا الغربيـة[7] وخاصـة شنترين، فقد ذكره الإصطخري بقولـه: "ولـم نعلـم ببحـر الـروم والبحـر المحيط موضـع عنبـر إلا بشـنترين"[8]. ونسـتدل علـى وجود العنبـر فـي الأنـدلس زمـن الخليفـة الناصر من خلال ما تضمنته هدية ابن شهيد إلى الخليفة الناصر سنة 327هـ/938م، إذ احتوت الهدية على خمسمئة أوقية من العنبر[9].

وبـذلك كانـت الأنـدلس مصـدراً مهمـاً لتجـارة التوابـل العالميـة، وكـان الزعفـران والعصفر والعنبر من الصادرات الشهيرة للأندلس، فقد كان يُحمل من مناطق وجوده براً وبحراً إلى الخارج[10].

د. الجلد والفراء:

أولاً: الجلـد: كانـت قرطبـة تنـتج كميـات كبيـرة مـن الجلـود، ولـذلك كـان الجلـد القرطبـي المنسوب لها من بين الصادرات الأندلسية المهمة إلى أوروبا[11].

---

(1) العمري، **مسالك الأبصار**، ج4، ص147؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**،ج5، ص221.

(2) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص296.

(3) الإشبيلي، **الفلاحـة**، ص ت؛ الإدريسـي، **القـارة الإفريقيـة**، ص276؛ المقَّري، **نفـح الطِّيـب**، مج1، ص143.

(4) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1،ص149.

(5) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص276؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص193.

(6) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص177.

(7) القزويني، **آثار البلاد**، ص503.

(8) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص35.

(9) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص299؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص356.

(10) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص319؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأنـدلس**، ص394؛ ابن غالـب، **فرحـة الأنفس**، ص284؛ الإدريسي، **نزهـة المشتاق**، مج2، ص596؛ أبو الفداء، **تقويم البلـدان**، ص177.

(11) كونستيل، **التجارة والتجار**، ص288.

ثانياً: **الفراء**: وكانت له أسواق نافقة في شتى مناطق البحر المتوسط، فكانت الثياب الفاخرة من فراء القنليات[1] تصدر إلى بلاد المغرب إذ لا يوجد بها إلا ما جلب لها من الأندلس[2]، وكانت الثياب المصنوعة من وبر أبو قلمون[3]، يحجر عليها خلفاء بني أمية فلا تُنقل خارج الأندلس إلا سراً، فتزيد قيمة الثوب على ألف دينار[4].

هـ. المعادن:

عندما دخل المسلمون إلى الأندلس استخرجوا المعادن من الأرض، واهتموا بها، ومنحوها أعظم العناية، ومن بين المعادن التي وجدت بالأندلس الذهب[5] والزئبق[6]، والرصاص[7]، والفضة واللازورد والتوتيا[8] والزاج[9]، والنحاس[10]، والحديد[1]،

---

(1) القلنيات: جمع قنلية، وهو حيوان أدق من الأرنب، وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثيراً ما تُلبس فراؤها. انظر: المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص198.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص198.

(3) أبو قلمون: هي دابة تقع في شنترين في وقت من السنة من البحر، فتحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبر، ولونه لون الذهب، حيث يُجمع ويُنسج منه الثياب. انظر: الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص42؛ المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص240.

(4) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص42.

(5) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص36.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109؛ الزهري، **الجغرافية**، ص95/87/82؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص275/271.

(7) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص114؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص503.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1.

(9) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32/ **صفة جزيرة الأندلس**، ص1.

(10) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص76؛ الزهري، **الجغرافية**، ص90؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص1؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص1.

والكبريـــــت[2] والمغنـــــاطيس[3]،والمنغنيســــيا واللؤلـــؤ والمرجــــان والقصـــدير والطَّلق[4].والزجاج[5]، ومن بين المعادن التي كانت تُصدَّر إلى الخارج:

أولاً: الزئبق: الذي كان يستخرج من جهات قرطبة ومنها يُصدَّر إلى جميع الجهات[6]، كالمغرب العربي[7]، وكان أجود أنواع الزئبق الأندلسي يستخرج من حصن المعدن الذي يقع بالقرب من طليطلة[8]، وكان الزئبق الأندلسي يصدر إلى جميع أنحاء العالم[9].

ثانياً: الكحل: الذي يُصدَّر إلى بلاد المغرب والمشرق، حيث وصل بعضه إلى العراق واليمن والهند[10].

ثالثاً: الكبريت: الأحمر، والأصفر[11]، وصُدِّر إلى بلاد الشام والعراق والهند[12].

رابعاً: النحاس: وأكثر ما يُصدَّر إلى بلاد المغرب[13].

و. الرقيق:

---

(1) القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص32/ **صفة جزيرة الأندلس**، ص1؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص302/292/267.

(2) الزهري، **الجغرافية**، ص99؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص114.

(3) القزويني، **آثار البلاد**، ص503؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص142.

(4) المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص142-143.

(5) الزهري، **الجغرافية**، ص87؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص245؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص374.

(6) الزهري، **الجغرافية**، ص87.

(7) المراكشي، **المعجب**، ص448.

(8) الدمشقي، **الإشارة**، ص28؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص16؛ أرسلان، **الحلل السندسية**، ج1، ص182.

(9) أبو الفداء، **تقويم البلدان**،ص147.

(10) الزهري، **الجغرافية**، ص80.

(11) القزويني، **آثار البلاد**، ص503.

(12) الزهري، **الجغرافية**، ص31.

(13) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص434.

ذكر ابن حوقل أن "جميع ما على وجه الأرض من الصقالبة[1]من جلب الأندلس"[2]،وذكر الإصطخري:"أن الخدم البيض والجواري الموجودة في بلاد الشرق من الأندلس،وسعر الجارية عن غير صنعة على وجودهما ألف دينار"[3].

2. الواردات:

أ. المواد الغذائية، ومنها:

أولاً: السكر: كان يُجلب من بلاد المغرب والمشرق[4].

ثانياً: الفاكهة: حيث كان يرد إلى الأندلس كميات وفيرة من الجوز واللوز والفستق من مدينة سبتة المغربية، والقيروان[5]. ويبدو أن الجوز[6]الذي يزرع في مالَقَة، واللوز[7] في غَرْناطة[8]، وحصن فريرة[9]، كذلك الفستق الذي اشتهرت بزراعته معظم المدن الأندلسية[10]، يُعتبر غير كافياً للمجتمع الأندلسي.

---

(1) الصقالبة: جمع صقلبي، وباللإسبانية Esclevos وبالإنجليزية Slave، ومعناها عبد أو رقيق، وكان يوتى بهم من الدول الإسبانية النصرانية، ودول أوروبا الشرقية والغربية، وجهات البحر الأسود، وكانوا على نوعين: الخصيان ويستخدمون لحراسة الحريم، وغير الخصيان فتوكل إليهم مناصب إدارية وعسكرية هامة. انظر: العبادي، أحمد مختار، **الصقالبة في إسبانيا**، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، النعهد المصري للدراسات الإسلامية، د.ط، مدريد 1953م، ص8. (يشار إليه فيما بعد: العبادي، الصقالبة في إسبانيا).

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص106.

(3) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص37؛ انظر: المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص45.

(4) Imamuddin, **Economic History of Spain**, p. 341.

(5) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص383.

(6) الزهري، **الجغرافية**، ص94.

(7) الزهري، **الجغرافية**، ص93. انظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص175.

(8) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص46.

(9) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص294؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص216.

(10) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص137؛ القزويني، **آثار البلاد**، ص505.

ثالثاً: التين السفري، والنخيل، والقراصيا، حيث يُجلب أشتالاً من بلاد الشام[1]، وانتشرت زراعتها في مختلف بلاد الأندلس حتى أصبحت فيما بعد إنتاجاً أندلسياً.

ب. الجلود:

كان يرد إلى بلاد الأندلس كميات وفيرة من الجلود، وخاصة جلود الثعالب والفنك[2]، وذلك من مدينتي المهدية وفاس[3]، ومن خراسان في أقصى الشرق[4].

ج. الجواهر:

أولاً: اللؤلو: وكان يرد إلى الأندلس من بلاد المشرق[5].

ثانياً: العاج: الذي استوردته الأندلس من بلاد السودان والحبشة[6]، حيث يُستخدم في صناعة التحف وخاصة المعدة للعطور النسائية[7]، كما استخدم في تزيين قصور الخلفاء، حيث كان لمجلس الخليفة الناصر ثمانية أبواب مزينة بالعاج[8].

د. الرقيق:

أولاً: الصقالبة: أشار ابن حوقل إلى مصدر الرقيق الصقلبي في الأندلس، إذ كانوا يُجلبون من سواحل البحر الأسود ومن لمبارديا Lombardia وكلابريا Calabria في

---

(1) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص17.

(2) الفنك: دابة يفترى جلدها، أي يلبس جلدها فرواً. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج10، ص480.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص352؛ المقَّري، **نفح الطِيب**، مج1، ص357.

(4) المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص357.

(5) كونستبل، **التجارة والتجار**، ص252.

(6) الزغول، **الحرف والصناعات**، ص231-232.

(7) كونستبل، **التجارة والتجار**، ص304.

(8) المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص527.

إيطاليا[1]، بالإضافة إلى ما كان يُجلب من الدول الإسبانية النصرانية، ودول أوروبا الشرقية والغربية، وجهات البحر الأسود[2].

وكان الصقالبة على نوعين: الخصيان ويستخدمون لحراسة الحريم، وغير الخصيان فتوكَّل إليهم مناصب إدارية وعسكرية هامة[3]، فقد نال أحد الصقالبة غير الخصيان واسمه نجدة الصقلبي مكانة لم ينلها أحد، إذ عيَّنه الناصر على رأس حملة لقتال ملك ليون(راميرو الثاني) عام 327هلكن نجدة انهزم في هذه الحملة وقُتل[4].

وقد بلغ عدد الصقالبة غير الخصيان الذين يخدمون في دوائر الدولة المختلفة عند وفاة الناصر ثلاثة عشر ألف وخمسمئة وخمسين صقلبياً[5].

ثانياً: الرقيق السُّود: وكانوا يجلبون من بلاد السودان وبلاد البربر[6]، وكانوا يُستخدمون في أعمال البناء والخدمة ونقل الأحمال[7].

هـ. التوابل والطيب:

أولاً: التوابل: ويُستورد معظمه من الهند والشرق الأقصى، حيث يتوفر لها في الأندلس سوقاً جاهزة ومستقرة[8]. ويستورد ماء الورد من العراق[9].

ثانياً: الطيب، كالمسك والكافور والعود: وكان يستورد من الهند، لقلة توفره في الأندلس[1]، ويبدو أن الكميات المستوردة من هذه الأصناف كبيرة، ونستدل على ذلك

---

(1) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص106.

(2) العبادي، **الصقالبة في إسبانيا**، ص8.

(3) العبادي، **الصقالبة في إسبانيا**، ص8.

(4) أبو دياك، صالح فياض، **الجيش في الأندلس زمن الإمارة والخلافة الأموية الثانية**، مجلة دراسات تاريخية، ع88،77، السنة الثانية والعشرين، كانون الثاني، حزيران، 2002م، ص85. (يشار إليه فيما بعد: أبو دياك، الجيش في الأندلس).

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص567.

(6) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص40؛ ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص55.

(7) ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص55.

(8) كونستيل، **التجارة والتجار**، ص234.

(9) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص352.

من خلال ما تضمنته هدية ابن شهيد إلى الخليفة الناصر سنة 327هـ/938م، إذ احتوت الهدية على مائتين واثنين وتسعين رطلاً من العود الهندي، ومئة أوقية من المسك، وثلاثمئة أوقية من الكافور الهندي النقي[2].

و. **الرخام:** كالأخضر والوردي، الذي يُجلب إلى الأندلس من أقطار المغرب العربي[3].

الفصل الخامس

النظام المالي

1.5 الموارد المالية:

وهي المقوم الحقيقي لموارد الدولة في الأندلس، سواء أكانت محلية أم خارجية، ومن هذه الموارد:

1.1.5 الزكاة:

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص199.

(2) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص299؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص358.

(3) الترمانيني، **أحداث التاريخ**، مج1، ص666.

كان المسلمون في الأندلس يدفعون الزكاة للدولة، ويعارضون دفع أي نوع من الأموال التي لم يرد لها ذكر في القرآن والسنة، فقد روى ابن حيان عن أحمد بن محمد الرازي عن شيخ من أهل طليطلة، عند فتح هذه المدينة سنة 320هـ فقال:

"...وكتب لنا (يعني الخليفة الناصر)، على فرط اضطرارنا، بكل ما أردناه واشترطناه من الحرية عن الوظائف والإعفاء عن النوائب، ... وأن لا يُؤخذ منَّا غير الزكاة المفروضة على السُنَّة المعلومة، ... فلم يمنعنا السلطان ذلك كلّه، ولا ضايقنا في شيء منه..." [1].

وقد أشارت بعض الروايات أن الخليفة الناصر كان قد استجاب لأهل طرطوشة في إسقاط الزكاة عنهم، بسبب الضائقة المالية، حيث روى ابن حيان أنه في سنة 329هـ "شكا أهل طرطوشة القاصية ثقل مغارمهم، مع مكانهم من الدنو إلى العدو الشديد الشوكة، ومقاساة معرَّتهم، وسألوه النظر لهم، فأسقط الناصر لدين الله عنهم الزكوات والصدقات، وكتب لهم بذلك عهداً..."[2].

ومن أبواب الزكاة، العُشر وهو مقدار ما يدفعه المسلم على غلّة أراضية من ثمار وحبوب على سبيل الصدقة[3]، ويُعرِّف الخوارزمي العُشر بأنه "ما يُؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليه، وقام بإحيائها بالحرث، ذلك أن أهل الحرث هم الذين يدفعون العُشر"[4]. ويُستوفى العُشر مرة واحدة في السنة[5].

والنصاب الشرعي للعُشر خمسة أوسق، والوسق يساوي ستين صاعاً، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ليس في حب ولا تمر صدقة، حتى يبلغ خمسة

---

(1) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص321-322.

(2) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص468.

(3) ابن آدم، يحيى القرشي (ت 202هـ/817م)، **الخراج**، صححه أحمد محمد شاكر، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ط، بيروت 1979م، 112. (يشار إليه فيما بعد: ابن آدم، الخراج).

(4) الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/997م)، **مفاتيح العلوم**، دار الطباعة المنيرية، د.ط، 1922م، ص58. (يشار إليه فيما بعد: الخوارزمي، مفاتيح العلوم).

(5) أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ/838م)، **الأموال**، تحقيق خليل محمد الهراس، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1968م، ص538. (يشار إليه فيما بعد: أبو عبيد، الأموال).

أوسق"[1]، وقد أُخذ بعين الإعتبار الجهد المبذول في العمل بالأرض وزراعته، فقُسِّم العُشر على أساس الجهد، إذ يُؤخذ العُشر من غلّة الأرض التي تُسقى بماء المطر والعيون والأنهار، ونصف العشر من الأرض التي تُسقى بغرب[2].

وكان الأندلسيون يؤدون ما عليهم من عُشر الزروع، وقد خفَّف أمراء بني أمية هذه الضريبة على المزارعين، إعانة لهم على إعمار الأراضي واستصلاحها[3].

وكانت أهم المحاصيل التي يُؤخذ عليها العشور في الأندلس هي الحبوب، وخاصة القمح والشعير [4].

2.1.5 الجزية:

فرض المسلمون الجزية على أهل الذمة في البلاد التي فتحوها، وقد وجبت الجزية على أهل الكتاب بالنص القرآني: ﴿قَاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ باللهِ ولا باليومِ الأَخرِ، ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورَسُولُهُ، ولا يَدينُونَ دِينَ الحقِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حتىَّ يُعْطُوا الجِزْيَةَ عن يدٍ وهم صَاغِرُون﴾[5]. وفي الأندلس بقي عدد كبير من النصارى على دينهم بعد دخول الإسلام إليها، كما وجدت أعداد كبيرة من اليهود في كثير من المدن، حتى أطلق على بعضها مدن يهود، كذلك يقطن الأندلس كثير من النصارى، يقول ابن حوقل: "وبالأندلس غير ضيعة فيه الألوف من الناس لم تمدن، وهم على دين النصرانية روم"[6].

وبيّن الفقهاء كيفية أخذ الجزية من أهل الذمة دون التعدي عليهم في أدائها، فيجب ألا "يُضرب أحد من أهل الذمة في استيدائهم الجزية، ولا يقاموا في الشمس وغيرها، ولا يُجعل في أبدانهم شيئاً من المكاره، ولكن يُرفق بهم، ويُحبسون حتى يؤدوا

---

(1) ابن آدم، **الخراج**، ص113.

(2) ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص399.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ص273؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص24.

(4) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص124.

(5) **سورة التوبة**، آية 29.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص106.

ما عليهم"[1]، وتسقط الجزية عن الذمي بعد اعتناقه الإسلام، وهي تُدفع مرة واحدة في السنة، إلا أنه سُمح في الأندلس بدفعها أقساطاً تبلغ ما بين ستة أجزاء إلى جزئين"[2]، ولما كان عمال الأندلس يتقاضون رواتبهم من الجزية، فقد سقطت اثني عشر قسطاً منذ القرن الثالث الهجري[3].

وتُدفع الجزية حسب قدرة الأفراد المالية، وذلك على النحو الآتي:

1. الطبقة الدنيا: دينار واحد = سبعة عشر درهماً
2. الطبقة الوسطى: ديناران = أربع وثلاثون درهماً
3. الطبقة العليا: ثلاثة دنانير = إحدى وخمسون درهماً[4]

هذا وقد عقد الخليفة الناصر الجزية اتفاقاً مع بعض ملوك النصارى، يقدمون بموجبه الجزية السنوية، ولم تذكر المصادر مقدارها[5].

3.1.5 أخماس الغنائم:

تُعدُّ الغنائم من اهم موارد الدولة، والتي يحصل عليها الجيش بعد قتال العدو، فقد كانت أخماس غنائم الخليفة الناصر لم يكن يحصيها ديوان حسب قول المقَّري[6]. وأكثر المصادر تشير إلى الغنائم بعبارات مقتبسة، لا نستطيع معرفة نوعية ومقدار الغنائم، ومن هذه العبارات مثلاً: "ورجع ومعه الغنائم، وما لا يحصى عدّه"[7]، "ورجع

---

(1) العميان، نايف سلامة سفهان، **الخراج في عهد الدولة الأموية في الأندلس 92-422هـ /711-1031م**، رسالة ماجستير، إشراف محمد عبده حتاملة، الجامعة الأردنية، 1996م، ص21. (يشار إليه فيما بعد: العميان، الخراج).

(2) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج2، ص80؛ العميان، **الخراج**، ص22.

(3) العميان، **الخراج**، ص21.

(4) العميان، **الخراج**، ص22.

(5) العذري، **ترصيع الأخبار**، ص74-79.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص219.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج24، ص50.

سالماً ومعه من الغنائم ما لا يعلمه إلا الله تعالى"[1]، "وانثنى الجيش قافلاً، وقد أثقلته الغنائم"[2]، "وانصرف المسلمون سالمين غانمين"[3].

4.1.5 الأموال التي تُفرض على الأراضي:

كان نظام توزيع الأراضي في إسبانيا أثناء الحكم القوطي في يد عدد قليل من الأشراف والنبلاء ورجال الكنيسة، بينما كان سائر السكان من المزارعين بمثابة الأقنان أو العبيد الذين يعملون في هذه الأراضي لصالح تلك الفئات القليلة مقابل تمتعهم بالأمن[4]. وعندما دخل المسلمون إلى شبه جزيرة إيبيريا، قاموا في تجزئة الملكيات الكبيرة إلى ملكيات صغيرة خاصة وزعت على كبار الفلاحين القاطنين عادة بالمدن، والذين ينتسبون إلى الفئات الاجتماعية الثرية، أو التي يملكها صغار الفلاحين بالمناطق الريفية.

وكان ملاك الأراضي من المسلمين والمسيحيين واليهود وغيرهم يؤدون بالتساوي ضريبة الخراج، والتي هي مقدار معين من الغلات تؤخذ عيناً أو نقداً، من الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة أو صلحاً، أو من عروض التجارة، مع الأخذ بعين الإعتبار جودة الأرض وخصوبتها، ويُترك أمر تقدير ذلك للإمام[5].

---

(1) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج2، ص86.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص421.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص193.

(4) ذنون طه، **الفتح والإستقرار العربي**، ص81–86؛ دويدار، **المجتمع الأندلسي**، ص340؛ حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، ط7، القاهرة 1964، ج1، ص309. (يشار إليه فيما بعد: حسن، تاريخ الإسلام).

(5) انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ/ 1058م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، القاهرة 1966م، ص146. (سيشار إليه فيما بعد: الماوردي، الأحكام السلطانية)؛ ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 752هـ/ 1351م)، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق صبحي الصالحي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت 1981م، ص100. (يشار إليه فيما بعد: ابن القيم، أحكام أهل الذمة).

وتعتبر أراضي الخراج في الأندلس غير واضحة، بسبب وجود منازعات حول حيازة هذه الأراضي، وذلك منذ أواخر عصر الإمارة، وربما كان ذلك أيضاً نتيجة للحروب والفتن الداخلية التي سادت الأندلس في ذلك الوقت، مما كان لها أثرٌ بالغ في القضاء على الملكيات الخاصة وتجهيل هويتها، وهذا ما أثَّر على أوضاع أراضي الخراج في الأندلس التي بقيت فيما بعد غير واضحة المعالم(1).

كانت الملكيات الصغيرة ركناً أساسياً في دعم النهضة الزراعية بالأندلس، وكان هذا من العوامل التي ساعدت على تقدم النشاط الزراعي، فعندما اختار الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م)، القائد السمح بن مالك الخولاني(100-102هـ/719-721م)، والياً على الأندلس أمره أن يحمل الناس على طريق الحق، وأن يُخمّس الأراضي ويكتب إليه بصفة الأندلس وأنهارها(2)، ويخرج منها ما كان عنوة خمساً لله من أرضها وعقارها، ويستبقي القرى في أيدي مغتنميها بعد أن يأخذ الخمس، وقد باشر السمح بن مالك عمله في سنة 100هـ/718م، وابتدأ في تمييز أراضي العنوة من أراضي الصلح(3).

ومنذ ولاية السمح أصبح مالك الأرض والمزارع شبه شريكين فيها، كذلك أصبح العرب شركاء للكثير من الإسبان بعد توزيع الأراضي بين عرب الشام والبلديين في ولاية أبي الخطار الكلبي (125-127هـ/742-744م) على أثر توزيع الشاميين على كور الأندلس إلى جانب البلديين(4).

وفي عصر الإمارة فإن عدم الاستقرار الداخلي في كثير من الأحيان، جعل العديد من القادة، من كبار رجال الإقطاع يستولون على أراضي الأخماس في كثير من الأحيان، ولذلك صادر الخليفة الناصر بعد القضاء على الثورات الداخلية الأراضي

---

(1) البكر، **النشاط الاقتصادي**، ص116-117.

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص25؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1،ص235.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص25؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص235.

(4) ابن القوطية، **تاريخ**، ص44، ابن الأثير، **الكامل**، ج5، ص495؛ ابن الآبار، **الحُلّة السيراء**، ج1، ص491؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص33-34.

التي تمَّ الاستيلاء عليها، وأعادها إلى ملكية الدولة، كما لم يذخر وسعاً في إعادة مسح الأراضي، وإنشاء ديوان خاص لتنظيم الملكية، عُرف بخطة الضياع[1].

ومن أنواع الأراضي في الأندلس، الأحباس[2] الذي كان شائعاً في الأندلس منذ عصر الإمارة(138-316هـ/755-928م)، حيث اهتمت الدولة بأراضي الأحباس وأموالها، فأنشأت لها إدارة خاصة بها ضمتها إلى القضاء، ليصبح القاضي هو المشرف على ولاية الأحباس، فيختار من يثق فيهم ويحسن الظن بهم فيوليهم إياها[3].

وكانت بعض الأموال الناتجة عن الأحباس توزع على الفقراء والمساكين في أوقات غير منتظمة في السنة، ثم تحددت بعد ذلك، ووضعت لها أوقات معلومة لتوزيعها على مستحقيها، ويعود الفضل في ذلك إلى القاضي أسلم بن عبدالعزيز (ت 317هـ/ 929م)، والذي كثرت الأحباس في مدة ولايته وتنامت أموالها[4]. ولعل ذلك هو الذي دفع القاضي أسلم إلى إعادة النظر في أوقات توزيع هذه الأموال، وتخصيص أوقات معلومة لهذا الغرض.

ويبدو أن المرضى كان لهم نصيب من أموال الأحباس إلى جانب الضعفاء والمساكين، فقد روي أن الناصر احتاج إلى شراء مجشر[5] من أحباس المرضى

(1) **ابن عذاري**، البيان المُغْرب، ج2، ص199.

(2) الحبس لغة: المنع والإمساك وهو ضد التخلية، ومجازاً هو كل شيء وقفه صاحبه وقفاً محرماً لا يباع ولا يورث من نخل أو كرم أو غيرها كأرض أو مستغل يحبس أصله وتسبّل غلته تقرباً إلى الله تعالى. انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص51؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج6، ص46؛ الزبيدي، **تاج العروس**، مج4، ص124.

(3) الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص56.

(4) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص197.

(5) المجشر: القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى ويبيتون مكانهم لا يأوون إلى البيوت. الزبيدي، تاج العروس، مج3، ص101. ويذكر ابن هشام اللخمي أن من أخطاء العامة في الأندلس أنهم يقولون للمنزل جَشْر ومَجْشَر. انظر: ابن هشام اللخمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 577هـ/ 1181م)، **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العوام**، مجلة معهد المخطوطات العربية، نشرها عبدالعزيز الأهواني، جامعة الدول العربية، 1957م، مج3، ص153. (يشار إليه

بقُرْطُبَة، وقد تحدث مع القاضي أحمد بن بقي في هذا الأمر، وأبدى له رغبته في شراء المجشر، ولكن القاضي ومعه الفقهاء عارضوا طلب الناصر ولم يجيزوه إلى ما أراد(1).

ويتضح مما سبق أن التحبيس كان شائعاً زمن الناصر باعتباره وجهاً من وجوه الخير والتقرب إلى الله. ولعل هذا يشير إلى وفرة الأموال في أيدي الناس أو بعضهم.

وفي الأندلس أراضي خاصة، فقد استطاع المسلمون أن يوفقوا بين بيئتهم القديمة وبين البيئة الجديدة التي استقروا فيها، فنجحوا في تحويل أجزاء كبيرة من الأراضي المقفرة إلى أراضٍ صالحة للزراعة(2). وامتلك الكثير منهم العديد من الأراضي، وكان حصولهم عليها إما عن طريق الوراثة من الأباء أو الأقارب أو الهبة والعطايا من الخليفة أو بواسطة الشراء، وكانت تُفرض على هذه الأراضي أموالاً للدولة(3).

وكان تملك الأراضي في الأندلس فاشٍ بين الخاصة والعامة إذ قلّما نجد ذكراً لشخص دون الإشارة إلى ضيعته أو أملاك أخرى له(4). وللملكية الخاصة نوعان:

الأول: ملكية الطبقة الحاكمة:

كان أمراء الأندلس من كبار الملاكين، قد ملكوا القطائع الواسعة، وبلغت شهوتهم في التملك حداً جاوز بهم الحد المشروع(5)، فكثيراً ما كانوا يضعون أيديهم قسراً على الأراضي التي تعجبهم، مما ألحق ضرراً كبيراً لصغار الملاكين من جراء هذه

فيما بعد: ابن هشام اللخمي، ألفاظ مغربية)؛ وأشار عزالدين موسى إلى أن الضيعة في الإصطلاح المغربي تعني المجشر. انظر: موسى، عز الدين، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، ط1، القاهرة 1983م، ص148. (يشار إليه فيما بعد: موسى، النشاط الاقتصادي).

(1) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت 790هـ/ 1388م)، **الاعتصام**، دار المعرفة، د.ط، د.ت بيروت، ج2، ص177. (يشار إليه فيما بعد: الشاطبي، الاعتصام).

(2) دويدار، **المجتمع الأندلسي**، ص340.

(3) البكر، **النشاط الاقتصادي**، ص122.

(4) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ص195.

التجاوزات المتكررة(1)، غير أن الله تعالى قيّض لهم قضاة على درجة كبيرة من النزاهة والصرامة فكانوا دائماً يَحُولون بين الأمراء ورغباتهم غير المشروعة(2).

الثاني: الملكية الفردية من العامة:

وهم من كبار الملاك الذين اتخذوا لهم وكلاء ينوبون عنهم في الإشراف على ضياعهم، كالفلاحين في القرى، أو الفئات المقيمة في المدن.

وهذا النوع من الملكية كان شائعاً بين أوساط المجتمع الأندلسي بشكل كبير، مما يدل على أن المجتمع الأندلسي كان يعشق الزراعة إلى درجة يصح أن نسميه مجتمعاً زراعياً(3).

وكان القضاة أصحاب ضياع واسعة يزرعون فيها، فإذا ما تقلد أحدهم منصب قضاء الجماعة بقُرْطُبَة وكان لزاماً عليه أن يقيم فيها، يتخذ له وكيلاً لينوب عنه في مهمة الإشراف على ضيعته(4).

واستثمر بعض التجار أرباح تجارته في شراء الأراضي واستصلاحها وزراعتها، فقد اشترى القاضي أحمد بن محمد بن زياد (ت312هـ/924م)، بكونه بصيراً بالتجارة، له أرضاً أحاطها بسور وكان يزرع فيها، واتخذها مكاناً لإقامته بعد عزله عن القضاء(5).

5.1.5 الضرائب أو المكوس(6):

---

(1) Imamuddin, **Muslim Spain**, P 75.

(2) الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص23.

(3) Imamuddin, **Muslim Spain**, P 75.

(4) الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص25.

(5) الخشني، **قضاة قُرْطُبَة**، ص101.

(6) المكوس مفردها مكس، وهي ضريبة مالية تُؤخذ على السلع المباعة في الأسواق. انظر: الكناني، **أحكام السوق**، ص47.

كان الخليفة الناصر يفرض على السكان أنواع من الضرائب أو المكوس غير الواردة في القرآن والسنّة، فقد ذكر ابن حيان في روايته عن ابن مسعود في الأنيق حول فتح الناصر لمدينة سبتة سنة 319هـ متحدثاً عن وفود عدوة المغرب:

"...فهوى إليه، وإلى ولده من بعده خَلقٌ من ملوكهم وفرسانهم، اتَّسَع للناصر لدين الله حياتَه نِطاق الإنفاق عليهم، إلى غليظ إنفاقه في فُروض أَنْدَلُسه، الذي لا يسعه، فبَذل المال بَذلاً، وكدَّ الرَّعايا كَدَّاً، وحمَّل قُوَّته ثِقْلاً لا كفاء له، أقلَّ على مرِّ السنين إدِّخاره للمال..."[1].

وبعد إنشاء دار السكة لضرب العملة في الأندلس، فُرضت ضريبة على من يرغب من الرعية في سك عملة فيها، فقد بلغ ضمانها في كل سنة مئتي ألف دينار، وكان يُضرب فيها من الدنانير والدراهم من خالص الذهب والفضة، وكانت مثاقيله ودراهمه عياراً محضاً[2].

ولعلّ الإسراف في الإنفاق قد دفع الدولة إلى فرض أنواع من الضرائب على الأسواق الأندلسية، فقد كانت الأسواق عامرة بكل أصناف البضائع، وكانت الضرائب تُفرض على البيوع والأسواق، وقد شكلت مورداً من موارد الدولة، فقد بلغت قيمة الضرائب المستوفاة على أسواق الأندلس في عهد الخليفة الناصر 765.000 دينار[3].

ومن الضرائب أيضاً ضريبة العبور (أو ما يسمى اليوم بالترانزيت transit)، كذلك ما يُفرض على طول الطرق في المراصد، وعند البوابات التي تدخل وتخرج منها البضائع، وعلى الصفقات التجارية عندما تُباع البضائع أو يتم تحويلها[4].

6.1.5 موارد أخرى:

---

(1) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص299.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص243؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص198.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص379.

(4) خليفات، محمد، **التجارة في الأندلس في عصر الدولة الأموية 138-422هـ/ 755-1030م**، رسالة ماجستير، إشراف محمد العمايرة، جامعة مؤتة 2004م، ص106. (يشار إليه فيما بعد: خليفات، التجارة).

أشار ابن حيان إلى موارد أخرى للدولة، وذلك أثناء حديثه عن بعض شروط الصلح التي وضعها الخليفة الناصر مع بعض المخالفين، حيث قرر إبقاء بعض المخالفين على ولاياتهم القديمة بعد طاعتهم، ودخولهم تحت حكمه، ففرض مبلغ مقرر يؤدى لميقاته في كل عام، وفيما يلي توضيح ذلك:

عندما أخضع الخليفة الناصر سَرَقُسْطَة سنة 325هـ، وأمن محمد بن هشام التجيبي وأحضره وأهله إلى قُرْطُبَة[1]، دخل الناصر سَرَقُسْطَة وأمر بهدم سورها، وإصلاح أحوالها، ثم عاد إلى قُرْطُبَة ومعه محمد بن هاشم فأنزله أكرم منزل، وعندما وثق في طاعة أهل سَرَقُسْطَة، صرف إليها محمد بن هاشم والياً من جديد[2]، وفرض عليه "أن يُورد جباية بلدة بمَحَلّها، ولا يَخْتَبِسها عن أمدها، ولا ينقصها من عددها، بعد أن يُسقط عنه جباية عام مُحرم، لما ناله ونال البسيط من معرّة الجيش وامتناع التوزيع، ثم يُوردها بعد انصرام العام، كاملة مُوفَّرة، بغير رسول يُحرّكه ولا مُوكَّل يضغطه، ..."[3].

وعندما تمتنع البلدة عن أداء الجباية المفروضة عليها، فإن الجيش كان يخرج لجمعها، فقد أمر الخليفة الناصر جيشه سنة 330هـ بالخروج بقيادة الوزير عبدالحميد بن بسيل لأخذ الجباية من مدينة ليشكة[4]، التي امتنع سكانها عن أداء الجباية، وعندما علم سكان المدينة بقدوم الجيش لاذوا بالطاعة، وسألوا الأمان، واستعفوا عن عاملهم يوسف بن سليمان الذي أشكاهم، فقبل الناصر فَيئتهم، وردَّ عبدالحميد والجيش عنهم، وعزل يوسف بن سليمان عن عمالتهم بسعيد بن وارث، فسكنت حالهم"[5].

ومن جهة أخرى فقد فُرضت العشور على التجارة الواردة والصادرة، وكان هذا النوع من العشور قد فُرض منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، بسبب

---

(1) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص400-401؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص363-364.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص404-408.

(3) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص406-407.

(4) ليشكة: هكذا وردت عند ابن حيان. انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص486.

(5) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص486.

قدوم تجار أهل الحرب إلى أراضي الدولة الإسلامية[1]، وكان على جميع التجار القادمين إلى الأندلس من المشرق والمغرب أن يدفعوا العشر عند نزولهم إلى أي من شواطئ الدولة[2]، فقد لاحظ ابن حوقل أنه كان يُجبى من العشور أموالاً وافرةً على المراكب الواردة إليهم والصادرة عنهم[3]، كما وكانت تُجبى من أهل الذمة (اليهود والنصارى) بعد بيعهم لتجاراتهم[4].

بعد الحديث عن موارد الدولة المالية، لا بدَّ من الحديث عن مقدار الأموال المحصلة، فقد أشارت الروايات أن جباية الأندلس في عهد الخليفة الناصر بلغت ما بين خمسة ملايين وأربعمئة وثمانين ألف دينار إلى ستة ملايين دينار في السنة[5]، كما وحدّد الحِمْيَري جباية بعض المدن الأندلسية في نفس الفترة، فذكر أن جباية مدينة شنترين بلغت ألفان وتسعمئة دينار في السنة[6]، وكورة شَذُونة خمسون ألف دينار في السنة[7].

وقد بلغ دخل دار السكة في عهد الخليفة الناصر في كل سنة مائتي ألف دينار[8]، وبلغ وارد السوق والمستخلص من الجباية في نفس الفترة سبعمئة وخمسة

---

(1) ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص89.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص94.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ص113.

(5) ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك التوزري (عاش في أواخر القرن 6هـ/12م)، **الإكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مج13، مدريد، 1965-1966م، ص59. (يشار إليه فيما بعد: ابن الكردبوس، الإكتفاء)؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص231-232؛ الذهبي، **سير**، ج8، ص266؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص211.

(6) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص100.

(7) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص113.

(8) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104.

وستين ألف دينار (765,000) [1]، ويعود هذا الارتفاع إلى الجهود الكبيرة التي بذلها الخليفة الناصر في توطيد الأمن وردع المخالفين بالقوة، فدرت هذه الجباية المبالغ الضخمة، حتى إنه لم يضاه دخل الأندلس إلا بلاد الجزيرة الفراتية بالمشرق، حسب ما ذكره ابن حوقل[2].

وظلّ دخل الأندلس في تزايد مستمر في عهد الخليفة الناصر، حتى كان حاصل دخل الأندلس سنة 340هـ/ 940م قد بلغ عشرون مليون إلا اليسير القليل مما في خزائنه من المتاع والحلي وغيره، وهذا ما بينه ابن حوقل مما سمعه من المحصلين الذين لهم علم بدخل الأندلس[3]، كما أن ابن حيان قد أيده في ذلك بقوله: "بأن بيوت الأموال مترعة"[4] لعظم ما كان يدخل خزينة الدولة من أموال في هذه الفترة.

ولما توفي الخليفة الناصر كان في خزائنه من الأموال مبلغ ضخم قُدِّر بخمسة مليون مليون[5]، وإذا افترضنا أن هذا المبلغ دراهم لا دنانير وقسمناه على حساب سبعة عشر درهماً لكل دينار، حسب قيمة الدينار الأندلسي فإنه يبقى مبلغاً ضخماً، ولكن يبدو أن هذا المبلغ هو مقدار ما جمعه الخليفة الناصر طيلة فترة حكمه التي استمرت خمسين عاماً، بالإضافة إلى أن حركات الناصر العسكرية كانت تدر مبالغ ضخمة، فأخماس غنائمه لم يكن يحصيها ديوان حسب قول المقَّري[6].

ومن أجل ضبط موارد الدولة المالية ومصروفاتها، وصون الأموال وحفظها، والتصرف فيها لصالح الدولة والرعية، أُستحدث منصب الخازن الأكبر[7]، والذي

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص231-232؛ الذهبي، **سير**، ج8، ص266؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص211.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص107.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص107.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ص130.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص379.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج3، ص219.

(7) ابن القوطية، **تاريخ**، ص81؛ ابن حيان **المقتبس**، ص41.

يعاونه عدد من المساعدين، يُطلق عليهم اسم الخازن، يتراوح عددهم بين ثلاثة إلى خمسة، ويتقاسمون شؤون الخزانة العامة(1).

وتعد الخزانة المالية من أهم خطط الدولة، وكان أول ظهورها بهذا الاسم في عهد الأمير الحكم بن هشام(180هـ-206هـ/796-821م)(2)، ولأهمية هذا المنصب عيَّن الخليفة الناصر ابنه الحكم سنة 329هـ/ 940م أمر الجباية والخزانة والخزان(3)، وهذا دليل واضح على خطورة خطة الجباية بين خطط الخلافة، وأهمية الإدارة المالية في عهد الخليفة الناصر بعد استقرار الدولة وعظم الجبايات التي أصبحت تدخل الخزانة من الأموال.

2.5 النفقات:

قسَّم الخليفة الناصر مجموع جباية الأندلس إلى ثلاثة أثلاث: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدخر في بيت المال(4)، وقد شملت نفقات الدولة عدة جهات هي:

1.2.5 النفقات العسكرية

عُرف عن الخليفة الناصر أنه كان "مشغوفاً بتضخيم البنيان، والسّلطنة والجند"(5)، وبدأ الخليفة الناصر اهتمامه بالجيش الذي كان عماد الدولة وسياج الملك، فعكف على إصلاحه بعد أن استنزفه الكفاح ضد الثورات، كما أن الحروب والغزوات في عهده صقلت الجيش وزادته دربة، وأمدته بطائفة من أمهر القادة وأشدهم بأساً، وكان إقدام

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص197/ 158/ 169؛ ابن حيان، **المقتبس**، ص103.

(2) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ص25.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص46.

(4) ابن الكردبوس، **الإكتفاء**، ص59؛ الذهبي، **سير**، ج8، ص266.

(5) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص184.

الخليفة الناصر على تولي قيادة الجيش بنفسه يبعث روح الحماس فيه فيحقق الانتصارات الباهرة[1].

أنفق الخليفة الناصر أموالاً باهضة لإعداد الجند، وصناعة الأسلحة والذخائر حيث أمر بإنشاء دور لصناعة الأسلحة[2]، وذلك لمواجهة الأخطار الخارجية، حيث الممالك الإسبانية في الشمال[3]، والدولة الفاطمية في المغرب العربي[4]، كذلك الأخطار الداخلية التي تمثلت بقيام الثورات المناوئة، والتي تمكن الخليفة الناصر من القضاء عليها جميعها[5].

وكان جيش الأندلس في بادئ الأمر يعتمد على نظام القبائل والعشائر من العرب والبربر التي كانت تقيم في الكور والمدن والقرى على أساس إقطاعه الأراضي فيها، وقد أعطى عمر بن عبدالعزيز العرب الوافدين تباعاً إقطاعات واسعة حتى كادت تتلاشى أرض الخمس[6]. وقد مدح الطرطوشي هذا النظام وأشار إلى دوره الإيجابي في الرفع من مستوى الإنتاج الزراعي إلى أن كان الأمر في أواخر عهد المنصور بن أبي عامر (ت392هـ/ 1002م) الذي ألغى هذا النظام واستبدله بصرف الرواتب مشاهرة على الجنود وترك الرعية لتتفرغ لإعمار أرضها[7].

---

(1) عنان، **دولة الإسلام**، ص406.

(2) انظر: الفصل الرابع، الصناعات المعدنية، الحِدادة.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص223-224؛ ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص298.

(4) وات، **في تاريخ إسبانيا**، ص54-59.

(5) انظر: الفصل الأول، سياسته الداخلية.

(6) مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711-756م، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 1959م، ص618-621. (يشار إليه فيما بعد: مؤنس، فجر الأندلس).

(7) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (ت 520هـ/1126م)، **سراج الملوك**، المطبعة الأزهرية المصرية، ط1، القاهرة 1319هـ، ص107. (يشار إليه فيما بعد: الطرطوشي، سراج الملوك).

كان للخليفة الناصر أراضي شاسعة خصبة هي تحت تصرفه، حيث يقطعها لمن يشاء[1]، كالجيش، ويسمى الإقطاع العسكري: وهو ما يقطعه الخليفة من أملاكه لشخصيات عسكرية، ومن الأمثلة على هذا النوع من الإقطاع، ما أقطعه الناصر فور فتح مدينة إستجة سنة 300هـ/912م[2] عندما كتب الناصر رسالة إلى موسى بن أبي العافية قائلاً: "فكل ما توسعت فيه، وفتح الله عليك به، كان لك ولولدك ولعقبك إقطاعاً من أمير المؤمنين لك، وتوسعاً عليك، ومكافأة لمحبتك..."[3].

ومن الواضح أن هذا الإقطاع قد أُُُّسند مقابل الدور العسكري الذي قام به موسى بن أبي العافية في مقاومة النفود الفاطمي والوقوف أمام السياسة التوسعية للفاطميين في منطقة المغرب الأقصى بصفة خاصة.

2.2.5 نفقات الفئة الخاصة

تحدث ابن حيان عن مظاهر الأبهة والثروة في حياة هذه الفئة، فكانت أم الحكم مرجان "تملك من صامت المال عشرين بدرة"[4]، وكانت تنفق أموالها في وجوه كثيرة، فقد ابتاعت من ذرتها القرشية مبيت الخليفة الناصر ليلة واحدة بعشرة الآف دينار، كما وكان لها صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين، ولها مساجد ابتنتها، وأحباس في سبيل الله، وقبل وفاتها أوصت مما بقي من أموالها أن يُنفق بعضه في وجوه الخير، وبعضه لابنها الحكم[5].

وكان الخليفة الناصر يُقطع من أملاكه لشخصيات غير عسكرية، ويسمى الإقطاع المدني: وهو ما يقطعه الخليفة من أملاكه لشخصيات مدنية، ومن الأمثلة على هذا النوع من الإقطاع، ما أقطعه الخليفة الناصر لأبي علي القالي البغدادي

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص480.

(2) الحِمْيَري، **الروض المعطار**، ص14.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص312.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص12.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص13-14.

عندما قدم على الناصر في قُرْطُبَة سنة 330هـ، حيث "أوسع عليه (الناصر) في الإنزال والإقطاع"[1]. ويكون الإقطاع المدني كذلك ما كان يقطعه الخليفة لأفراد الأسرة الحاكمة، ومن الأمثلة على ذلك ما يحدثنا به ابن حيان عن أعمال البر لأم الحكم مرجان قائلاً:

"ومن أشهر آثارها كان المسجد الأكبر المنسوب إلى السيدة بالربض الغربي الذي عض الخراب اليوم عليه، وقد كان أوسع مساجد قُرْطُبَة بناءً، وأحسنها عمارة يتكفل بمصالحه وأحواضه وسدنته، وغاشي وفوده عليه وقفها الجليل الذي وقفته عليه وعلى غيره من مساجدها من أحقالها العظيمة القدر الوافية الغلة بطرف قُرْطُبَة الغربي، مستمر الإنفاق عليه وعلى غيره من وافي غلتها مرّ السنين..."[2].

ويتابع ابن حيان حديثه عن النفقات الباهضة للفئة الخاصة، فيذكر النفقات على أولاد الخليفة حين يدركون سن الرشد، حيث تُبنى لهم القصور لينتقلوا إليها، وتوزع عليهم القطائع، والجواري والخدم، فيقول: "وسلك الخليفة الناصر لدين الله بذكور الأولاد لأول توالي مواليدهم له مسلك الأمير محمد أبي جده من تعجيله النظر لكل واحد منهم أول ترعرعه بقصر يسكنه وضياع تُغلّ له وعقار بداخل البلد يُجرى عليه خرجه، ... ويختار لكل واحد منهم في وجوه الناس وأولي مُرُوّاتهم وكيلاً يُسند بشأنه/ إليه ويُقلّده النظر في دخله وخرجه وأمر قصره وضياعه يرزقه على ذلك ما يقوم به، فلا تزال نعمة الولد منهم تنمي بنمو سِنِّه وينوب بحسن النظر والإدخار لما فَضَل من دخله، فيخرجهم ضرورةً من قصره إلى قصورهم تلك التي لهم، ونعمهم تلك الموفَّرة عليهم، ... بهذا الفعل اعتدَّت النعمة على أهل بيت الخلافة صافيةً والمُرُوّة باقية والعيشة راضية"[3].

---

(1) الطباع، **القطوف اليانعة**، ص147؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر**، ص172-173؛ باشا، **الأندلس الذاهبة**، ج1، ص174.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص13-14.

(3) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص14-15.

3.2.5 نفقات الفئة العامة

كان الخليفة الناصر يسعى دائماً لتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين والايتام وتخفيف المغارم عن الناس[1]، حيث تكثر صدقاته في أوقات الضيق والحاجة الاجتماعية، فعندما وقعت المجاعة في الأندلس سنة 303هـ، حاول الخليفة الناصر معالجة هذه الأزمة والتخفيف من آثارها، فأخذ يوزع الصدقات على الفقراء والمساكين، فاقتدى كبار رجال دولته بفعله، فأقبلوا على توزيع الأموال والمواد الغذائية على المحتاجين، ويشير ابن حيان إلى أن بدر بن أحمد حاجب الناصر كان من أكثر الناس صدقة وأعظمهم مؤاساة للناس[2].

هذا وكانت بعض الأموال الناتجة عن الأحباس تُوزَّع على الفقراء والمساكين[3]، كما وكان للمرضى نصيب من أموال الأحباس إلى جانب الضعفاء والمساكين، فقد روي أن الناصر احتاج إلى شراء مجشر من أحباس المرضى بقُرْطُبَة، وقد تحدث مع القاضي أحمد بن بقي في هذا الأمر، وأبدى له رغبته في شراء المجشر، ولكن القاضي ومعه الفقهاء عارضوا طلب الناصر ولم يجيزوه إلى ما أراد[4].

وكان الخليفة الناصر ينفق من أموال الدولة على التجار الذين يزاولون نشاطهم، فقد بلغ مقدار ما ينفقه لكل تاجر أربعمئة درهم[5].

4.2.5 رواتب الموظفين

من وجوه الإنفاقات الإدارية دفع رواتب الموظفين من العمال والقضاة وغيرهم، وقد ذكرت بعض المصادر مقدار أرزاق بعض الموظفين الشهرية، فكان الوزير

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص354.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص109؛ انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص168.

(3) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص197.

(4) الشاطبي، **الاعتصام**، ج2، ص177.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص107.

يتقاضى راتباً مقداره ثلاثمئة درهماً[1]، والحاجب ثمانين ديناراً[2]، ووالي السوق ثلاثين ديناراً[3]، كما وتقوم الدولة بصرف رواتب لصاحب الشرطة وأعوانه، وتصرف لهم مبالغ إضافية إذا خرجوا في عمل رسمي خارج قرطبة، وتكون الأجرة حسب ما يراه الفقهاء[4]، حيث يبلغ راتبه حوالي ثلاثين ديناراً[5].

5.2.5 نفقات البناء والعمران

بلغت نفقات الأمير عبدالرحمن الداخل على بناء المسجد الجامع بقرطبة حوالي ثمانين ألف دينار[6]، واهتم خلفاءه من بعده بهذا المسجد اهتماماً بالغاً، وأضافوا إليه إضافات بارزة، فبنى الأمير محمد مقصورة الجامع[7]، كما وزاد الخليفة الناصر عليه فبنى منبر الجامع، وأنفق عليه عشرة آلاف وخمسين مثقالاً محمدياً، وعمل فيه سبع سنينن من أجل إحكامه ونقشه، وكان في هذا المسجد حاصل كبير من آنية الذهب والفضة[8]. كما وشهد المسجد توسعات وزيادات أيام الخليفة الناصر، حيث بنى الصومعة العظيمة سنة 340هـ بالحجارة المنقولة إليها على العجل، وجُعل لها مصعدان لكل منهما (107) درجات، وجعل في أعلى ذروة المنار ثلاث رمانات تغشي النواظر بشعاعها وتخطف الأبصار بالتماعها، اثنتان من الذهب والوسطى من الفضة، وفوقها سوسانة من الذهب المحض مسدسة وفوق السوسانة رمانة صغيرة من الذهب،

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص121.

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص267.

(3) ابن سعيد، **المُغْرب**، ج1، ص146.

(4) ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص11.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ص81.

(6) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج2، ص83.

(7) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج2، ص42.

(8) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص38؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج2، ص42.

ثم طرف الزج وفيه تاريخ مكتوب بالذهب، وزنة كل رمانة من الثلاثة المذكورة قنطار واحد فما دونه، وطول كل واحدة ثلاثة أذرع ونصف[1].

وقيل أن الناصر أنفق في صومعة المسجد وفي تعديل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات الأحد عشر بلاطاً سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم[2].

وبنى الخليفة الناصر مدينة الزهراء في بداية سنة 325هـ[3]، على بُعد خمسة أميال من مدينة قرطبة[4].

وكان الخليفة الناصر يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل، ومن الدواب ألف وخمسمئة دابة، وكان يُعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلاثمئة بناء، ومائتا نجار وخمسمئة من الأجراء، وسائر الصنائع[5]، كما واشتملت مباني الزهراء على أربعة آلاف سارية، منها ما جلب من مدينة روما، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية، وكان عدد أبوابها يقارب على خمسة عشر ألف باب[6].

وبلغ عدد الدور في مدينة الزهراء أربعمئة دار وذلك لسكنى السلطان وحاشيته وأهل بيته، وعدد الفتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمئة، وعدد النساء ستة آلاف وثلاثمئة إمرأة[7].

وذكرت المصادر عن بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس أنه أشتمل على الحوض الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان الذي جلبه ربيع الأسقف من

---

(1) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص38؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج2، ص547.

(2) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص 230؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص545.

(3) الذهبي، **سير**، ج8، ص266.

(4) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج2، ص579.

(5) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص564.

(6) **المقّري، نفح الطِّيب**، مج1، ص566.

(7) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص32، ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص301، المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص567.

القسطنطينية، وجعل الخليفة الناصر على الحوض اثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي[1].

واشتملت الزهراء كذلك على بحيرات للسمك، وذكر أن قوت الحيتان (السمك) في هذه البرك بلغ في كل يوم إثني عشر ألف خبزة[2]، وينقع لها من الحمص الأسود ستة أقفزة[3].

وأورد المقَّري أن الخليفة الناصر قد اتخذ في الزهراء "محلات للوحش فسيحة الفناء، متباعدة السياج، ومسارح للطيور مظللة بالشباك"[4].

وعني الخليفة الناصر إلى جانب ذلك بأنواع شتى من العمارة مثل القناطر[5]، وتوسعة الشوارع[6]، وبناء الأبراج عند الثغور[7]، واتصلت العمارة في مباني قرطبة والزهراء بحيث كان يُمشى فيها على ضوء السُرُج المتصلة عشرة أميال[8].

وهكذا كانت مدينة الزهراء "عديمة النظير في الحُسن غرم (أنفق) عليها (الخليفة الناصر) من الأموال ما لا يحصى"[9]، "وهي من أهول ما بناه الإنس وأجله خطراً وأعظمه شأناً"[10].

وبنى الخليفة الناصر في قصر الزهراء المجلس المسمى بقصر الخلافة، وقد أنفق عليه أموالاً طائلة، فاتخذ في وسط هذا المجلس صهريج عظيم مملوء بالزئبق، كما وكان لكل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**،مج1، ص569.

(2) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص38؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص567–569.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص567.

(4) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص578.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ص64.

(6) ابن حيان، **المقتبس** ص67–70.

(7) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص241.

(8) المراكشي، **المعجب**، ص520؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص456.

(9) انظر: الذهبي، **العبر**، ج2، ص293.

(10) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص525.

والآبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر القائمة على سواري من الرخام الملون والبلور الصافي، وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار، وكان الناصر إذا أراد أن يفزع أحداً من أهل مجلسه يأمر أحد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور[1].

وفي بعض الإحصائيات عن قرطبة أنه عُمل بها أيام الخليفة الناصر صورة أسد على إحدى جوانبه غزال والجانب الأخر تمساح، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل، و حمامة وطاووس ودجاجة، وديك ونسر، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس[2]، ومن الدور مائتا وثلاثة عشر ألف وسبع وسبعون داراً، وهذه دور الرعية، وأما دور الأكابر والوزراء والكتَّاب والأجناد وخاصة الملك فبلغت ستون ألف وثلاثمئة دار، وكان عدد الحوانيت ثمانين ألف وأربعمئة وخمسة وخمسين حانوتاً، وعدد الحمامات تسعمئة وأحد عشر حماماً[3].

3.5 الأسعار:

تأثرت أسعار السلع في الأندلس في عهد الناصر بالحالة السياسية والاقتصادية التي تمر بها البلاد، فإذا عم الأمن، كانت الأسعار رخيصة بشكل كبير، أما إذا اهتز حبل الأمن، فإن الأسعار ترتفع، فقد كان لأحداث فتنة ابن حفصون[4] في بداية عهد الناصر أكبر الأثر في ارتفاع الأسعار وزيادة الغلاء، فقد وصفت أحوال الدولة خلال هذه الفتنة بأنها كانت مهددة بالخراب التام، وعمتها السرقة والنهب وسبي النساء

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص232؛ المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص527.

(2) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص569.

(3) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص540.

(4) انظر: الفصل الأول، سياسة الناصر الداخلية.

وتوقف الولايات عن إرسال الجباية، وأقفرت الأسواق لعدم التجارة وأرتفع ثمن الخبز إرتفاعاً كبيراً[1].

وبعد القضاء على ابن حفصون عمّ الأمن في جميع أنحاء الأندلس فغلب على الأندلس الرخص والسعة في جميع الأحوال[2]، وزادت واردات الدولة المالية[3].

كذلك تأثرت الأسعار بمقدار العرض والطلب وحالة الزروع، ففي بعض الأحيان يكثر الإنتاج فيزيد عن الحاجة، ويُصدَّر إلى الخارج فتنخفض الأسعار نتيجة لذلك وتنتعش الأحوال الاقتصادية، وأحياناً يقل الإنتاج لشدة ما، فترتفع الأسعار، ففي سنة 308هـ/920م انخفضت الأسعار في بلاد الأندلس لتوافر الأطعمة والخيرات التي حصل عليها الناصر من غزواته في بلاد المشركين حتى "اجتمع عند الناس من الأطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله، ولم يجدوا لها ثمناً تُباع به، وكان القمح يباع ستة أقفزة بدرهم فلا يوجد من يشتريه"[4].

كما وتتأثر الأسعار إنخفاضاً وإرتفاعاً بتعرض البلاد للكوارث الطبيعية كالقحط وانحباس الأمطار وغيرها[5]، حيث ترتفع الأسعار عندما تتعرض البلاد لمثل هذه الكوارث، فقد أدت حالات الجفاف والقحط والسيول أحياناً إلى إرتفاع الأسعار كما حدث في سنة 302هـ/914م، إذ أمحل الناس وغلت الأسعار وقل ظهور الحنطة في الأسواق، وشمل القحط الأندلس كلها وثغورها وغلت الأسعار في جميع جهاتها[6]، وفي سنة 303هـ/915م اجتاحت العواصف الثلجية مدينة تطيلة، فأتلفت المحاصيل الزراعية، ونتج عن ذلك غلاء شديد وارتفاع في الأسعار حتى بيع القمح باثني عشر

---

(1) دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ص187.

(2) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص138.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص167؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص179-180.

(5) انظر: الفصل الثاني، الكوارث الطبيعية وأثرها على الزراعة.

(6) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص103-104؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص 166.

دينار، كما مات كثير من الناس جوعاً، بينما هاجر عدد كبير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب[1].

وفي سنة 317هـ/929م، انحبس المطر، ففسد الزرع، وغلت الأسعار بدرجة كبيرة، واضطر الناصر إلى دعوة الناس لإقامة صلاة الاستسقاء بجامع قُرْطُبَة[2]. وفي سنة 324هـ/935م أمحلت الأندلس "المحل العام الذي لم يعهد فيها بمثله، ولا سُمع كاتّصاله، إذ تمادت السنة على محلها، وضنَّت السماء بوَبْلها، فلم تَنِضّ بقطرة، ولا بلّت مدرة، فأقام الناس مع ذلك بحال صالحة، لم تُنْفق أسعارهم كل الإنفاق لاحتباس، ولا تبدّلت لهم حال بشدة الإمحال، بل بقيت النعم وسطهم وافرة، واستمرت البركات بينهم ظاهرة، ووردت إليهم الخيرات من كل الجهات متوالية، فاشتمل عليها الرخاء"[3]، واجتمع هذا المحل مع حريق سوق قُرْطُبَة بهذا العام مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، وقلت الأقوات، إلا إن الخليفة الناصر بذل الأموال الكثيرة لمعالجة هذه الأزمة فخرج منها الناس دون أن يتبدل عليهم حال لشدة الإمحال. وفي ذلك قال الشاعر في مدح الناصر:

نعم الشفيعُ إلى الرحمنِ في المطرِ مُستنزل الغيثِ بالإعذارِ والنُّذُرِ[4]

وداهم قُرْطُبَة محل عام 330هـ/941م بسبب انحباس المطر، واستمر المحل حتى منّ الله على أهل قُرْطُبَة بالمطر فرويت الأرض ورخصت الأسعار[5].

وعاد القحط والمحل يعصف بالأندلس في الأعوام 335[6]، 352هـ[1] وصاحب ذلك ارتفاع في الأسعار وزيادة في الغلاء، كما حدث في مدينة شاطبة، حيث كانت الثياب البيض تُباع بأثمان غالية[2].

---

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص124.

(2) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص250-251.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص383-384.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص384.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص476-478؛ ذكر ابن عذاري أن هذا المحل كان في سنة (335هـ/ 946م). انظر: ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص214.

(6) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص214.

أما في الأحوال العادية البعيدة عن حدوث الكوارث الطبيعية، وسنوات المحل والقحط، فقد انخفضت الأسعار، وغلب على الأندلس الرخص والسعة في جميع الأحوال، وبين العامة والخاصة[3]، وتميزت بذلك العديد من المدن الأندلسية، كمدينة سالم، ودورقة[4]، وأوريولة[5]، وجَيَّان[6]، وشريش[7]، وقلعة أيوب[8]، وغيرها، وكانت أسعار المواد الغذائية رخيصة جداً، حيث وصل سعر ستة أقفزة من القمح بدرهم واحد، ولا يوجد من يشتريه[9]، وكانت أسعار الفواكه "كالتي لا ثمن لها"[10]، وخاصة في مدينة سَرَقُسْطَة[11]. أما أسعار المواشي فهي غالية الثمن، فقد بلغ سعر البغل الواحد خمسمئة دينار، وذلك نظراً لأهميتها، فهي تشكل الوسيلة المثلى لحركة النقل الداخلي، وتمتاز بحسن السير وسرعة المشي، وعظم الخلق واختلاف الألوان الصافية مع الصبر على الكد والعسف، وتحمل المشاق[12]، وكانت البغال تُستخدم لنقل الماء والحراثة[13]، ولذا فإنه لم يكن في استطاعة الفقراء اقتناء البغال وشرائها، فاقتصر الأمر في معظم الأحوال على الأمراء والأغنياء ومن في حكمهم[14].

---

(1) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص239.

(2) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص282.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109/104.

(4) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص277.

(5) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص34.

(6) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص295؛ الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص70.

(7) الإدريسي، **القارة الأفريقية**، ص301.

(8) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص163.

(9) ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص179-180.

(10) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص109.

(11) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص97.

(12) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص110.

(13) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص135.

(14) ابن حيان، **المقتبس**، ص220.

ومن أجل المحافظة على مصالح عامة الناس وخاصة الفقراء منهم جرت العادة في الأندلس على تسعير السلع الأساسية التي كانت تُعرض بالأسواق وبصفة خاصة الغذائية منها كالقمح، وذلك عن طريق وضع ورقة عليها السعر أمام كل سلعة، كأسعار اللحوم مثلاً، حيث تُسجّل عليه ورقة بسعره، فلا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدد له المحتسب في الورقة[1]، وكان التسعير يتم بالتراضي بين صاحب السوق والتجار بحيث "إذا سعّر عليهم شيئاً يكون فيه ربح يقوم لهم في غير اشتطاط"[2].

4.5 وسائل التبادل المالي:

1.4.5 النقود

كانت العملة المتداولة في البلاد العربية حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هي الفارسية والرومانية (البيزنطية)، وكانت الأولى متداولة بشكل رئيسي في العراق وفارس، والثانية في الشام ومصر، كما وكانت العملة الفارسية هي الدراهم الفضية بينما كانت العملة الرومانية هي الدنانير الذهبية[3].

ذكر السيوطي أن أول من ضرب الدنانير في المشرق هو الخليفة عبد الملك بن مروان، حيث كتب على الوجه الأول (قل هو الله أحد) وعلى الوجه الآخر (لا إله إلا الله)، وطوقه بطوق من فضة، وكتب فيه (ضرب بمدينة كذا)، وكتب خارج الطوق "محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق"[4].

---

(1) المقّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص218-219.

(2) الكناني، **أحكام السوق**، ص50.

(3) حتاملة، **الأندلس**، ص1072.

(4) السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن (ت 911هـ/ 1505م)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، ط1، القاهرة 1999م، ص173. (يشار إليه فيما بعد: السيوطي، تاريخ الخلفاء).

وفي الأندلس لم يتم سك العملة خلال عصر الولاة (95-138هـ/714-756م)، وذلك بسبب إضطراب الأوضاع السياسية[1]، حيث تكثر الخلافات بين العرب والبربر[2]، وكان الأندلسيون يتعاملون بما يُحمل إليهم من دراهم أهل المشرق[3].

وفي عصر الإمارة (138-316هـ/756-928م)، استقل بني أمية في الأندلس من الناحية السياسية عن المشرق الإسلامي، فبدأ الأمير عبدالرحمن الداخل بضرب الدراهم في الأندلس سنة 146هـ/763م، على نسق الدراهم الأموية المعرَّبة منذ عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، وخلال عصر الإمارة ظل ضرب النقود غير منتظم حتى أنشأ الأمير عبدالرحمن الأوسط (206هـ-238هـ/821-852م) داراً للسِكَّة في مدينة قرطبة، بالقرب من المسجد الجامع[4]، ثم تعطّلت دار السكة حتى سنة 316هـ/928م، حين أمر الخليفة الناصر "بإتخاذ دار السِكَّة داخل مدينة قرطبة، لضرب العَيْن من الدنانير والدراهم... يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان منها (316هـ)، فقام الضرب فيها من لدن هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة... وقد كان الضرب للنقد معطلاً قبله بدهر، فعظمت منه منفعة الناس، واكتملت خصال دولته"[5].

وقد اهتم الخليفة الناصر اهتماماً كبيراً بدار السكة، ومن مظاهر اهتمامه أنه اتخذ السياسة النقدية الجديدة بعد القضاء على ثورة ابن حفصون وأبنائه، وبعد التلقب بأمير المؤمنين، لأن السياسة المالية دعامة أساسية من دعائم الدولة لا تقل شأناً عن تعبئة الجيوش ضد نصارى الشمال، أو مقاومة الثائرين، كما أنه كان يتولى بنفسه تعيين وعزل صاحب السكة، "فكان أول من تولّى هذا المنصب أحمد بن محمد بن موسى بن حُدير الذي بقي في منصبه حتى عُزل سنة 320هـ، ثم عيّن الناصر يحيى بن يونس القَبْري، ثم محمد بن فُطيس سنة 321هـ، ثم سعيد بن جسّاس سنة322هـ... وكان من

---

(1) Imamuddin, **Economic History Of Spain.** P 413

(2) أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، يبحث في الحياة العقلية في الأندلس من فتح العرب إلى خروجهم منها، ط5، بيروت 1969م، ج3، ص41-42. (يشار إليه فيما بعد: أمين، ظهر الإسلام).

(3) حتاملة، **الأندلس**، ص1073.

(4) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص418.

(5) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص243.

أشهر من تولى منصب صاحب السكة هو قاسم بن خالد، صاحب العيار الجيد المضروب به المثل[1]"، والتي إليه تُنسب الدراهم القاسمية[2].

ومن مظاهر اهتمام الناصر بدار السكة، أنه تشدد في معاقبة كل من يتلاعب بالنقود، فقد أمر بعزل سعيد بن جسّاس عن خطتي الوزارة والسكة معاً، وأمر بسجنه، عندما كشف غِشّّّه بعيار النقد[3].

هذا وقد بقيت دار السكة في مدينة قرطبة، حتى أمر الخليفة الناصر عام 336هـ948م بنقلها إلى مدينة الزهراء، وقلّدها عبدالرحمن بن يحيى، واتصل الضرب بها طيلة حياة الخليفة الناصر وحيناً من الدهر بعده[4].

ويلاحظ من خلال سياسة الخليفة الناصر أنه حرص على تأكيد طابع المركزية في سك النقود، إذ كانت العاصمة هي مكان دار السكة، وكانت المدن الأندلسية الأخرى تتبع النظام النقدي المركزي في العاصمة قرطبة ثم في مدينة الزهراء[5].

وقد بلغ دخل دار السكة في عهد الخليفة الناصر في كل سنة مائتي ألف دينار[6]، وكان يُسمح لأهل قرطبة وغيرها من مدن الأندلس أن يقدموا ما لديهم من ذهب وفضة لتضرب في الدار دنانير ودراهم، نظير رسم مئوي ضئيل هو الذي كان يتجمع منه دخل هذه الدار[7].

وكانت النقود المتداولة في الأندلس على عدة أنواع هي:

1. الدنانير الذهبية
2. الدراهم الفضية

---

(1) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص243. انظر بقية أسماء أصحاب دار السكة: قائمة الملاحق.

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص486-487؛ ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص296؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص161؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص231.

(3) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص243.

(4) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص244.

(5) خليفات، **التجارة**، ص103.

(6) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104.

(7) خليفات، **التجارة**، ص103.

3. الفلوس النحاسية

تميز الدينار والدرهم بشكلين مدورين، والكتابة عليهما في دوائر متوازية يُكتب على أحد الوجهين أسماء الله تهليلاً وتحميداً والصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وسلم، وفي الوجه الثاني التأريخ واسم الخليفة(1)، وكانت النقود الذهبية أصغر استدارة من النقود الفضية، ولكنها كانت الأكثر سمكاً(2).

وكان الدينار يساوي سبعة عشر درهماً(3)، والدرهم ستون فلساً(4)، وسواء أكان التعامل التجاري يتم بالدراهم أو الدنانير فإن النقود كانت في كل معاملة تُوزن، وتُحسب قيمتها بالنسبة لكيل درهم متفق عليه وهو الدرهم القاسمي(5).

واختلفت القيمة الشرائية للدنانير والدراهم بحسب الحالة الاقتصادية التي تمر بها الدولة، فعندما يعم الأمن والاستقرار وتكثر الخيرات ترتفع قيمة النقد، وعندما ينعدم الأمن وتقل الخيرات تنخفض قيمة النقد، ففي سنة 303هـ/ 915م عمّت المجاعة بلاد الأندلس فوصل سعر قفيز القمح إلى اثني عشر دينار(6)، في حين بيعت في سنة 308هـ/ 920م كل ستة أقفزة من القمح بدرهم، فلم تجد من يشتريها لكثرة ما اجتمع للناس من الخير في هذه السنة(7).

2.4.5 السفاتج والصكوك

---

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، ص446.

(2) خليفات، **التجارة**، ص104.

(3) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص104.

(4) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت 290هـ/ 902م)، **مختصر كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت د.ت، ص84. (يشار إليه فيما بعد: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان).

(5) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص161.

(6) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص124.

(7) انظر: ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص167؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص179-180.

السفاتج كلمة فارسية، مفردها سفتجة، ومعناها ورق النقد أو رسالة الرصيد[1]، أما الصكوك، فمفردها صك، ومعناها سند الدَّين، وهي تشبه في الوقت الحاضر الكمبيالة أو الشيك[2]، وقد كانت السفاتج والصكوك من وسائل المعاملات الهامة في الأندلس، حيث استخدمه الأندلسيون في المعاملات الضخمة، وذلك ضماناً لاتمام تلك العمليات وتسهيلها، كذلك لأن السفاتج من الوسائل المأمونة من الضياع والسرقة، كما أنها خفيفة الحمل، بعيدة عن يد اللصوص، مما مكّن التجار من نقلها إلى مسافات بعيدة عوضاً عن النقود، حيث يُذكر عن أحد المشارقة أنه سافر إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ومعه سفتجة وخمسة ألاف درهم نقداً[3].

وبشكل عام كانت السفاتج والصكوك تُصدر عن طريق صرّاف النقود وتصبح مدفوعة بعد أربعين يوماً من رسمها[4].

وعرف الأندلسيون نظام الحوالة، وكثيراً ما استخدمه التجار في أسواق قرطبة، وقد وضّح ابن العطار هذا النظام بقوله: "ويجري بين التجار في الأسواق عندنا بقرطبة أن يقول الغريم لغريمه أنزلك بمالك على فلان، فإن لي عليه مثل ذلك أو أكثر، فيأتيه فيقول: قد أنزلك عليه هذا بدينه وهو كهذا، فادفعه إليه مما لي عندك"[5].

وشاع في الأندلس نظام الإقتراض لأجل معين، بحيث يقوم صاحب المال بإقراض ماله إلى شخص ما ليستغله في التجارة، ويكون للمقترض الحرية في اختيار نوع التجارة التي يريدها، ويتم اقتسام الربح بين الطرفين بنصفين، أو يكون لصاحب المال ثلثاه وللتاجر ثلثه، ويعود رأس المال لصاحبه، ويكون الإقتراض إما نقداً أو عيناً على شكل كمية من القمح أو الشعير أو غيرهما[6].

---

(1) Imamuddin, **Economic History Of Spain.** p 44

(2) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج2، ص379؛ مسعد، **العلاقات بين المغرب والأندلس**، ص165.

(3) متز، **الحضارة الإسلامية**، ج2، ص379.

(4) Imamuddin, **Economic History Of Spain**. p 441

(5) ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص153.

(6) ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص92-96.

5.5 وحدات الوزن والكيل:

كانت تتم عمليات البيع والشراء في بلاد الأندلس بالموازين والمكاييل، فالموازين مفردها ميزان على وزن مفعال، تقول العرب: وزنت الشيء وزناً أي امتحنته بما يعادله، ووزنت الرجل وزنت له إذا أقبضته ثمن شيء يوزن، والوزن هو ما لزمه اسم الارطال والأواقي والأمناء[1].

والميزان اسم لمجموعة أجزاء لكل منها اسم يخصها، نبتدي أسماءها من أعلاها وهو المخيط الذي يعلق به الميزان يسمى العذبة، والذي توصل به العذبة وفيه اللسان يسمى المنجم، ويسمى ما تكنف اللسان منها الفياراز واحدها فيار، والحلقة التي تجمع فيها الخيوط في طرف الحديدة هي الكظامة، والعقد التي في أسفل الميزان تسمى السعدانات، والكفتان واحدتها الكفة[2]. أما المكاييل فمفردها مكيال وكيل، والمكيال والكيل هو كل ما لزمه اسم المختوم[3] والقفيز والمكوك[4] والمد والصاع[5].

وقد تعددت وتنوعت موازين ومكاييل الأندلس كغيرها من بلدان العالم الإسلامي، واختلفت مقاديرها باختلاف الأقاليم، فكان لكل إقليم أوزانه ومكاييله الخاصة به، وفيما يلي عرض لأهم وحدات الوزن والكيل:

أ. وحدات الوزن:

---

(1) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص45. الأمناء: جمع من، والمن اسم لمقدار من الوزن يساوي شرقاً رطلين، وكل رطل 130درهماً. انظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص45.

(2) العزفي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 633هـ/1236م)، **حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد**، تخريج ودراسة محمد الشريف، المجمع الثقافي، د.ط، أبو ظبي 1999م، ص139. (يشار إليه فيما بعد: العزفي، حقيقة الدينار والدرهم).

(3) المختوم: هو الصاع، وسمي بذلك لأن الأمراء كانوا يجعلون عليه خواتمهم كي لا يُزاد فيه أو يُنقص. انظر: **العزفي، حقيقة الدينار والدرهم**، ص138.

(4) المكوك: هو مكيال مقداره صاع ونصف. انظر: الشيزري، **نهاية الرتبة**، ص17؛ هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص79.

(5) الصاع: يتألف الصاع الشرعي من أربعة أمداد. انظر: هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص63.

يزن رطل وثلث، أي 16 أوقية[1]، وعلى ذلك يكون المد القرطبي ومد أهل المدينة النبوي متساويين، حيث أن كليهما يحتوي على 16 أوقية.

واستعمل المد في الأندلس لوزن الأشياء اليابسة والحبوب كالقمح والشعير والحمص والفول وغيرها[2]، كما واستعمل المد في كيل الدراهم، وفي ذلك يقول ابن الكردبوس: "أن جملة ما أنفقه الخليفة عبد الرحمن الناصر في بناء مدينة الزهراء من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبي خمسة وثمانين مداً[3].

2. المدى

ويعتبر أحد المكاييل التي أخذها الأندلسيون عن أهل الشام، وهو مكيال ضخم كان يساوي في بلاد الشام جريباً[4]، والجريب يتسع لـ 22.715 كغم[5]، أما في الأندلس فكان يتسع إلى 44 مداً قرطبياً (أو 704 أوقية)، ويكيل 44.16 لتراً[6]، وكان المدى القرطبي يزن ثمانية قناطير، والقنطار مئة وثمان وعشرين رطلاً[7]، وبالأقفزة كان يشتمل على 12 قفيزاً، ويشير إلى ذلك ابن غالب بقوله: "وهذا المدى القرطبي زنته ثمانية قناطير، والستة أقفزة هي نصف مدى زنته أربعة قناطير"[8].

3. الكيل

---

(1) الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت 759هـ/1357م)، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 6، ع1-2، مدريد 1958م، ص81. (يشار إليه فيما بعد: الحكيم، الدوحة المشتبكة).

(2) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص389؛ ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص42.

(3) ابن الكردبوس، **الإكتفاء**، ص81.

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، ج15، ص271.

(5) ابن منظور، **لسان العرب**، ج15، ص271؛ هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص61.

(6) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص68

(7) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص161.

(8) ابن غالب، **فرحة الأنفس**، ص301.

كانت وحدة الوزن الشائعة في الأندلس هي الرطل[1]الذي كان يزن ما بين 12-13 أوقيـة[2]، وكـل أوقيـة كانـت تسـاوي ثمانيـة مثاقيـل، والمثقـال يـزن 4.722غـم[3]. وقـد استخدمت وزنتي المثقال والدرهم الشرعي(3.3غم) لوزن المعادن الثمينة من الذهب والفضة وبعض المواد النادرة كالتوابل[4]، وقد روي أن الوزير أحمد بن عبدالملك بن سعد أهدى للناصر هدية كبيرة، منها خمسمئة ألف مثقال من الذهب العين[5].

ب. وحدات الكيل:

1. المُد

سمي بهذا الاسم لأنه قدر ما تمتد به يدي الإنسان لعطاء أو غيره[6]، وكلمة مُد مأخوذة من الاصطلاح اللاتيني (Modius) أو (Modium) ثم انتقلت إلى العربية ومنها إلى الإسبانية بنفس الشكل(Almud)[7]. وجمع المد أمداد[8]، والمد هو كيل معين، اختلفت سعته في مختلف مدن العالم الإسلامي بإختلاف المكان والزمان، فالمد النبوي (مد أهل المدينة) كان يساوي نحو رطل وثلث، أي 16 أوقية[9]، وفي مراكش كان المد ستة أرطال وثلث أو 2.786 كغم من القمح، وفي مدينة فاس كان مد القمح 80 أوقية، وكل أوقية 41.6غم وتساوي 3.328 كغم[10]، أما المد القرطبي فقد كان

(1) الإدريسي، **القارة الإفريقية، ص294**..

(2) ابن العطار، **الوثائق والسجلات**، ص52؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص161.

(3) هنتس، **المكاييل والأوزان** ، ص37.

(4) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص18.

(5) ابن خلدون، **العبر**، مج7، ص299.

(6) العزفي، **حقيقة الدينار والدرهم**، ص126.

(7) ابن الكردبوس، **الإكتفاء**، ص53؛ ابن عذاري، **البيان المُغْرب**، ج2، ص230.

(8) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص68.

(9) العزفي، **حقيقة الدينار والدرهم**، ص126.

(10) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص75.

تعني كلمة "كيل" في الأندلس مكيال أو معيار معين. يقول تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾[1]، ويُستخدم الكيل في وزن المواد الصلبة والسوائل والحبوب، وتردد ذكره كثيراً في النصوص الأندلسية مما يشير إلى أنه كان من المكاييل الشائعة الاستخدام في أسواق الأندلس والمتعارف عليها بين الناس[2]، فابن عذارى يذكر أن الخليفة الناصر أنفق في بناء صومعة (مئذنة) مسجد قُرْطُبَة من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبي ما قيمته سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل، وكان الكيل القرطبي في العصر الأموي يساوي 6 أمداد بالمد النبوي، والمد النبوي يزن رطل وثلث ويساوي 16 أوقية[3]، وبذلك يكون الكيل القرطبي يزن 8 أرطال ويعادل 96 أوقية.

4. القفيز

يعتبر القفيز من المكاييل الرسمية لقُرْطُبَة الأموية، والقفيز الأندلسي يساوي 60 رطلاً[4]، ويتسع ل 42 مداً نبوياً، أي أنه كان يكيل 44.16 لتراً[5]، (672 أوقية)، وكان يستعمل في وزن الحبوب[6].

5. الوسق

وهو حمل البعير، وقد سمي بهذا الاسم لأنه يعادل حمل بعير، تقول العرب أوسقت البعير إذا أوقرته (حملته)[7]، والوسق ستون صاعاً[8]، والصاع أربعة أمداد[9]،

---

(1) **سورة الأنعام**، آية 152.

(2) الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص273.

(3) ابن عذاري، **البيان المُغْرِب**، ج2، ص230-231.

(4) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص240.

(5) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص68.

(6) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص68.

(7) الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص300؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج10، ص381.

(8) الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص300.

(9) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص63.

وإذا كان المد رطل وثلث[1]، فعلى ذلك يكون الوسق 320 رطلاً، وكان يستعمل في وزن الحبوب[2]، والفواكه[3].

6. القِسط

وتعني كلمة القِسط (بكسر القاف) في اللغة العدل والميزان[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿وإنْ حَكَمْتَ فأحْكُمْ بينَهُم بالقِسطِ، إنَّ اللهَ يُحِبُ المقْسِطِين﴾[5]، و القِسط أيضا الحصة والنصيب يقال تقسطنا الشيء بيننا[6]، وهي تعني مكيال أو معيار معين، وكان القِسط يساوي بكيل سوق قُرْطُبَة نصف صاع، والصاع 4 أمداد، والمد رطل وثلث[7]، بذلك يكون القِسط رطلان وثلثان.

وكان القِسط يُستخدم في وزن المواد السائلة مثل العسل والسمن والزيت وغيرها، وهذا ما يؤكده ابن حيان عندما يذكر أن الخليفة الناصر قد أهدى في سنة 324هـ/ 936م عامله على المغرب موسى بن أبي العافية (ت 326هـ/ 938م) هدية ثمينة، ومن جملة هذه الهدية ثلاثون قسطاً من العسل، وعشرون قسطاً من السمن ومئة قسط من الزيت[8].

7. الفنيقة

(1) الحكيم، **الدوحة المشتبكة**، ص81.
(2) ابن منظور، **لسان العرب**، ج10، ص381.
(3) الحِمْيَري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص97.
(4) الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص223.
(5) سورة المائدة، آية 42.
(6) الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص223.
(7) هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص63.
(8) ابن حيان، **المقتبس**، ج5، ص389.

تعتبر الفنيقة أحد مكاييل الحبوب المعروفة والتي شاع استخدامها في مختلف البلدان الإسلامية ومنها الأندلس، وكانت الفنيقة القرطبية تزن 30 رطلاً، ويبين ذلك المقدسي بقوله: "القفيز الأندلسي 60 رطلاً ... والفنيقة نصف القفيز"[1].

8. الربع

ويستخدم للحبوب والسوائل والمواد الصلبة، فقد ذكر المقَّري الربع بقوله: "أنه كان يحترق في جامع قُرْطُبَة في كل سنة من الزيت ألف ربع"[2]، أما السقطي فيشير إلى استخدام الربع في وزن الحديد، حيث يذكر أن صناعة كل سفينة بحرية تتطلب ما وزنه أربعون ربعاً من المسامير، واختلفت سعة الربع بحسب نوعية السلع المكالة به، فمن الحديد كان يزن حوالي 24 رطلاً، أما من الشراب فكان يتسع لما مقداره 18 رطلاً[3].

9. الثُمن

الذي يعتبر من المكاييل الشائعة الاستخدام في الأسواق الأندلسية، فكان يستعمل في وزن المواد السائلة مثل الزيت والخل والعسل وغيرها، ونلمس ذلك من خلال إشارة القاضي عياض عند ترجمته للفقيه إسحق بن إبراهيم بن مسرة (ت 352هـ/965م)، حيث يذكر أن هذا الفقيه كان يبتاع في سوق الكتان بقُرْطُبَة ما يشتري به قوته وهو "ربع دقيق، وثُمن الزيت"[4]، كما استخدم الثمن أحياناً في اكتيال الحبوب، ووزن النقود من الدراهم الفضية والدنانير الذهبية، أما عن مقدار الثمن، فقد كان يزن ما بين رطلين ونصف إلى ثلاثة أرطال ونصف، وذلك بحسب نوعية السلعة، فثمن الخل كان يزن رطلين ونصف إلى ثلاثة أرطال، وثمن لبن الغنم ثلاثة أرطال وربع، وثمن لبن الماعز ثلاثة أرطال وثلاث أواق، في حين أن ثمن العسل كان يساوي ثلاث أرطال ونصف[5].

---

(1) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص240.

(2) المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص218.

(3) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص82.

(4) القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج5، ص198.

(5) السقطي، **في آداب الحسبة**، ص78.

الخاتمة:

نستخلص من الدراسة التي تناولت الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الناصر (300-350هـ/912-961م)، عدداً من الحقائق أهمها:

1. استخدم الأمير عبد الرحمن في مستهل إمارته سياسة الشدة والقوة لإستتباب الأمن واستقرار السكينة والقضاء على الحركات المناوئة، فقاتل المخالفين، حتى انقاد العصاه لطاعته، فأخمد الثورات في سائر مدن الأندلس، فأستقامت البلاد وأمنت الناس في دولته. كما واستطاع بقوته أن يجمع أكثر المدن الخارجة عن الطاعة تحت حكمه، ويصل بالأندلس إلى درجة عظيمة من الرخاء والمجد. ومما أعانه على نجاحه في إخماد الثورات هو خروجه بنفسه في أغلب الحملات العسكرية، فكانت الخمس والعشرين سنة الأولى من إمارة الناصر قد شهدت إرساء وحدة الأندلس من جديد، وخضوعها لسلطة الدولة، كما وكانت الخمسين السنة التي حكمها بالغة الأهمية لما حققته القوات من إنجازات وإنتصارات على الممالك الإسبانية في الشمال: ليون ونبرة، وقشتالة، كذلك على الدولة الفاطمية في المغرب العربي.
2. أعلن الناصر الخلافة الأموية في الأندلس، ولقَّب نفسه بالناصر لدين الله سنة 316هـ/928م، وذلك بعد أن قضى على الحركات المناوئة، وبعد أن بلغه التسلط التركي على الخلافة العباسية زمن الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م) الذي عجز عن حماية العالم الإسلامي. كما وكان لقيام خلافة شيعية فتية

معادية في المغرب سنة 297هـ/909م، وهي الخلافة الفاطمية التي اتسعت رقعتها بعد انتقالها إلى مصر، وتأسيسها مدينة القاهرة سنة 358هـ/969م، من أهم أسباب إعلان الناصر الخلافة. ومن الأسباب أيضاً ضعف مكانة الأمير الأموي في قُرْطُبَة، نتيجة للثورات والفتن الداخلية التي شغلت عهود ثلاثة من الأمراء قبله، بحيث أصبحت الحاجة ماسة إلى رفع مكانة الأمير ومنزلته السياسية والدينية، لا سيما أن تلك الغزوات الداخلية قد تم القضاء عليها من قبل الناصر، كذلك فإن لقب خليفة يُهيئ للعاصمة قُرْطُبَة دوراً أكثر مركزية يمكنها من القبض على أطراف الدولة قاطبة، ويُمكّنها من قمع أي تحرك إنفصالي بالسرعة القصوى، كما أن الناصر بدعوته للخلافة لم يؤكد حقه الشامل في حكم المسلمين، بل استقلال حكام الأندلس عن أي سلطة سياسية إسلامية عليا. وكان لأهل البلاد دور في إعلان الخلافة حيث منحوا أميرهم لقب خليفة تقديراً لجهوده في توحيد البلاد، وتثبيت أركانها وإعادة مجدها، وذلك بعد أن تيقنوا من ضعف الخلافة العباسية وبطلان خلافة الفاطميين في المغرب.

3. كان لدخول العناصر البشرية والخبرات الجديدة مع الفتوحات الإسلامية إلى الأندلس، دور في نشأة الزراعة وتوسيع رقعة الأراضي المزروعة، وتطويرها فيما بعد، كما وكان لإعتدال مُناخ الأندلس، وخصوبة التربة، وتوفر الموارد المائية التي تتمثل في مياه الأمطار والأنهار، والعيون، والآبار، أثر كبير في تنوع النباتات وتعددها. وقد عرف الأندلسيون تركيب الأشجار، والتقليم والتركيب، وزراعة كل نوع من النباتات في التربة التي تلائمه، بعد أن درسوا صلاحية كل تربة، والنباتات التي تصلح للنمو فيها، وبهذه الطريقة أمكن استغلال الأراضي الزراعية، كما واعتنى المسلمون بتسميد الأرض، بعد أن عرفوا السماد الصالح لكل نوع من النباتات، واتسعت ملكية الأراضي الزراعية بين أوساط المجتمع الأندلسي بشكل كبير، مما يدل على أن المجتمع الأندلسي كان يعشق الزراعة إلى درجة يصح أن نسميه مجتمعاً زراعياً، ووضع الأمويون تقويماً للزراعة عُرف بالتقويم القرطبي، الذي أصبح دليلاً تُحدد على أساسه مواعيد زراعة النباتات المختلفة،

وعـرف المسـلمون نظـام القلـب والتـذييل وهـو نظـام لإعـداد الأرض للزراعـة، واستخدموا الثيران لحراثة الأرض.

4. كـان للخليفـة الناصـر دور فـي تشـجيع زراعـة النباتـات وزيـادة مـوارد الثروة النباتيـة تفادياً لسنين القحط والجفاف، ومن مظاهر اهتمام الناصر بالزراعة أن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع أرسل سنة 337هـ/948م مجموعة من الكتب الزراعية في الحشـائش والنباتـات الطبيّة من كتب (ديوسقوريدس)، وأرسل مـع البعثة راهباً يسـمى نيقـولا لكـي يقـوم بتحريـر أنـواع النباتـات والحشـائش المـذكورة فـي الكتـب، فاستقبل الناصر البعثة، وأمر بترجمة الكتب والاستفادة منها، واستخدم الأندلسيون آلة تسمى السكَّة والتي تُستخدم لفلاحة الأرض، كما واستخدموا المنجل في حصـاد زروعهم، ووضعوا قانوناً لتوزيع المياه عُرف بمحكمة المياه، والتي كانت تُعقد بين الأهـالي لتنظـيم توزيـع الميـاه علـى الفلاحـين، وهـي محكمـة أهليـة لا دخـل للدولـة فيها، وكان حكمها نافذاً على الجميع، ومن أساليب الري التي استخدمها المسلمون في ري مزروعاتهم النواعير والدواليب.

5. شـهدت مـدن الأنـدلس خـلال عهـد الناصـر عـدة كـوارث طبيعيـة كـالقحط والجفـاف والسيول والفيضانات، والزلازل والرياح والصواعق والعواصف والثلوج والحرائق التي كان لها أثر سلبي علـى الأوضـاع الزراعيـة والاقتصـادية بشكل عام، فقد أدت إلـى حـدوث مجاعـات وانتشـار الأوبئـة والأمراض، بالإضـافة إلـى مـا كانـت تتعـرض لـه البلاد من تدمير وخراب نتيجة المنازعات والثورات الداخلية التي شـهدتها الأنـدلس قبل إعلان الناصر الخلافة.

6. تعـددت المنـاطق الرعويـة بالأنـدلس واتسـمت بالخصـب، وكـان لـذلك دور هـام فـي انتشـار تربيـة الماشـية وتكاثرهـا، فقـد أصـبحت الأنـدلس رخيصـة الماشـية لاتسـاع مراعيهـا، وكثـرة مواشـيها. ومـن المواشـي التـي اهـتم الأندلسـيون بتربيتهـا الأغنـام والمـاعز والبقر وذلـك لأنهـا تُشـكل مـورداً غـذائياً هامـاً، كمـا واهتمـوا بتربيـة البغـال لأغراض النقل والحراثة، وتربية الخيول لدورها العسكري في حفظ البلاد وضـبط الأمن فيها، كذلك لاستخدامها في مجال النقل.

7. ساعدت مجموعة من العوامل على قيام التجارة في الأندلس وهي، الموقع الجغرافي، ووفرة المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية ومنتجاتها والمواد الصناعية، وتوفر الأمن والاستقرار، كما وكان للعلماء دور مهم في تنشيط التجارة الأندلسية مع البلدان الأخرى، وخصوصاً مع المشرق الإسلامي، حيث يعتبر عمل العلماء بالتجارة من العوامل الإيجابية المؤثرة في ازدهارها، وبالإضافة إلى ذلك كان إنشاء الفنادق عاملاً إيجابياً من العوامل المؤثرة في التجارة، كما يدل في الوقت نفسه على اهتمام الإمارة الأموية بالتجارة والمشتغلين فيها، وكانت هذه الفنادق مأوىً للتجار الغرباء، ولذلك انتشر بناء الفنادق في مختلف مدن وقرى الأندلس.

8. انتظمت التجارة الداخلية في أماكن متخصصة لمزاولة النشاط التجاري من بيع وشراء، عُرفت هذه الأماكن بالأسواق التي كانت تُقام في الغالب بالقرب من المسجد الجامع، وانقسمت الأسواق إلى قسمين، الأول: الأسواق المتخصصة، يُباع في كل واحد منها نوع واحد من السلع، كأسواق الدواب والنخاسة وغيرها، والقسم الثاني: الأسواق الجامعة الإسبوعية والموسمية والدائمة، وهي شاملة لكل صناعة ومتجر، وبالإضافة إلى ذلك وجدت القيساريات التي كانت مكاناً لخزن وبيع السلع والمتاجر، وكان يعلوها مساكن يقيم فيها التجار والصناع بأجر.

9. احتوت الأندلس على العديد من الطرق البرية، التي كانت بعضها من إنشاء المسلمين وبعضها الآخر من إنشاء الرومان، وامتازت هذه الطرق بتعدد المراحل والمحطات التي يستطيع التجار والمسافرون أن يتوقفوا بها للراحة أو قضاء الليل أو للتبادل التجاري، فكان التاجر المسافر ينزل في كل ليلة في مدينة أو قرية آهلة فيها أسواق وفنادق وحمامات، وقد أشار المؤرخون والجغرافيون إلى عدة طرق تجارية هامة في بلاد الأندلس، أهمها تلك التي تربط قُرْطُبَة حاضرة الأندلس بالمدن والمراكز التجارية الأخرى. كما واحتوت الأندلس على طرق نهرية للتنقل ونقل البضائع بين المدن التي تقع على الانهار.

10. تعددت البضائع المعروضة في الأسواق الأندلسية ومنها، المنسوجات والسلع الغذائية وخاصة القمح الذي شكَّل أهم السلع المتبادلة محلياً، في حين تصدر الرقيق قائمة السلع الأندلسية المتاجر بها خارجياً وذلك لقرب الأندلس من دول

أوروبا موطن هذه السلعة، ولوجود سوق نافقة لها في معظم دول العالم الإسلامي، ولأنها كانت تدر أرباحاً كبيرة على أصحابها.

11. اهتم الخليفة الناصر بالإشراف والرقابة على الأسواق، ويُطلق على متولي هذا المنصب اسم صاحب السوق، وقد شملت اختصاصاته مختلف جوانب الحياة التجارية، فهو المنظم للعمليات التجارية، فيراقب العملة ووحدات الكيل والوزن، ويمنع الباعة من الغِش والتلاعب بالأسعار، وكان له أعوان يساعدونه على أداء واجباته.

12. تميزت المدن التي تقع بالقرب من السواحل البحرية (وخاصة البحر الأبيض المتوسط) بحركة تجارية نشيطة لعمليات التصدير والاستيراد، فأنشئت في المدن الساحلية العديد من الموانئ التي تميزت بنشاط تجاري كبير لحركة الصادر والوارد، ومن هذه المدن إشْبِيلِيَة، وبجّانة وبَلَنْسية والجزيرة الخضراء ومالَقَة والمَريَّة، وكانت هذه المدن ترتبط تجارياً بعدد من بلاد العالم كالمغرب والعراق ومصر وخراسان واليمن والسودان والهند وأوروبا، فتُصدّر زيت الزيتون والتين والزبيب والحبوب ومختلف الصناعات النسيجية كالكتان والقطن والحرير، كذلك كانت تُصدر التوابل والجلود والفراء والرقيق والمعادن كالزئبق والكحل والنحاس، وتستورد السكر وبعض أنواع الفاكهة وجلود الفنك (الثعالب)، والجواهر كاللؤلو والعاج، وتستورد كذلك الرخام، والرقيق الصقالبة والسود.

13. توفرت في الأندلس مجموعة من العوامل ساعدت إلى حدٍ كبير على قيام الصناعة، وهي: رسوخ الحضارة في الأندلس، واهتمام أهل البلاد (من الإسبان) بالصناعات، والاستقرار السياسي، ووفرة المنتجات الزراعية، والأيدي العاملة، والمواد الخام اللازمة للصناعة كالمعادن، وخاصة الحديد والنحاس، ومن المواد الخام التي اعتمدت عليها معظم الصناعة الأندلسية الأخشاب، كأخشاب الصنوبر والزعرور، والزان.

14. تنوعت الصناعات الأندلسية، فمنها الغذائية كالحلوى والزيت والزبيب والألبان والسمن والجبن، والطحين، ومنها الصناعات التي تدخل في مواد التنظيف كالصابون الذي يُصنع من الزيت، ومن الصناعات أيضاً النسيجية كالحريرية

والقطنيـة والكتانيـة، حيـث يُصـنع منهـا الأقمشـة والثيـاب الفـاخرة ومختلـف أنـواع الملابس، وصـناعة البسط والسـجاد وغـزل النسيج، كمـا واشـتهرت فـي الأنـدلس الصـناعات التعدينيـة كالحـدادة والصـياغة، كـذلك اهـتم الأندلسـيون بالصـناعات الجلديـة والخشـبية والزجاجيـة والورقيـة والفخاريـة ومـواد البنـاء لسـد حاجـاتهم ومتطلباتهم الضرورية.

15. شـهدت معظـم مـدن الأنـدلس انتعاشـاً صـناعياً نـتج عنـه ظهـور عـدد مـن أنـواع الحرف المختلفة، وكان يشار لأهل الحرف بـ أهل الصنائع، وأرباب الصنائع، ومن هذه الحرف، الخيّاطون، والعطّارون والجزّارون والحبّالون والحصّارون والنجّارون والدّبَّاجون والفرَّانون والخرّازون والدّبَّاغون.

16. تعامل الأندلسيون بالـدراهم الفضـية، والفلوس النحاسية والـدنانير الذهبيـة، ومهمـا كـان التعامـل فـي أي مـن هـذه النقود فإنهـا كانـت فـي كـل معاملـة تُـوزن وتُحسـب قيمتها بالنسبة إلى كيل درهم متفق عليه، هو الدرهم القاسمي، كما وتعامل التجار الأندلسيون بالحوالـة والاقتراض والسفاتج، وكـان الرطـل وحدة الـوزن الشـائعة فـي الأندلس الـذي يزن مـا بين 13-12 أوقية، ومن أشـهر وحدات الكيل المُد والمدى والكيل والقفيز والوسق والقِسط والفنيقة والربع والثُمن.

17. أكدت الدراسـة أن دخل دار السكة في عهد الخليفة الناصـر فـي كل سنة مائتي ألـف دينـار، وأن وارد السـوق والمسـتخلص مـن الجبايـة فـي نفس الفتـرة سـبعمئة وخمسـة وستين ألـف دينـار (765,000)، ويعـود هـذا الارتفـاع إلـى الجهـود الكبيـرة التـي بـذلها الخليفـة الناصـر فـي توطيـد الأمـن وردع المخـالفين بـالقوة، فـدرت هـذه الجباية المبالـغ الضـخمة، حتـى إنـه لـم يضـاه دخـل الأنـدلس إلا بـلاد الجزيـرة الفراتيـة بالمشرق. كما وكانـت الـواردات الماليـة للدولـة فـي عهـد الناصـر تتمثـل فـي الزكـاة، ووأخماس الغنائم، والأموال التي تُفرض على الأراضي، والجزيـة والضـرائب ومـوارد أخرى، وكانت النفقات في عدة وجوه أهمها، الجند وأسرة الخليفة ورواتب الموظفين والبناء والعمران، والنفقة على الأيتام والفقراء والمساكين من العامة.

المراجع

أ. المراجع باللغة العربية

أبو إصبع، نجمة خليل أحمد، 1420هـ /1999م، **الحياة الفكرية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس في عهدي عبدالرحمن الناصر والحكم المستنصر**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن.

أبو دياك، **صالح فياض**،2002م، "الجيش في الأندلس زمن الإمارة والخلافة الأموية الثانية"، **مجلة دراسات تاريخية،** ع77، 88، السنة الثانية والعشرين.

أبو صالح، وائل، د.ت، **الجواري في الأندلس**، منشورات دار القلم، د.ط، رام الله.

أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ/838م)، 1968م، **الأموال**، تحقيق خليل محمد الهراس، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط1.

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت 733 هـ/1332م)، 1860م، **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، د.ط، باريس.

ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/ 1260م)، 1963م، **الحُلّة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة.

ابن الأبّار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت 658هـ/ 1260م)، 1995م، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبدالسلام الهرش، دار الفكر للطباعة، د.ط، لبنان.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1232م)، 2002م، **الكامل في التاريخ**، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط1، بيروت.

ابن آدم، يحيى القرشي (ت 202هـ/817م)، 1979م، **الخراج**، صححه أحمد محمد شاكر، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ط، بيروت.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/ 1182م)، 1955م، **الصلة**، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي ماريه مياس ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، د.ط، تطوان.

ابن بصال، عبد الله بن إبراهيم (ت ق5هـ/ 617م)، 1955م، **الفلاحة**، نشر وترجمة فوسي مياس بيكروسا، محمد عزيحان، معهد مولاي الحسن، تطوان.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت 874هـ /1469م)، 1992، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م)، د.ت، **طوق الحمامة في الأُلْفة والأُلَّاف**، حققه حسن كامل الصيرفي، قدم له إبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، القاهرة.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت 367هـ/ 977م)، 1967م، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت.

ابن حيّان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت 469هـ/ 1077م)، 1983م، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، د.ط، بيروت.

ابن حيّان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (ت 469هـ/ 1077م)، 1979م، **المقتبس**، تحقيق شالميتا وأخرون، د.ط، مدريد.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني (ت 776هـ/1374م)، 1956م، **تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق إ.ليفي بروفنسال، دار المكشوف، د.ط، بيروت.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله السلماني (ت776هـ/1374م)، 1955م، **الإحاطة في أخبار غَرْناطة**، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف، د.ط، القاهرة.

ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت 808هـ/ 1406م)، 1960–1965م، **المقدمة**، تحقيق عبدالواحد وافي وعلي عبدالواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط1.

ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت 808هـ/ 1406م)، 1999م، تاريخ ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم**، دار الكتاب المصري، د.ط.

ابن دحية، عمر بن حسن، (ت 633هـ/ 1236م)، د.ت، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، راجعه طه حسين، مطبعة الكتب المصرية، د.ط، بيروت.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت685هـ/ 1286م)، د.ت، **المُغْرب في حُلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685هـ/ 1286م)، 1958م، **بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، د.ط، تطوان.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458 هـ/ 1065م)، د.ت، **المخصص**، المكتب التجاري، د.ط، بيروت.

ابن الشبّاط، محمد بن علي التوزري (ت 681هـ/ 1282م)، 1967–1968م، **صلة السِمط وسمة المرط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.

ابن صاعد، صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي الأندلسي (ت 462هـ/ 1070م)، 1967م، **طبقات الأمم**، وضع المقدمة محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، د.ط.

ابن عبدالرؤوف، أحمد بن عبدالله (ت النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م)، 1955م، **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب**، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328هـ/ 949م)، 1989م، **العقد الفريد**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.

ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي (ت النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م)، 1955م، **رسالة في القضاء والحسبة**، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

ابن العطار، محمد بن احمد (ت 399هـ/1008م)، د.ت، **الوثائق والسجلات**، اعتنى بتحقيقه ونشره: ب.شالميتا وف.كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، د.ط، مدريد.

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 695هـ/ 1296م)، 1983م، **البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت.

ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي(ت 571هـ/ 1175م)، 1956م، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس**، تحقيق لطفي عبدالبديع، 1955م، مطبعة مصر.

ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799هـ/ 1396م)، 1301هـ، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي الحافظ (ت 403هـ/ 1013م)، 1954م، **تاريخ علماء الأندلس**، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، د.ط.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت 290هـ/ 902م)، د.ت، **مختصر كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي(ت367هـ/977م)، د.ت، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، د.ط، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 752هـ/1351م)، 1981م، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق صبحي الصالحي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت.

ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك التوزري (عاش في أواخر القرن 6هـ/ 12م)، 1965-1966م، **الإكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مج13، مدريد.

ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774هـ /1372م)، د.ت، **البداية والنهاية**، مكتبة الإيمان، د.ط.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ/1311 م)، د.ت، **لسان العرب**، دار صادر، ط1 بيروت.

ابن هشام اللخمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 577هـ/ 1181م)، 1957م، **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة**، مجلة معهد المخطوطات العربية، نشرها عبدالعزيز الأهواني، جامعة الدول العربية.

ارسلان، 1936م، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، نشر محمد مهدي الجبالي، المكتبة التجارية الكبرى، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر.

الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/ 1164م)، 1983م، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر.

الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/ 1164م)، 1989م، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1.

الإشبيلي، أبو الخير (ت القرن 6هـ/12م)، د.ت، **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، تحقيق: محمد العريني الخطابي، الهلال العربية، د.ط، الرباط.

الإشبيلي، أحمد بن محمد بن حجاج (ت 467هـ/1075م)، 1982م، **المقنع في الفلاحة**، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، إشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، د.ط.

الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، 1961م، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال، راجعه محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، د.ط، القاهرة.

أمين، أحمد، 1969م، **ظهر الإسلام**، يبحث في الحياة العقلية في الأندلس من فتح العرب إلى خروجهم منها، ط5، بيروت.

الأنصاري، فاضل، 1978م، **الجغرافية الاجتماعية**، د.ط، جامعة دمشق.

باشا، ضياء، 1989م، **الأندلس الذاهبة، الفتوحات الإسلامية في إفريقيا والأندلس، الدولة الأموية في الأندلس**، تعريب عبد الرحمن إرشيدات، تحقيق صلاح ارشيدات، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ط1، عمان.

بالنثيا، آنخل جنثالث، 1955م، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، منشورات مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة.

البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت 739هـ/ 1338م)، 1992م، **مراصد الإطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، د.ط، بيروت.

البكر، خالد بن عبدالكريم بن حمود، 1414هـ، **النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة 138-316هـ/755-928م**، مكتبة الملك عبدالعزيز، ط1، الرياض.

البكري، أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ/ 1094)، 1968م، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد للطباعة، ط1.

البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ /1094)، د.ت، **المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العالمية، د.ط، بيروت.

بلباس، ليوبولدو توريس، 1953م، **الأبنية الإسبانية الإسلامية**، تعريب علي إبراهيم العناني، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، د.ط.

بوتشيش، إبراهيم القادري، 1985م، "أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة"، **مجلة المناهل**، تصدرها وزارة الشؤون والثقافة، الرباط، ع32، السنة الثانية عشرة.

بول، استالني، د.ت، **قصة العرب في إسبانيا**، ترجمة علي الجارم، دار المعارف، د.ط، القاهرة.

الترمانيني، عبدالسلام، 1991م، **أحداث التاريخ الإسلامي**، ط1.

الجبالي، خالد حسن، 2004م، **الأندلس وما فيها من بلاد**، قطعة من نص أندلسي لمؤلف مجهول، دار البشير، د.ط، عمان.

الجرسيفي، عمر بن عثمان (ت النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م)، 1955م، **رسالة في الحسبة**، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د.ط، القاهرة.

الجعافرة، بلال راكان، 2005م، **الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين**، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة مؤتة.

الجمل، محمود جلال الدين، د.ت، **أوروبا في مجرى التاريخ**، دراسة جغرافية، د.ط.

جودة، صادق وآخرون، 1997م، **تاريخ المغرب والأندلس**، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، عمان.

حتاملة، محمد عبده، 2000م، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، مطابع الدستور التجارية، د.ط، عمان.

حتاملة، محمد عبده، 1999م، **موسوعة الديار الأندلسية**، ط1، عمان.

الحجي، عبدالرحمن علي، د.ت، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غَرْناطة (92-897هـ/711-1492م)**، دار الاعتصام، ط1، القاهرة.

حسن، إبراهيم حسن، 1964، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، ط7، القاهرة.

الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت 759هـ/ 1357م)، 1958م، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج 6، ع1-2، مدريد.

حلاق، حسان، 1986م، **العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، الأندلس، الدار الجامعية، بيروت.

حميدة، عبد الرحمن، 1985، **جغرافية أوروبا الغربية**، دار الفكر، ط1، دمشق.

الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الأزدي (ت 488هـ/ 1095م)، 1997م، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 866هـ/ 1461م)، 1984م، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت.

الحِمْيَري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 866هـ /1461م)، 1988م، **صفة جزيرة الأندلس**، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ.لافي بروفنسال، دار الجيل، د2، بيروت.

الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089هـ/ 1678م)، 1979م، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيرة، ط2، بيروت.

الخشني، القروي (ت361هـ/972م)، 1989م، **قضاة قُرْطُبَة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة.

خليفات، محمد، 2004م، **التجارة في الأندلس في عصر الدولة الأموية 138-422هـ/ 755-1030م**، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة مؤتة.

الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/997م)، 1922م، **مفاتيح العلوم**، دار الطباعة المنيرية، د.ط.

دائرة المعارف الإسلامية، 1998م، شريك.م، مادة القيسارية، 33ج، مركز الشارقة للإبداع الفكري.

الدمشـقي، أبـو الفضـل جعفـر بـن علـي (ت 570هـ/ 1147م)، د.ت، **الإشـارة إلـى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض ورديها وغشوش المدلسين فيها**، منشور ضـمن كتـاب دراسـة فـي الفكـر الاقتصـادي العربـي للسـيد محمـد عاشـور، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط1.

دوزي، رينهـارت، 1998م، **المسـلمون فـي الأنـدلس**، ترجمـة حسـن حبشـي، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة.

دويدار، حسين يوسف، 1994، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422هـ/ 755-1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1.

ذنون طه، عبد الواحد، 1982م، **الفتح والاستقرار العربي والإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، د.ط.

الذهبـي, شمس الدين أبـو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 784هـ /1347م)، 1985، **العبر في خبـر من غبـر**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت.

الذهبـي, شمس الدين أبـو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 784هـ /1347م)، 1413هـ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط9، بيروت.

الرازي، محمد بن أبي بكر (ت 721هـ/ 1321م)، 1995م، **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، د.ط،، بيروت.

رينو، جوزيف (1795-1868م)، 1984م، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسـرا فـي القـرون الثـامن والتاسـع والعاشـر المـيلادي**، تعريـب إسـماعيل العربي، دار الحداثة، ط1، الجزائر.

زبيـدي، أبـو بكـر محمـد بـن الحسـن الإشـبيلي (ت 379هـ/ 989م)، 1981م، **لحـن العوام**، تحقيق عبدالعزيز مطر، دار المعارف، القاهرة.

زبيـدي، محمـد مرتضـى الحسـيني (ت 1205هـ/1760 م)، د.ت، **تـاج العـروس مـن جواهر القاموس**، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت.

الزركلي، خير الدين، 1984، **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط6، بيروت.

الزغول، جهاد غالب، 2001م، **الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غَرْناطة 92-897هـ/ 711-1492م**، مركز الأفق، ط1، عمان.

الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 565هـ/ 1170م)، د.ت، كتاب **الجغرافية**، تحقيق محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، بور سعيد.

سالم، السيد عبدالعزيز، 1985م، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية.

سالم، السيد عبدالعزيز، د.ت، **قُرْطُبَة حاضرة الخلافة في الأندلس**، نشر مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية.

السامرائي، خليل إبراهيم وأخرون، 2004م، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (عصر الخلافة، ناطق صالح مطلوب)**، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي.

السفاريني، رانية عبدالكريم محمود، 2003م، **قصيدة مدح بني أمية في الأندلس حتى سقوط الخلافة**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الهاشمية.

السقطي، أبو عبدالله محمد بن أبي محمد المالقي (ت نهاية القرن 5هـ/ 11م)، 1987م، **في آداب الحسبة**، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث، د.ط، بيروت.

السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن (ت 911هـ/ 1505م)، 1999م، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، ط1، القاهرة.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت 790هـ/ 1388م)، د.ت، **الاعتصام**، دار المعرفة، د.ط، بيروت.

الشطشاط، علي حسين، 2001م، **تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة**، دار قباء للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة.

الشقندي، إسماعيل بن محمد (ت 629هـ/ 1232م)، 1968م، **فضائل الأندلس وأهلها**، نشرها وقدم لها صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1.

شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب (ت 727هـ /1326م)، 1988م، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.

الشيزري، عبدالرحمن بن نصر (ت 586هـ/ 1193م)، 1946م، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشره السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، القاهرة.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1202م)، 1989م، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة.

الطباع، عبدالله انيس، 1986م، القطوف **اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدّانية**، دار ابن زيدون، ط1، بيروت.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (ت 520هـ/ 1126م)، 1319هـ، **سراج الملوك**، المطبعة الأزهرية المصرية، ط1، القاهرة.

العبادي، أحمد مختار، 1953م، **الصقالبة في إسبانيا**، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، د.ط، مدريد.

العبادي، أحمد مختار، د.ت، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، د.ط.

عبدالعزيز، سحر السيد، 1995م، **شاطبة الحصن الأمامي لشرق الاندلس في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية.

العذري، أحمد بن عمر (ت 478هـ/ 1085م)، 1965م، نصوص عن الأندلس من **كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، د.ط، مدريد.

العزفي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 633هـ/ 1236م)، 1999م، **حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد**، تخريج ودراسة محمد الشريف، المجمع الثقافي، د.ط، أبو ظبي.

العسقلاني، ابن حجر الحافظ أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ/ 1448م)، 1989م، **نزهة الألباب قي الألقاب**، تحقيق عبد العزيز محمد صالح السِّديري، مكتبة الرشد، ط1، الرياض.

العمايرة، محمد نايف، 1999م، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان**، ط1، عمان.

العمري، ابن فضل الله، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 749هـ /1348م)، د.ت، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق محمد عبدالقادر خريسات وأخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، د.ط.

العميان، نايف سلامة سفهان، 1996م، **الخراج في عهد الدولة الأموية في الأندلس 92-422هـ/711-1031م**، رسالة ماجستيرغير منشورة، الجامعة الأردنية.

عنان، محمد عبد الله، 1988م، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، العصر الأول، القسم الثاني.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/ 1111م)، د.ت، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، د.ط، بيروت.

الفيلالي، عبدالعزيز، 1970م، **العلاقات السياسية بين الدولة الإموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر، د.ط، الجزائر.

القاسمي، خالد محمد، د.ت، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، دار الثقافة العربية، ط1، الشارقة.

القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ/ 1149م)، د.ت، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، الرباط.

القرطبي، غريب بن سعد (ت 369هـ/ 979م)، 1961م، **تقويم قرطبة**، نشر رينهارت دوزي، د.ط، ليدن.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283 م)، د.ت، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، د.ط، بيروت.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)، د.ت، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، المكتبة الإموية ، د.ط.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)، د.ت، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة، د.ط، القاهرة.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)، 1997م، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تعليق وتقديم شوقي ابو خليل، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت.

الكناني، أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف (ت 279هـ/ 892م)، د.ت، **أحكام السوق**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج1، ع1-2، مدريد.

كونستيل، أوليفيا ريمي، 2004م، **التجارة والتجار في الأندلس**، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، ط1.

الكيلاني، إبراهيم، د.ت، **رسائل أبي حيان التوحيدي**، دراسة عن حياته، دار طلاس للدراسات والنشر، د.ط، دمشق.

لقبال، موسى، 1977م، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربية**، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر.

لويس، ارشيبالد، د.ت، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة.

مؤنس، حسين، 1986م، **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة.

مؤنس، حسين، 1959م، **فجر الأندلس**، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الإموية 711-756م، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة.

مؤنس،حسين،1980م،**معالم تاريخ المغرب والأندلس**،مطابع المستقبل،ط1، القاهرة.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ/ 1058م)، 1966م، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، القاهرة.

متز، آدم، 1967م، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، أو عصر النهضة في الاسلام، ترجمة محمد عبدالهادي، دار الكتاب العربي، د.ط، بيروت.
مجهول(عاش في القرن الرابع الهجري)، 1994م، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1.
المراكشي، محي الدين بن محمد بن عبد الواحد (ت 647هـ/ 1249م)، د.ت، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تحقيق محمد سعيد العريان، إشراف محمد توفيق عويضة، الجمهورية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط.
مسعد، سامية مصطفى، د.ت، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة.
المسعودي،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت 354هـ/965م)،1981م، **التنبيه والإشراف**، لجنة تحقيق التراث،منشورات مكتبة الهلال،د.ط، بيروت.
مسكويه، أحمد بن محمد (ت 421هـ/ 1030م)، د.ت، **تجارب الأمم**، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، القاهرة.
المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت 380هـ/ 990م)، 1967م، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، مطبعة بريل، ليدن.
المقّري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ /1631م)، 1988م، **نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت.
موسى، عز الدين، 1983م، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، ط1، القاهرة.
نعنعي، عبدالمجيد، د.ت، **تاريخ الدولة الأموية في الاندلس**، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1333م)، 2004م، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مفيد قميحة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

هنتس، فالتر، 1970م، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ط2، عمان.

هياجنة، محمد، 1989م، **الوضع الزراعي بالأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين**، رسالة ماجستيرغير منشورة، الجامعة الأردنية.

الوائلي، عبد الحكيم،2001م، **موسوعة شعراء الأندلس**، دار أسامة، ط1.

وات، مونتغمري، 1998م، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، بيروت.

الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت 914هـ/ 1508م)، 1981م، **المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت الحموي البغدادي (ت 626هـ/ 1228م)، 1979م، **معجم البلدان**، دار صادر، د.ط، بيروت.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284هـ/ 897م)، 1988م، **كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.

ب: المراجع باللغة الأجنبية:

Imamuddin S.M, 1963 **Economic History of Spain,** (Under the Umayyads 711-1031)، Published by: Asiatic Society of Pakistan ،Printed by A.k Ahmad Ali Zeeco Press Dacca.

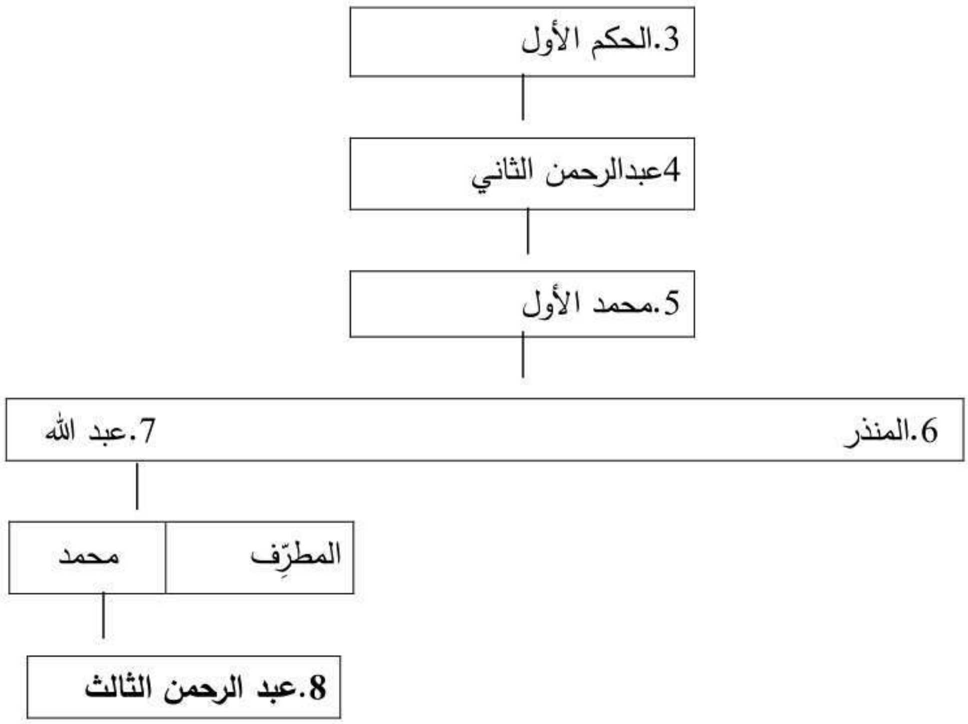
Imamuddin S.M, 1981 **Muslim Spain 711-1492**, LEIDEN.

Brown.1981 **Magnifeent Muslim**s (The Story of Spains Arab Centuries), New World Press, New York.

الملحق(أ)

جدول يُمثل نسب الخليفة الناصر




3.الحكم الأول
4عبدالرحمن الثاني
5.محمد الأول
6.المنذر
7.عبد الله
المطرِّف
محمد
8.عبد الرحمن الثالث

الملحق(ب)

أسماء بعض متولي ولاية السوق ودار السكة وخزانة المال

في عهد الخليفة الناصر

الرقم	ولاية السوق	الرقم	دار السكة
.1	أحمد بن حبيب بن بهلول	.1	أحمد بن محمد بن موسى بن حُدير
.2	محمد بن إبراهيم الحجازي	.2	يحيى بن يونس القَبْري

		3. محمد بن قُطيس
الرقم	**خزانة المال**	4. سعيد بن جسّاس
1.	الحكم بن الخليفة الناصر	5. عبدالله بن جسّاس
		6. قاسم بن خالد
		7. عبدالرحمن بن يحيى الأصم
		8. محمد بن أحمد بن حُدير
		9. عبدالله بن محمد الخزُّروبي

الملحق(ج)
صادرات وواردات الأندلس
في عهد الخليفة الناصر

الصادرات		الواردات	
السلعة	الدولة المستوردة	السلعة	الدولة المصدرة
زيت الزيتون	بلاد المغرب ومصر	السكر	بلاد المغرب والمشرق

=	بعض الممالك الإسبانية	اللوز	سبتة والقيروان
التين	الشام والعراق ومصر	النخيل	الشام
=	فرنسا والهند	الجلد (الثعالب)	بلاد المغرب وخراسان
الزبيب	مناطق مختلفة	اللؤلو	بلاد المشرق
الحبوب	بلاد المغرب	العود	الهند
اللوز	مصر وإفريقيا	الجوز	سبتة والقيروان
=	بعض بلدان أوروبا	الرقيق/الصقالبة	أوروبا الشرقية والغربية
الكتّان	مصر واليمن ومكة	الرقيق السُّود	السودان وبلاد المغرب
القطن	سجلماسة والقيروان	القراسيا	الشام
صناعات نسيجية	مصر وخراسان	الكافور	الهند
=	بعض الممالك الإسبانية	الفستق	سبتة والقيروان
الزعفران	مناطق مختلفة	الرخام الأحمر	بلاد المغرب
الجلد	أوروبا	المسك	الهند
الفراء	بلاد المغرب	العاج	السودان والحبشة
العنبر والعصفر	مناطق مختلفة	التوابل	الهند والشرق الأقصى
الزئبق	بلاد المغرب		
الكحل	العراق واليمن والهند		
=	بلاد المغرب		
الكبريت	الشام والعراق والهند		
النحاس	بلاد المغرب		
الرقيق	بلاد المشرق		

الملحق(د)
كتاب إعلان الخلافة الأموية في الأندلس
الخميس/ الثاني/ ذي الحجة/ 316هـ/ 928م

في يوم الخميس الثاني من ذي الحجة سنة 316هـ/ 928م أصدر الأمير عبدالرحمن منشوراً عاماً إلى عماله في الكور والمدن الأندلسية يقول فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به، وأظهر أثرنا فيه، ودفع سلطاننا إليه، ويسّر على أيدينا إدراكه، وعُدّت تلك دَرَكه، وسهّل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وأعلى في البلاد من أمرنا وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا إن شاء الله، فالحمد لله ولي الإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه، متسمٌ بما لا يستحقه منه، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابتٌ أسقطناه، فمُر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطبتك لنا عليه إن شاء الله، والله المستعان . كُتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316هـ".

الملحق(هـ)

خريطة تُبين حدود الأندلس والممالك الإسبانية في عصر الإمارة

(138-316هـ/755-928م)





الملحق(و)

خريطة تُبين حدود الأندلس والممالك الإسبانية في عصر الخلافة

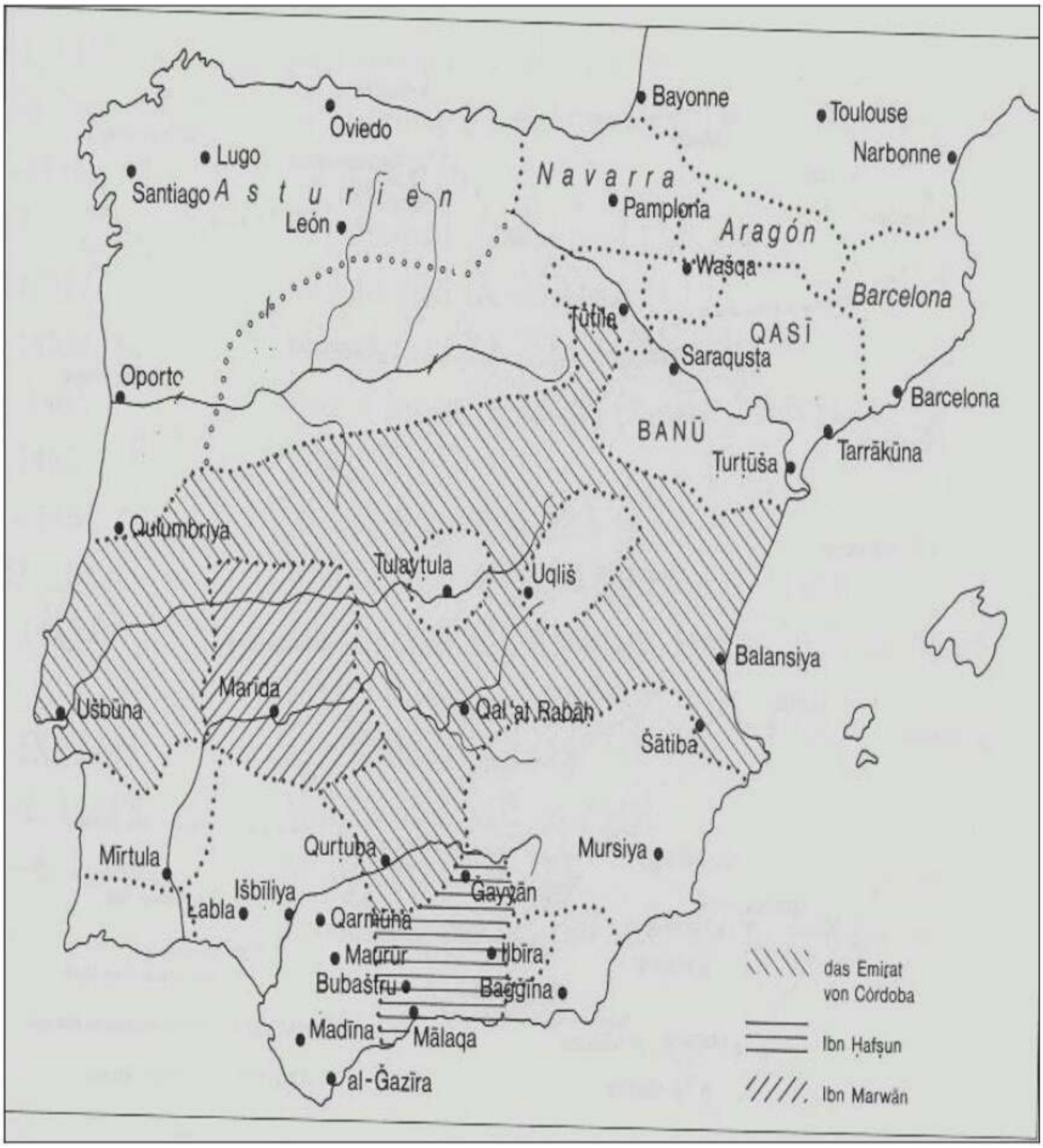
(316- 422/928م-1030م)


REINO FRANCO
REINO DE LEÓN
CONDADO DE CASTILLA
REINO DE NAVARRA
RIBAGORZA
CONDADO DE BARCELONA
Miño
Duero
Ebro
Saraqusta
Larida
al-Tagr al-A'la
(Marca Superior)
Madinat-Salim
Turtuxa
Océano Atlántico
Kulumriyya
Mondego
al-Tagr al-Adna
(Marca Inferior)
Tajo
al-Tagr al-Awsat
(Marca Media)
Tulaytulah
Jucar
Balansiya
Mayurqa
CALIFATO DE CÓRDOBA
al - Xarq
al-Lixbuna
Batalyaws
Guadiana
al - Musata
al - Garb
*IBN Marwan
Qurtuba
Segura
Guadalquivir
Mursiya
Mar Mediterráneo
Silb
Isbiliya
al - Andalus
*Ibn Hafsun
Bayyana
al-Mariyya
al-Yazirat
Tanja
REINOS ZENATA
EMIRATO DE NEKOR



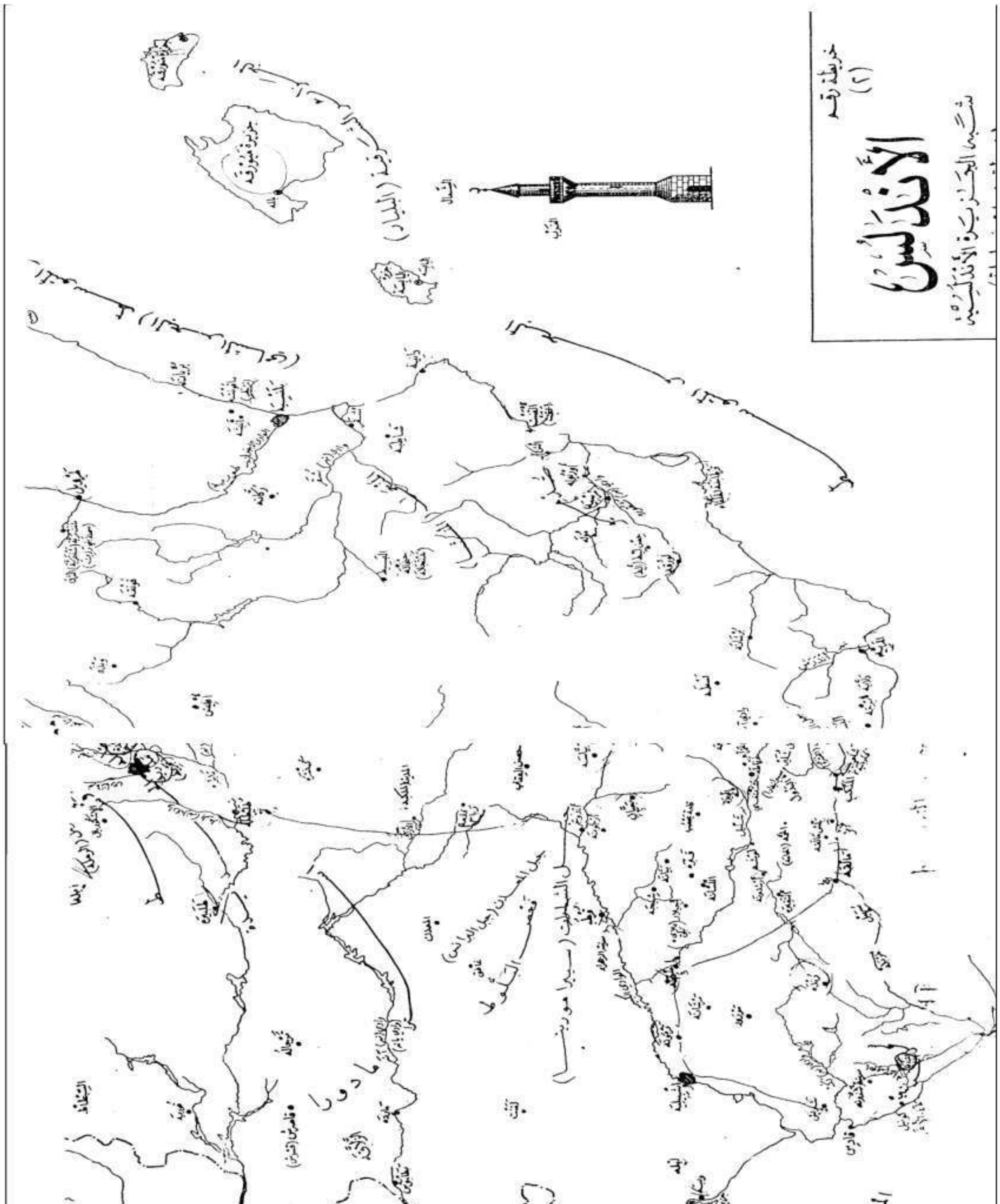
الملحق(ز)

خريطة تُبين مناطق نفوذ ابن حفصون وابن مروان


Bayonne
Toulouse
Narbonne
Oviedo
Lugo
Santiago
Asturien
León
Navarra
Pamplona
Aragón
Wašqa
Barcelona
Tuṭila
QASĪ
Saraqusṭa
Barcelona
BANŪ
Tarrākūna
Ṭurṭūša
Oporto
Qulumbriya
Tulayṭula
Uqliš
Balansiya
Marida
Ušbūna
Qal'at Rabāḥ
Šāṭiba
Mursiya
Qurṭuba
Mīrtula
Išbīliya
Labla
Ǧayyān
Qarmūna
Mawrūr
Ilbīra
Bubašṭru
Baǧǧīna
Madīna
Mālaqa
al-Ǧazīra
das Emirat von Córdoba
Ibn Ḥafṣun
Ibn Marwān

الملحق(ح)

خريطة تُبين أهم المدن الأندلسية


خريطة رقم
(٢)
الأندلس